

مطبوعات المجمع العلمي العراقي

الأدلة الرسمية في التعابي الحربية

تاليف
محمد بن منكلي
(٧٨٤هـ — ١٣٨٢م)

حقق الكتاب وكتب مقدمته
اللواء الركن محمود شيت خطاب



مطبعة المجمع العلمي العراقي
١٤٠٩هـ — ١٩٨٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة المحقّق

« اذا كان عدوّك نملة ، فلا تنَم له »

« مثل عربي قديم »

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

مستهلّ

الحمد لله الذي علّم بالقلم ، علّمَ الإنسانَ ما لم يعْلَمْ ، وفضّل الذين يعلمون على الذين لا يعلمون ، فقال تعالى في كتابه العزيز : (قُلْ : هَلْ يَسْتَوِي الّذِيْنَ يَعْلَمُوْنَ والّذِيْنَ لايَعْلَمون ؟) (١) .

وصلّى الله على سيّدنا ومولانا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم القائل : « العلماءُ أمناءُ الله على خَلْقِه » (٢) ، والقائل : « مَن طلبَ العِلمَ ، فهو في سبيل الله حتى يرجع » (٣) .

والتراث العسكريّ العربيّ الإسلامي ، يملأ مكتبات أوربّة ومتاحفها ، وتزخر به مكتبات المخطوطات العربية في شتّى أصقاع العالم ، وحسبنا أن نذكر : (فهرست ابن النّديم) ، الذي عدّد فيه : « الكُتُبَ المؤلّفةَ في الفروسيّة وحَمْل السّلاح ، وآلات الحرب والتدبير والعمل بذلك ، لجميع الأمم » ، لنلمس بوضوح ، أيّ تراث عسكري أصيل ، كان للعرب والمسلمين ، منذ أقدم العصور .

ومن مقارنة ما جاء في : (فهرست ابن النّديم) من الكُتب العسكريّة التي اطلع عليها هو في عصره ، بالكتب العسكرية العربيّة الإسلامية من التراث

---

(١) الآية الكريمة من سورة الزمر (٣٩ : ٩) .

(٢) رواه القضاعي وابن عساكر ، عن انس رضي الله عنه ، انظر مختصر الجامع الصغير للمناوى (٢/١١٤) .

(٣) اخرجه الترمذي ، عن انس رضي الله عنه ، انظر تيسير الوصول الى جامع الاصول (٣/١٧٢) .

المعروف في الوقت الحاضر ، يتبيّن لنا ، أنّ كثيراً من التراث العسكري العربيّ الإسلامي مايزال مفقوداً حتى اليوم(٤) ، فُقِدَ مع ما فُقِدَ من التراث العربيّ الإسلاميّ ، والأمل في العثور عليه قليل ، لأنّ مَسْحَ الكتب التراثية فيها مظانّها يدل على أنّها فقِدت تماماً .

والتراث العسكريّ العربيّ الإسلامي الذي بقي ، يدلّ على أنّ العرب والمسلمين ، بلغوا شأواً بعيداً في العلوم العسكرية ، وكان لهم في باع طويل ، كما هو شأنهم في مختلف العلوم والآداب والفنون ، في تراثهم العريق الأصيل .

والتراث العسكري العربي الإسلامي ، لايقلّ أهمية عن تراث العرب في العلوم والآداب والفنون ، وتطبيق هذا التراث عملياً ، صانَ حضارتهم وحماها من الغزو الخارجي ، ووضعها في المحلّ اللائق بها ، قائدة للحضارة العالمية ردحاً طويلاً من الزّمن (٥) ، كما هو معروف على نطاق العرب والمسلمين، وعلى نطاق الأجانب من غير العرب والمسلمين أيضاً .

إنّ علوم العرب والمسلمين العسكرية ، في ميدان البحث النّظري ، وفي ميدان التطبيق العملي ، كما يدلّ على ذلك النّزر القليل المتَبقّي من تراثهم العسكري الضّائع ، وهو دليل قاطع على سعة اطلاعهم ومهارتهم في العلوم عملياً ونظرياً .

وهذه العلوم العسكرية التراثية ، تُعطي الجواب المقنع للمتسائلين : كيف استطاع العرب والمسلمون أن يبلغوا ما بلغوا في إعداد قوّاتهم العسكرية للحرب دِقّةً وإتقاناً وكفاية وتكاملا ؟ وكيف استطاعوا الانتصار على أعدائهم في ميادين القتال ؟

لقد كنت أجيب على مثل هذه التّساؤلات : بأنّهم استطاعوا أن يحقّقوا ماحقّقوه

(٤) فهرست ابن النديم (٣١٤ – ٣١٥).
(٥) بين والعقيدة والقيادة (٣٧) .

بالعقيدة الراسخة المنشئة البنّاءة ، وبالطبع الموهوب الذي صقلته تجاربهم العمليّة الكثيرة الغنيّة .

وبعد اطّلاعي على تراثهم العسكريّ العلميّ ، أضيف على هذا الجواب : العلم المكتسب ، أي أنّ أسباب انتصاراتهم : الطبع الموهوب ، والتجارب العملية ، والعقيدة الراسخة ، والعلم المكتسب ، وبذلك أضيف عامل العلم المكتسب على العوامل الأخرى ، التي كان يردّدها المفكرون قبل اليوم .

جَدْوَى تحقيق التراث العسكري العربيّ الاسلاميّ

لا مجال لمناقشة جدوى تحقيق التراث العسكري العربي الإسلامي وطبعه ونشره وإخراجه للناس اليوم أو غدا ، فقد كان لهذا التراث في أيام تصنيفه وتطبيقه عملياً في التّعليم والتدريب ثمرات يانعة في إعداد جيوش العرب والمسلمين إعددا سليماً ، وفي انتصاراتها على الصليبيين والتاتار في حينه ، كما هو معروف . وبالنسبة للحضارة العالمية ، فقد اقتبس الصليبيون من العرب المسلمين كثيراً من العلوم العسكرية ، لعلّ من أهمّها نظام الفروسيّة التي لا ينكر الصليبيون جذورها العربيّة وأصولها ، وكانوا يفخرون بأنّهم اقتبسوها من العرب المسلمين ونقلوها إلى الغرب .

ولكن المجال لمناقشة جدوى هذا التراث ، للذين يعيشون في الوقت الحاضر ، وللذين يعيشون في المستقبل القريب أو البعيد ، من أهل هذا التراث ومن غير أهله أيضاً ، يمكن استعراضه وعرضه بأناة ورويّة ، بلا تحيّز ولا انحياز .

والسؤال الذي يتردّد في الأذهان هو : ما مبلغ فائدة هذا التراث لأهل القرن الخامس عشر الهجري وأهل القرن العشرين الميلادي ؟ وهل يستحقّ هذا التراث ما يبُذل من أجله من جهد مادي ومعنوي ؟

إنّ تطوّر الأسلحة كان مذهلاً حقاً ، فالسّلاح النووي الذي ألقي على مدينتين من مدن اليابان هورشيما وناكازاكي ، أصبح كلعب الأطفال بالنسبة للسّلاح

النووي المتطوّر حاليا ، وقد أصبح البون شاسعاً بين أسلحة التراث من سيوف ورماح وقِسِيّ ودبابيس ومنجنيقات ، وما أصبحت عليه الأسلحة الحديثة المتطورة من أسلحة نوويّة وصواريخ عابرة القارات ، وأجهزة رصد وتصنّت وتسديد ، واستخدامات اللّيزر عسكرياً ، وأسلحة كيمياوية وجرثومية ، وتطور أساليب المواصلات ونقل المعلومات ، ومدفعية بعيدة المدى دقيقة التصويب .

إنّ التراث العسكري يدور حول محور الأسلحة القديمة ، وأساليب إنتاجها واستعمالها ، والتدريب عليها ، وخواصّها وأساليب إدامتها ، فأين السّهم من الصاروخ ، وأين المنجنيق من المدفع ذي المدى البعيد ، وأين الجواد من الدّروع ، وأين القوس من الرّاجمة ، وأين وسائط النقل القديمة التي تعتمد الدواب من الطائرات النفّاثة ؟

وقد رأيت أمس ، في جهاز الإذاعة المرئية ، قوساً حديثة ، أوتارها من الأسلاك المعدنية ، وأسهمها من الفولاذ ، وهيكلها من الحديد والألمنيوم ، وسرعة سهمها مئتا ميل في السّاعة ؛ وكانت القِسِيّ القديمة مصنوعة من أخشاب خاصة مرنة ، وأوتارها من أعصاب أعناق الإبل المُسِنّة ، وأسهمها من أعواد رفيعة مأخوذة من شَجر صُلْب ، وهيكلها من أعواد شجر جبليّ صلب ، وسرعة سهمها عشرون ميلاً في الساعة بأعلى تقدير نسبيّ ؛ أي أنّ القوس الحديثة أقوى من القوس القديمة وأشدّ تأثيراً في العدوّ وأسرع في رمي سهمها عشرين ضعفاً من السّهم القديمة ؛ ومع ذلك فالقوس الجديدة لا تُستعمل إلاّ في سباقات الألعاب الرياضية في الرّمي ودقّة التّصويب ، ولا تُستعمل في الحرب أبدا ، لأنّ تأثيرها أقلّ بكثير من تأثير البندقية بنسبة واحد للقوس إلى مئة للبندقية ، مع أنّ البندقية هي من أبسط الأسلحة الخفيفة في الوقت الحاضر أثراً وتأثيرا في القتال ، وهي مفيدة في مجال الدّفاع الشخصيّ بخاصة .

وهذا المثال يُظهر لنا بجلاء ، أنّ الأسلحة التراثية ، قد تجاوزها الزّمن ، وأصبح مكانها متاحف الأسلحة القديمة وغرف الضيوف للزينة ، ولا وجود لها في ميادين القتال .

ولكن ، يبقى تحقيق التراث العسكري وإخراجه للناس ، ضرورياً ، لأنّه يُلقي الضوء على الأسلحة التي استعملها الآباء والأجداد في حروبهم ، وأساليبهم القتالية في استعمالها ، وتشكيلاتهم القتالية في مجابهة الأعداء في مختلف صفحات القتال ، وأسلحة الأعداء وتشكيلاتهم القتالية في الميدان ، وهذا يُعطى صورة واضحة عن المعارك القديمة ، وكانت هذه الصورة غامضة قبل دراسة التراث ، تعتمد على التخمين والحدس والظن والاستنتاج والاستنباط ، التي قد لا تكون دقيقة ولا صائبة في كثير من الأحيان ، لأنّها لا تعتمد على اليقين والواقع والحقائق ، وهذا بعض فوائد تحقيق التراث العسكري العريق .

إنّه يفيد مؤرخي تاريخ الحرب العسكريين بخاصة ، ويفيد المؤرّخين الآخرين بعامة ، ويبني الدراسات العسكرية التاريخية على اليقين لا التخمين ، وعلى الواقع لا الظن ، الذي قد يصيب وقد لا يصيب .

ولكن لابد من وضع خطة واعية للتحقيق ، تشمل أسبقية الكتب التراثية العسكرية الواجب تحقيقها ، ليجري التحقيق على هدي وبصيرة ، ولئلا يذهب الجهد في التحقيق عبثاً ، في توجيهه إلى ما ينفع الناس من هذا التراث حقاً ، وعدم إشغاله بما لا ينفع الناس ، ليكون الجهد مثمراً ولا يكون جُهداً مضاعا .

ولكي نضع خطة أسبقية التحقيق ، علينا أن نعرف أنواع الكتب العسكرية التراثية ، وأسبقية أهميتها للمؤرخين وللحضارة المحلية والعالمية ، وللتاريخ واللغة .

أنواع كتب التراث العسكري العربي الاسلامي

تشمل كتب التراث العسكري العربيّ الإسلامي بالنسبة إلى محتوياتها على أنواع كثيرة ، أهمها عشرون نوعاً ، هي بإجمال واختصار :

١ — . النوع الأول ، كتب الأسلحة بعامة :

وهي الكتب التي تشرح الأسلحة التراثية : السيف ، القوس ، السّهم ،

الدبّوس ، البلطة ، المنجنيق ، الدبّابة ، رأس الكبش ، سلّم الحصار ، الدّرع ، الترس ... الخ .

وهذا النوع يتحدّث عن الأسلحة التراثية بصورة عامة : وصفها ، صناعتها ، التدريب عليها ، أنواع كلّ سلاح منها وسماته .

وهي كتب عن الأسلحة بصورة عامة ، من غير تدخّل في تفاصيل كلّ سلاح .

٢ ـ . النوع الثاني ، كتب الأسلحة بخاصة :

وهذا النوع يشرح سلاحاً واحداً بالتفصيل : أنواعه ، أسماءه ، أسماء اقسامه واجزاءه ، صناعته ، مواد صناعته وأماكنها ، وصف التدريب عليه ، أثره في الحرب ، التدريب على استعماله . مثل كتاب السيف ، وكتاب المنجنيق .

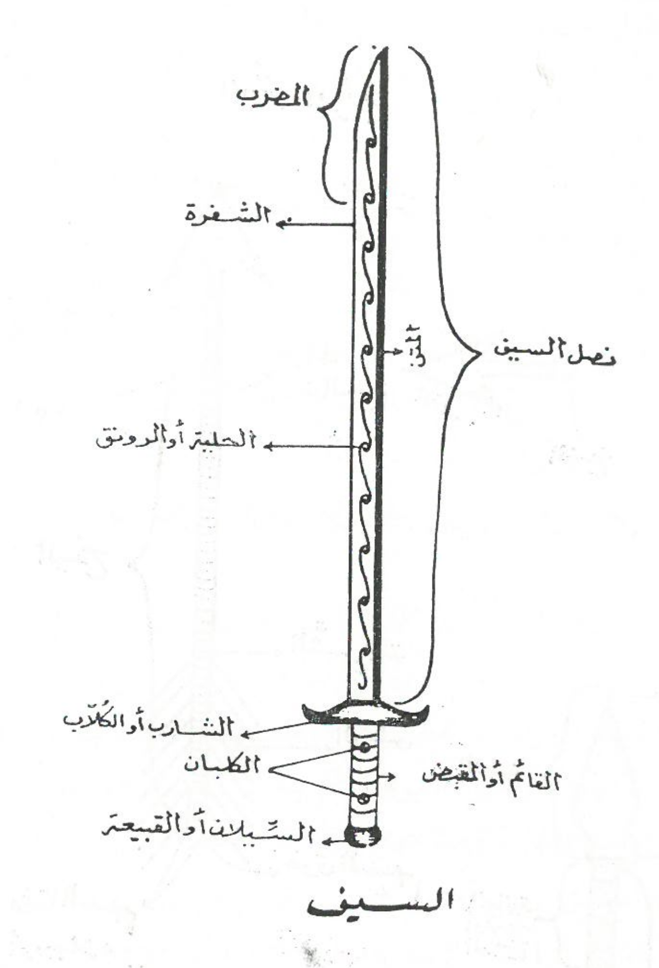
أما كتب السيوف ، فتصف غالباً ، عن فراسات السيوف ، ونعتها ، وصفاتها ، ورسومها ، وعلاماتها ، وتشمل سيوف العرب وسيوف غيرهم (٦).

وكتب السيوف العربية ، تقتصر على وصف سيوف العرب ، وتعدّد أنواعها ، واسمائها ، وأشهر السيوف العربيّة ، وأسماء أقسامها وأجزائها مفصلا ، والتدريب عليها ، وصناعتها ، وأماكن صنعها .

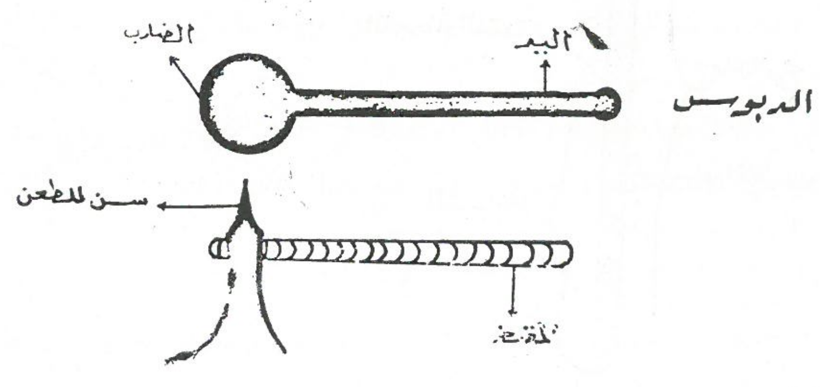
أما كتب المجانيق ، فمن أهمها كتاب : الأنيق في المجانيق ، الذي صنعه أرنبغا الزردكاش (أي صانع الزرد) سنة (٨٦٧ هـ = ١٤٦٢ م) ، وصف فيه أنواع المجانيق ، وكيفية استخدامها ، وأوضح كلامه بالرسوم والأشكال الخاصة بآلات المجانيق ، وكيفية استعمالها والهجوم بها على الحصون والقلاع ، مع صور لها ورسوم لغيرها من آلات القتال ، وبآخره فوائد للمواد الكيمياوية التي يتكوّن منها البارود والقنابل المستعملة في الرمي بالمنجنيق ، وفي الكتاب كثير من المصطلحات الفنية (٧) ، وقد طبع هذا الكتاب (٨) .

(٦) انظر فهرست ابن النديم (٣١٤ ـ ٣١٥) .
(٧) مصادر التراث العسكري (١/١٠٦) .
(٨) حققه د. محمود احسان هندى ـ نشره معهد المخطوطات العربية الكويت ـ عدد ١٩٨٢ .

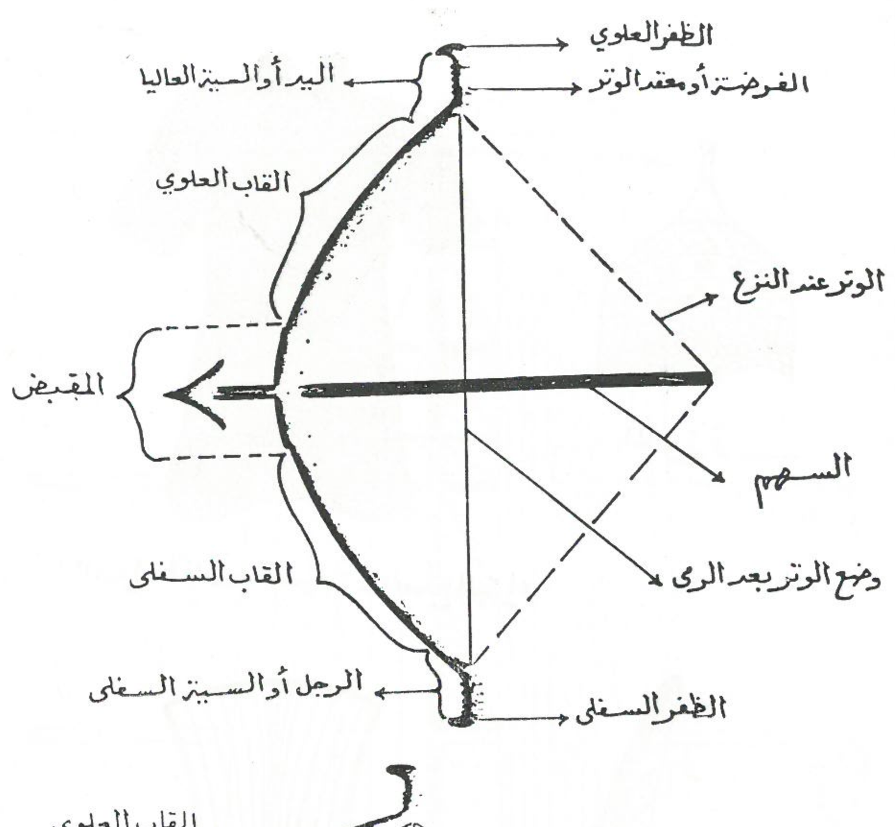
النصل وله غراران
سنخ النصل
الرعظ وهو مدخل السنخ
الغرار
النسخ
العقب الجلدي
القدح
الشربجة
الريش
فوق السهم
رمتا السهم أو رجلاه
السهم
الظبة
اللسان
الثعلبة
العالية أو صدر الرمح
الكعوب أو العقد
عامل الرمح
الانبوب
السافلة

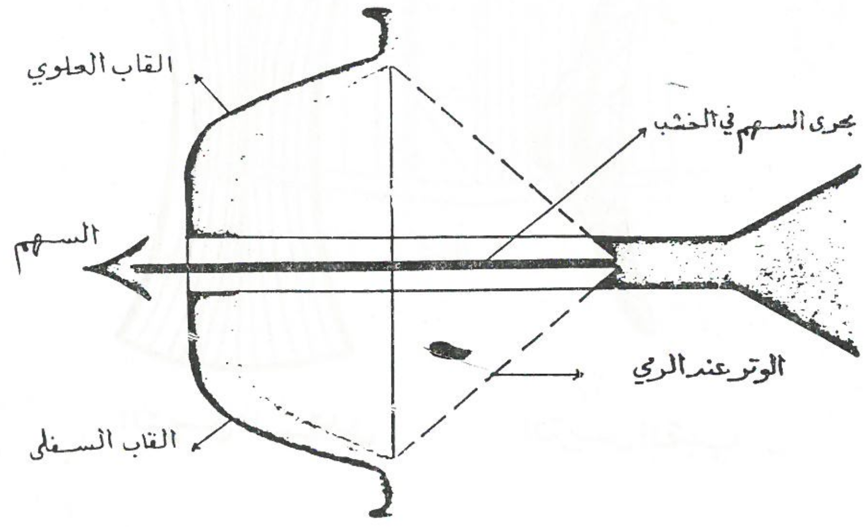

المضرب
الشفرة
نصل السيف
الحلية أو الرونق
الشارب أو الكلاب
الكلبان
القائم أو المقبض
السيلان أو القبيعة

السيف


الضارب
اليد
الدبوس
سن للطعن

القوس

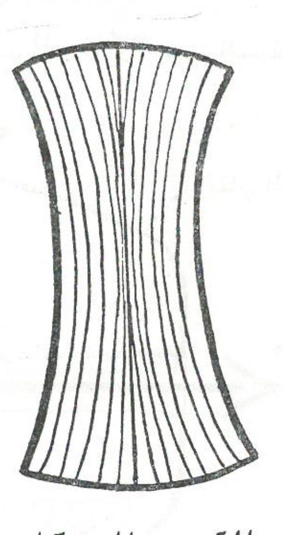

الظفر العلوي
اليد أو السية العاليا
الفرضة أو معقد الوتر
القاب العلوي
الوتر عند النزع
المقبض
السهم
القاب السفلى
وضع الوتر بعد الرمي
الرجل أو السية السفلى
الظفر السفلى


القاب العلوي
مجرى السهم في الخشب
السهم
الوتر عند الرمي
القاب السفلى

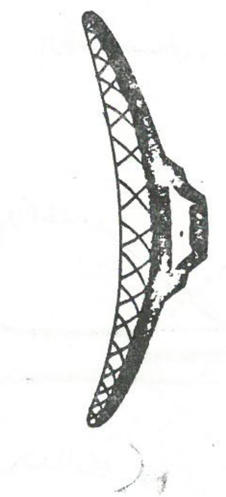


الدرع حلقات منسوجة ـ الدرع البتراء

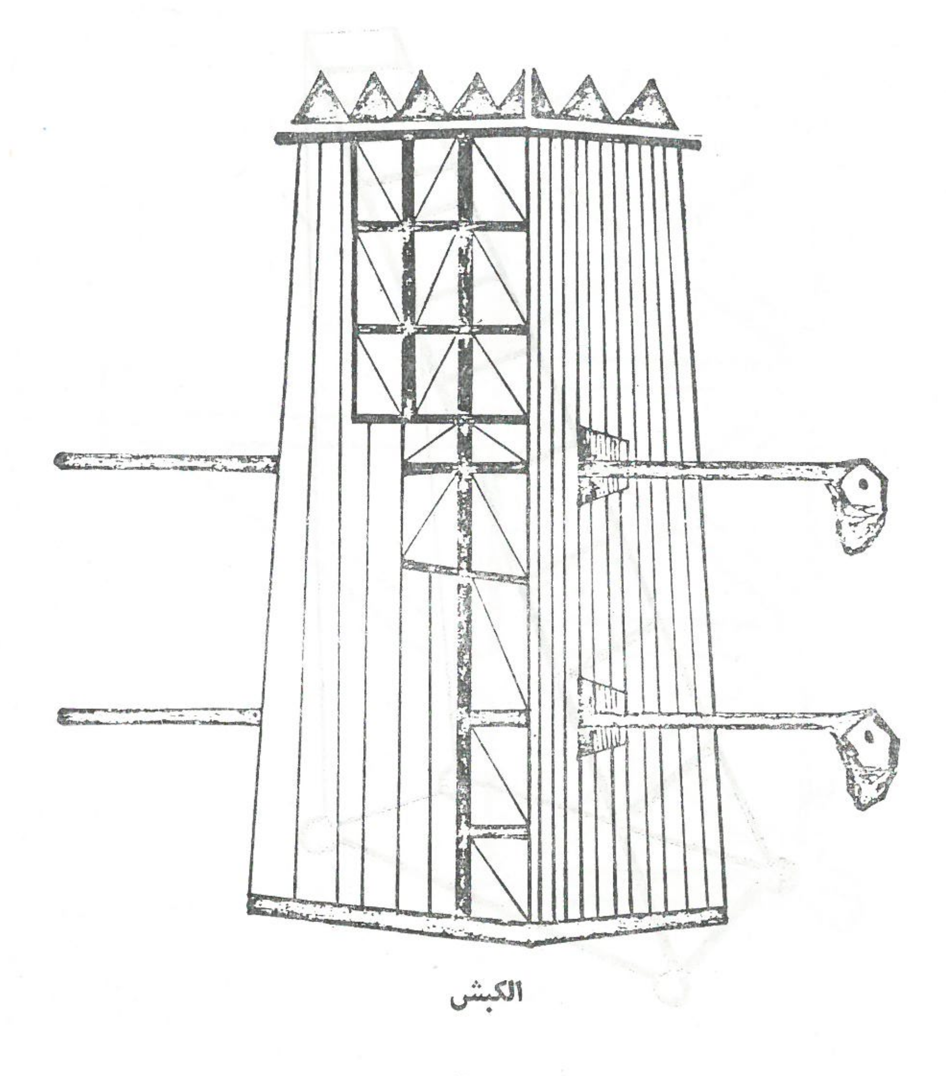
الخوذة



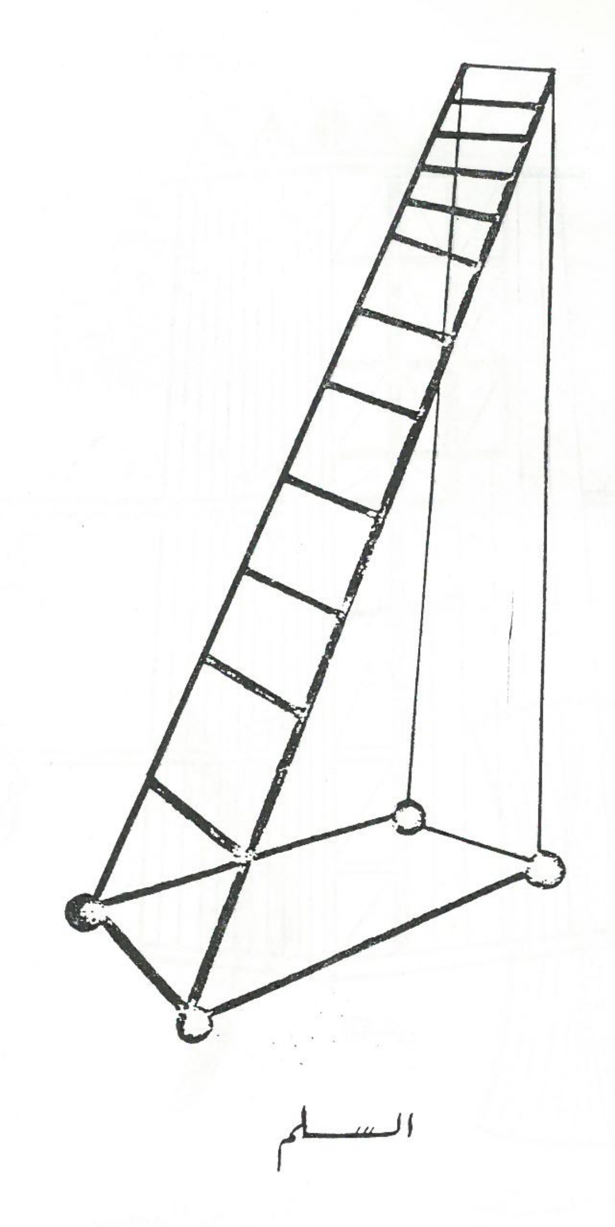
الترس المستطيل



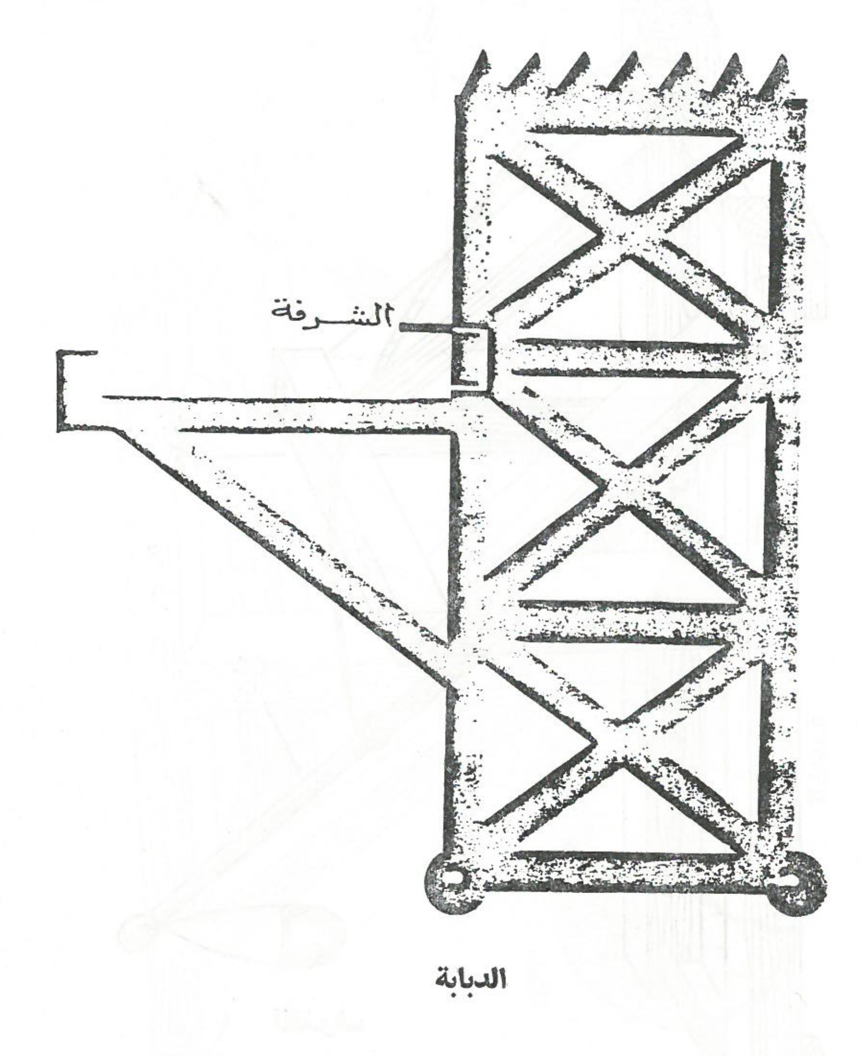
الترس المقبب



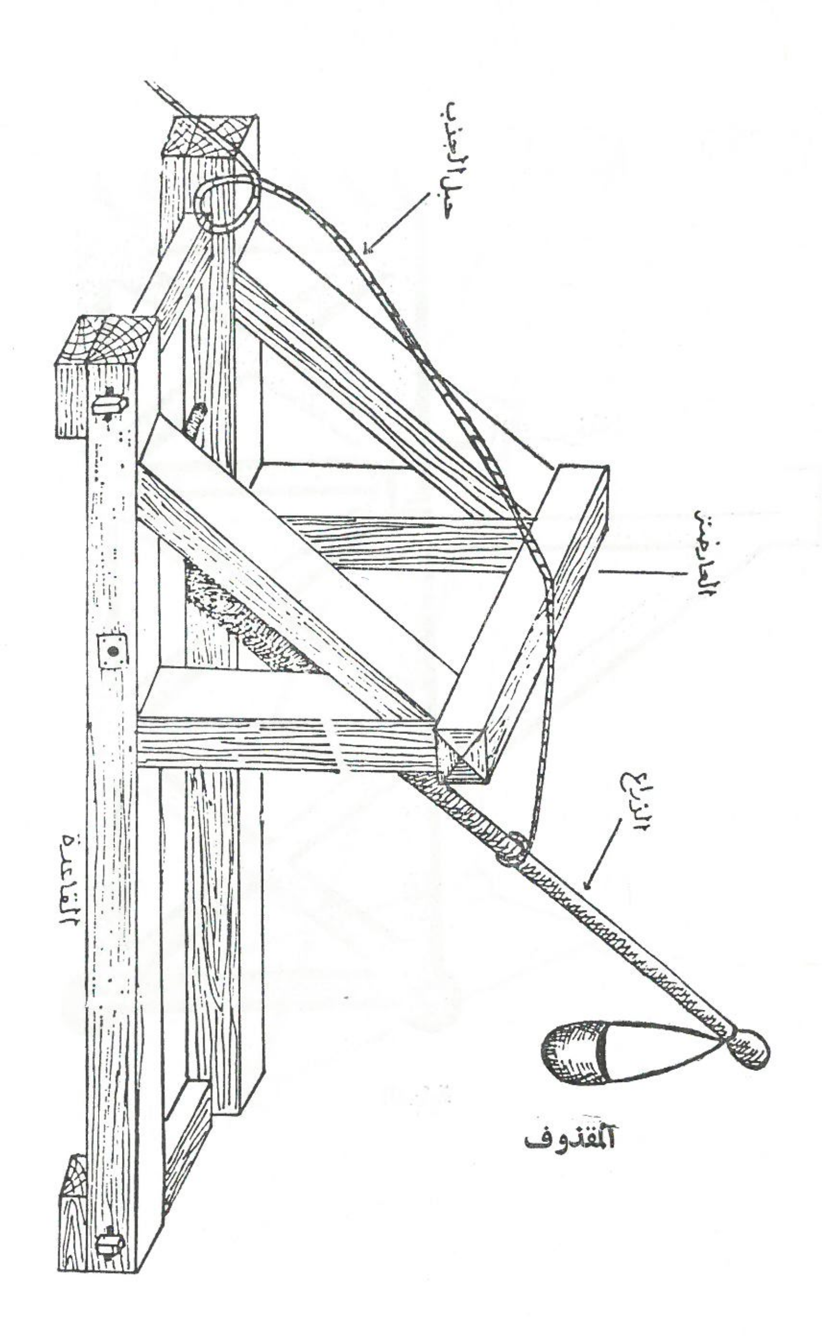
الكبش

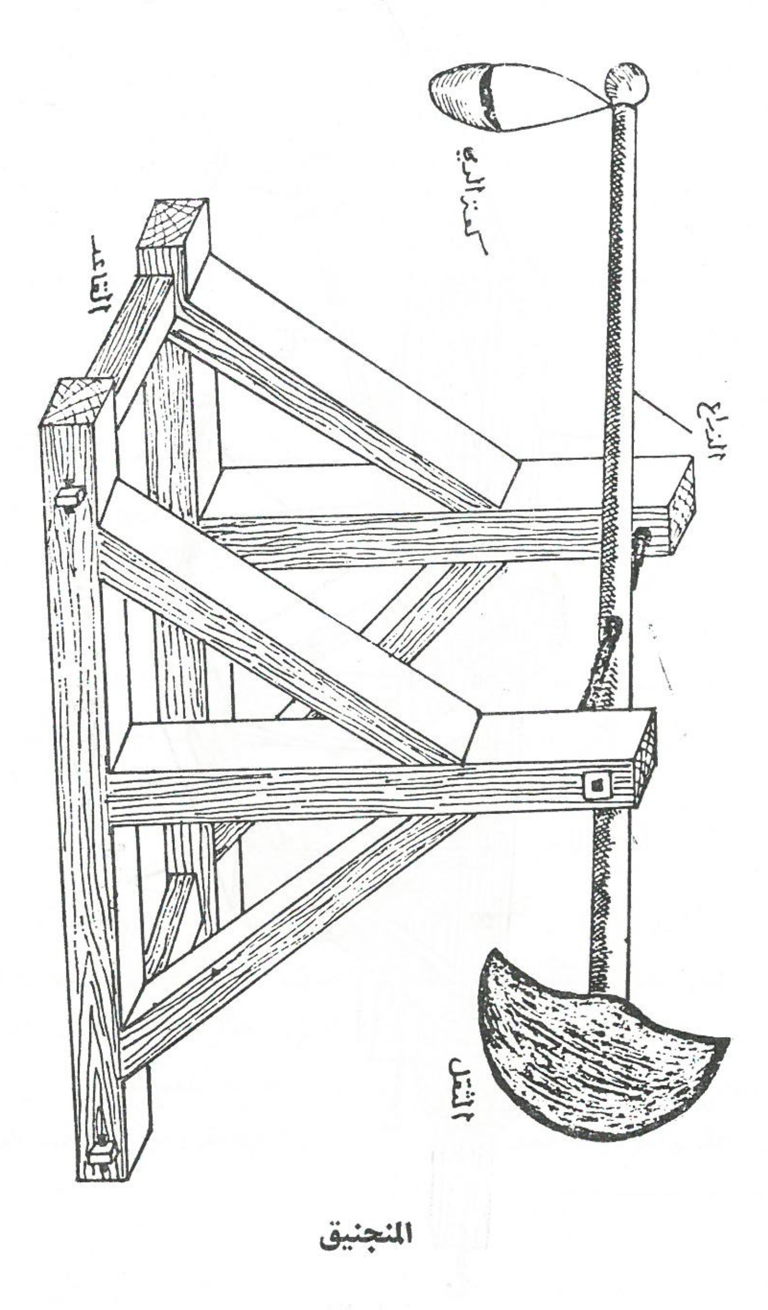


السلم

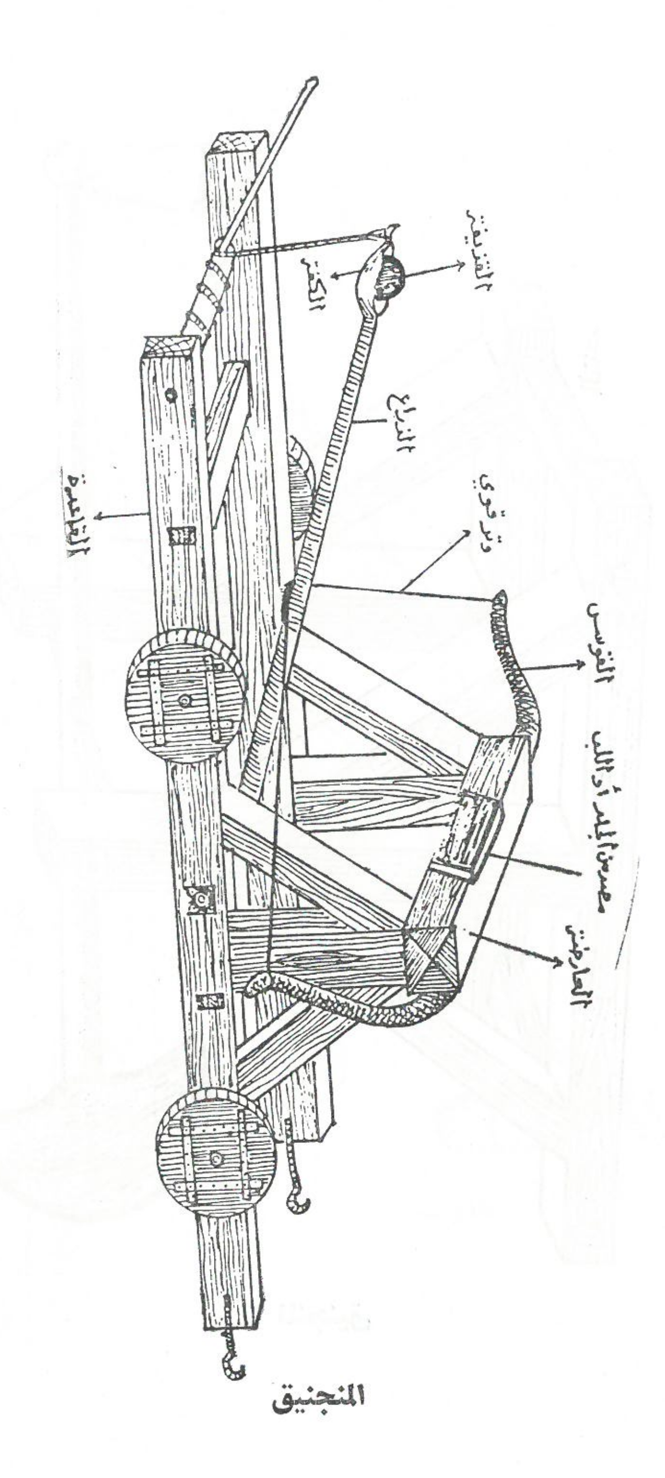


الدبابة


حبل الجذب
العارضة
الذراع
القاعدة
المقذوف


القاعدة
الذراع
الثقل

المنجنيق



المنجنيق

٣ ـ النوع الثالث ، كتب الرّمي :

وهذا النوع من الكتب ، يتحدّث غالباً في الآيات والأحاديث الواردة في الحثّ على تعلّم الرّمي والاستمرار على التدريب عليه مدى الحياة ، والتمسّك بتعلّمه مادام المسلم على قيد الحياة ، دون التخلّي عن مزاولة التدريب عليه حتى في أيام الشيخوخة ، كما فعل الإمام أحمد بن حَنْبَل ، رحمه الله ، الذي دأب على ممارسة التمرين على الرّمي حتى التحق بجوار الله ، تطبيقاً لأمر الرّسول عليه الصّلاة والسّلام في الدأب على الرمي بلا تهاون ما دام فيه عرق ينبض بالحياة .

كما يتحدّث عن الرّمي راجلاً وراكباً ، وبراً وبحراً ، ومن فوق الأسوار .

وهذا النوع من التراث يمتزج فيه الفقه بالعلم العسكري ، والهدف منه هو جعل الرامي هدّافاً ، فلا يقتصر المسلم على تعلّم الرمي ، بل ينبغي أن يكون متميزاً فيه .

ومن الأمثلة على هذا النوع من الكتب التراثية ، كتاب : فضائل الرّمي في سبيل الله تعالى ، لأبي يعقوب إسحق بن أبي إسحق القرّاب الحافظ (ت ٤٢٩هـ ـ ١٠٣٧ م) ، مطبوع في مجلة المورد (مجلد ٢ / عدد ٤ / ١٤٠٤ هـ ـ بغداد) حقّقه الأستاذ أسامة ناصر النقشبندي .

٤ ـ . النوع الرابع ، كتب الفروسية :

وتشمل تدريب الفُرسان على الطعن بالسيف ، والرّمح ، واستعمال أسلحة الفرسان راكباً وراجلاً ، ومن الأمثلة على هذا النوع كتاب الفروسية للأشميطي (٩) ، وكتاب الفروسية والمناصب الحربية لنجم الدين حسن الرّماح الذي حققه ونشره عيد ضيف العبادي (١٠) ، وكتاب الفروسية لابن قيّم الجوزية

---

(٩) فهرست ابن النديم (٣١٤) .

(١٠) الفروسية والمناصب الحربية ـ لنجم الدين حسن الرماح ـ تحقيق عيد ضيف العبادي ـ بغداد ـ ١٩٨٤ .

وقد حقّقه ونشره السيد عزة العطار الحسيني (١١) .

٥ — . النوع الخامس ، كتب ألعاب الفروسية :

وتشمل تدريب الفارس على ألعاب الفروسية المختلفة : إصابة الأهداف والفارس على فرسه ، والسباقات المختلفة ، وما هو حلال منها وما هو حرام، وألعاب الكرة والصولجان ، والصّولجان عصا معكوفة ، يضرب بها الفارس الكرة ، وهي كلمة معرّبة ، استعملت في العهد العباسيّ الأول ، واسم اللّعبة : (الكرة والصولجان) ، وكان الفرسان يمارسون هذه اللعبة ، ومنهم قسم من الخلفاء ، كما يمارسها الفرسان اليوم شرقاً وغربا ، ومن الجدير بالذكر أنّ الصينيين اقتبسوا هذه اللعبة ، ونقلوها من جملة ما نقلوه من الفروسية العربية وألعابها إلى الغرب ، ولا يزال الفرنسيون والألمان والإيطاليون والإنكليز وغيرهم من فرسان الغرب يمارسونها حتى اليوم ، ويطلق عليها الإنكليز اسم : (Polo) ، (١٢) ، ويذكرون أنها لعبة عربية عريقة .

ومن الأمثلة على هذا النوع من الكتب ، كتاب : الضرب بالصولجان (١٣)، وقد ورد في كتاب : (الأدلّة الرسمية في التعابي الحربية) لابن منكلي لمحات في ألعاب الفروسية وما هو حرام منها وما هـو حلال ، في مقدمة هذا الكتاب لمؤلّفه .

٦ — . النوع السّادس : كتب تدريب الخيول المُستجِدّة :

تتحدّث عن سمات الخيول الأصيلة ، وأساليب اختيارها ، ومعرفة أنسابها ، وتدريب الفلو ليكون جواداً مدرّباً ، وأساليب هذا التدريب ، وميادين التدريب وأنواعها ، وأساليب التدريب في كلّ ميدان .

---

(١١) الفروسية ــ ابن قيم الجوزية ــ حققه عزة العطار الحسيني ــ القاهرة ــ ١٩٤٢ .

١٢ ــ المعجم العسكرى الموحد (انكليزي ــ عربي) ــ ص (٦٢٥) .

(١٣) فهرست ابن النديم (٣١٤) .

ومن الأمثلة على هذا النوع من الكتب ، كتاب الخيل ، وكتاب ارتباط الخيل (١٤) .

٧ — . النوع السّابع ، كتب الحِيَل :

والحِيَل : جمع حِيْلة ، والحيلة : الحذق وجودة النّظر والقُدرة على دقّة التّصرف في الأمور ، وهي وسيلة بارعة تحمل الشيء على ظاهره ابتغاء الوصول إلى المقصود ، وهي الخديعة في الحرب لمباغتة العدو . قال عليه الصّلاة والسّلام : « الحربُ خُدْعَة » ، رواه أحمد بن حنبل في مسنده ، ورواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، ورواه أبو داود والترمذي والنسائي ، والخُدْعة : هي الخداع ليُحَقِّق له الظفر على عدوّه .

وتشمل تفاصيـل الخطط التعبوية بصـورة عامة ، في صفحات القتال كافةً : مسير الاقتراب ، الدفاع ، الهجوم ، الانسحاب ، المطاردة ، أساليب إحباط خطط العدو التعبوية ، خطط فتح الحصون والمدائن ، وضع الكمائن ، في توجيه الجواسيس ، في توجيه الطّلائع والسرايا ، في وضع المسالح (١٥) .

ومن الأمثلة على هذا النوع من الكتب ـ كتاب الحِيَل للهرثمي الشّعرانيّ ألّفه للخليفة المأمون العباسيّ ، في الحروب ، جوّد في تأليفه ، وجعله مقالتين : المقالة الأولى في ثلاثة أجزاء ، والمقالة الثانية في ستة وثلاثين فصلاً ، في ألف وخمسة وعشرين باباً ، الجزء الأول في عشرين باباً يحتوي على مئتين وأربع وستين مسألة ، والجزء الثاني في سبعة أبواب يحتوي على اثنتين وأربعين مسألة ، والجزء الثالث في أربعة وعشرين باباً ، يحتوي على مئة وأربع وأربعين مسألة (١٦) ، وقد طبع جزء صغير منه في مصر .

---

(١٤) فهرست ابن النديم (٣١٥) .

(١٥) المسالح : (ج) : مَسْلَح ، ومَسْلَحَة ، وهو كل موضع مخافة يقف فيه الجُنْد بالسلاح للمحافظة والمراقبة، وهو ايضا القوم المسلحون في ثغر أو مخفر للمحافظة .

(١٦) فهرست ابن النديم (٣١٤)

ومن الأمثلة على هذا النوع أيضاً ، كتاب : التذكرة الهرويّة في الحيل الحربية ، لتقي الدين أبي الحسن علي بن محمد بن أبي بكر بن علي الهرويّ ، المعروف بالسّائح الهروي (ت ٦١١ هـ – ١٢١٥ م) .

وظهرت لهذا الكتاب طبعتان : الأولى بتحقيق الفرنسية جانين سورديل في مجلة الدراسات الشرقية التي يصدرها المعهد الفرنسي بدمشق . والثانية بتحقيق السيد مطيع المرابط – دمشق – ١٩٧٢ في ١٥٢ صفحة (١٧) .

٨ – . النوع الثامن ، في تدبير الحروب :

وهذا النوع يتحدّث عما ينبغي للملك أن يتّخذ من الرجال والفرسان والطعام والسموم ، ومن الأمثلة على هذا النوع ، كتاب شاناق الهندي في : (تدبير الحروب) ، وكتاب : (تعبية الحروب) ، وفيه تدريب الفرسان تعبوياً . وكتاب : (أدب الحروب وفتح الحصون والمدائن وزرع الكمائن وتوجيه الجواسيس والسرايا ووضع المسالح) (١٨) لمؤلّف مجهول .

٩ – . النوع التّاسع ، في القصف :

يتحدّث هذا النوع في رمي النار والنفط والزرّاقات في الحروب ، ومن الأمثلة على هذا النوع كتاب بهذا الاسم : (كتاب العمل بالنار والنفط والزرّاقات في الحروب) (١٩) لمؤلف مجهول .

١٠ – . النوع العاشر ، في الدّبابات والمنجنيقات :

ويشمل بالإضافة إلى وصف الدبابات والمنجنيقات ، أساليب التدريب عليها ، وميادين عملها المناسب في الحرب ، وأثرها في العدوّ وبخاصة في القلاع والحصون والمدن ، والخطط التعبوية في مختلف صفحات القتال ، والحيل والمكايد .

---

(١٧) مصادر التراث العسكري (١/١٦٠ – ١٦٢) .
(١٨) فهرست ابن النديم (٣١٤ – ٣١٥) .
(١٩) فهرست ابن النديم (٣١٥) .

ومن الأمثلة على هذا النوع كتاب : (الدبابات والمنجنيقات والحيَل والمكايد) ، قال ابن النديم في وصفه : « رأيته بخط ابن خفيف » (٢٠) . ويُعدّ هذا الكتاب شرحاً للأسلحة المتطوّرة بالنسبة للقرون الوسطى .

١١ – . النوع الحادي عشر ، في البيطرة :

يشمل علاج الدواب كافة : الخيل ، البغال ، الحمير ، البقر ، الغنم ، الإبل .

ومن الأمثلة على ذلك كتاب البيطرة ، ألفه ابن أخي حزام في البيطرة للخليفة المتوكل ، وكتاب ألفه حكيم من حكماء الرّوم في علاج سائر الدواب ، وكتاب البيطرة لسموس ، مفقود ، وكتاب نقله إسحق بن علي بن سليمان ، مجهول المؤلّف (٢١) .

١٢ – . النوع الثاني عشر في الجوارح واللّعب في الصيد والقنص :

وهو حول البُزاة وغيرها من الجوارح ، التي يستفاد منها للصيد والقنص ، وكيفية صيدها ، وتربيتها وتدريبها ، والاستفادة منها واستخدامها ميدانياً للصيد والقنص .

ومن الأمثلة على هذا النوع ، كتاب الجوارح لمحمد بن عبد الله بن عمر البازيار ، وكتاب البزاة مجهول المؤلّف ، وكتاب الجوارح واللّعب بها ، لأبي دلف القاسم بن عيسى (٢٢) ، وكتاب الجوارح والصيد لعبد الله بن المعتز (ت٢٩٦ هـ = ٩٠٨ م) ، تحقيق رضا تجدد في (١٣٠) صفحة (٢٣) .

١٣ – . النوع الثالث عشر ، إرشادات للمجاهدين :

يبحث في أهمية فريضة الجهاد ، والآيات والأحاديث الواردة في الحث

---

(٢٠) فهرست ابن النديم (٣١٥) .
(٢١) فهرست ابن النديم (٣١٥) .
(٢٢) فهرست ابن النديم (٣١٥) .
(٢٣) مصادر التراث العسكري (١/٢٠٩) .

على الجهاد ، ومنزلة المجاهدين ، والشهادة والشُّهداء وحياتهم المستمرة ومنزلتهم في الجنّة ، وإرشاد المجاهدين من مغادرة منازلهم ، حتى وصولهم إلى ميادين القتال ، في مختلف صفحات القتال ، وكيف يسعى ليقتُل ولايُقتل ، وما تشكيلات القتال التي يتخذها المجاهد ضمن إخوانه المجاهدين ، كيف يكون نافعاً في عمله الجهادي .

ومن الأمثلة على هذا النوع ، كتاب : (إرشاد المجاهدين في العمل بالميادين)، وكتاب : (إرشاد العباد إلى الغزو والجهاد) ، لأحمد فخر الدين النقشبندي الموصليّ ، ألّفه سنة ١٣٣٠هـ ، وطبع في استانبول – ١٣٣٦هـ ، في (٢٥٠)صفحة وكتاب:(الارشاد في أحكام الجهاد)،لمؤلف مجهول ، وكتاب الارشاد في فضل ارباب الذكر والجهاد لعفيف الدين ابى المعالي على بن عبدالمحسن ، الشهير بابن الدّواليبيّ (ت ٨٥٨هـ = ١٤٥٤م) .

(١٤) . النوع الرابع عشر ، إرشادات عملية للمقاتلين :

وهي خلاصة تجارب عمليّة في ميادين القتال ، وفي المعسكرات ، كتبها أصحاب التجربة العملية من العلماء المقاتلين ، لإرشاد إخوانهم في السّلاح . ومن أمثلة هذا الكتاب : (تبصرة أرباب الألباب في كيفية النّجاة في الحروب من الأسواء) ، لمَرْضي بن علي بن مَرْضِي الطرسوسيّ (ت ٥٨٩ هـ = ١١٩٣ م) ألّفه لصلاح الدين الأيوبي ، وقد حقّقه كلود كاهين وترجمه إلى الفرنسية ، في مجلة الدراسات الشرقية التي يصدرها المعهد الفرنسي بدمشق ، (انظر المجلد السابع من المجلة الصادرة ١٩٤٧ – ١٩٤٨ ، ص ١٠٧ – ١٦٣) ، ثم أفردت في رسالة ، وأعادت مكتبة المثنى ببغداد طبعها بالاوفست (طهران – ١٩٦٨ – ٢٤ صفحة) واقتصر في النشر على النصّ العربي (٢٤) .

١٥ – . النوع الخامس عشر ، الجنود والتّجنيد :

وهذا النوع يتحدّث عن أساليب اختيار الجنود ، وأساليب تجنيدهم ، وأساليب تدريب المستجدين منهم ليصبحوا جنوداً مدرّبين ، وأساليب تسليحهم

(٢٤) مصادر التراث العسكري (١/١٥١ – ١٥٢) .

وتنظيمهم ، وفيه حثّ على الجهاد ، وإبراز لدور المجاهدين ، ودرجات الشهداء عندالله ، وحياتهم المستمرّة ، والاستعراض ، وأسلوب تعداد الخسائر في المعارك بشكل دقيق للغاية .

ومن الأمثلة على هذا النوع ، كتاب : (السّعي المحمود في نظام الجنود) لمحمد بن محمود بن حسين الجزائري ، الحنفي ، المعروف بابن العنابي (ت ١٢٦٧ هـ = ١٨٥١ م) ، ألّفه سنة (١٢٤٢ هـ = ١٨٢٦ م) . وكتاب : (السّعي المحمود في نظام الجنود)لزين العابدين عبدالقادر بن أحمد بن علي الفاكهي (ت ٩٨٩ هـ = ١٥٨١ م) ، منه نسخة خطية في المكتبة الأزهرية بالجامع الأزهر في القاهرة برقم ٤٢٧٩٩ ، قوامها ١٧٦ صفحة(٢٥) .

١٦ – . النوع السادس عشر ، الشامل :

وهو النوع الذي يشمل أهمّ الأمور العسكرية ، من مزايا المقاتلين ، إلى مزايا أسلحتهم ، إلى أساليب قتالهم ، إلى تشكيلاتهم القتالية ، إلى لمحات من قتال المشاة ، ولمحات من قتال الفرسان ، ولمحات من قتال المدن والحصون والقلاع ، ولمحات من القتال البحري . كما يشمل مزايا الجندي الجيّد والقائد الجيد .

ومن هذا النوع كتاب : (الأدلة الرّسمية في التعابي الحربية) لمحمد بن منكلي الناصري (ت ٧٨٤ هـ = ١٣٨٢ م) نقيب الجيش في زمن الأشرف شعبان سلطان مصر (٧٦٤ – ٧٧٨ هـ = ١٣٦٢ – ١٣٧٦ م) ، وهو هذا الكتاب الذي نحققه ، ونعود إليه بشيء من التفصيل وشيكا إن شاء الله(٢٦) .

١٧ – . النوع السّابع عشر ، الأسطول والبحريّة :

ويشمل الأسطول والبحرية ، تدريباً وتسليحاً وتنظيماً ، أساليب القتال في

(٢٥) مصادر التراث العسكري (١/٣٨٣) .

(٢٦) مصادر التراث العسكري (١/٤٦) .

البحر ، أنواع سفن الأسطول ، مزايا سفن الأسطول ، صناعة السّفن ، الخيل ، والمكايد في البحر ، أساليب إحباط خطط العدو التعبوية في البحر .

ومن الأمثلة على هذا النوع ، كتاب : (الأسطول) لأحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥ هـ = ١٤٤١ م) في كتابه : (السلوك لمعرفة دول الملوك) ، تحقيق د . محمد مصطفى زيادة (ط ٢ – القاهرة – ١٩٥٦ – ١٩٧٠) ص ١٣ – ٤٥٧ . وكتاب : (الأسطول) لعبدالله بن العبّاس الجراري (تقدّم العرب في العلوم والصناعات) – دار الفكر العربي – القاهرة – ١٩٦١ – في ص ١٦٢ – ١٦٨ . وكتاب : (الأسطول العربي منذ الفجر الإسلامي حتى أواخر عهد المماليك) لرفيق المهايني (رسالة ماجستير – الجامعة الأمريكية – بيروت – ١٩٤٢) في ٢٤١ ورقة (٢٧) .

١٨ – . النوع الثامن عشر ، كتب السِّيَر والتّفسير والحديث والفقه :

أ . كُتُب السِّيَر :

وهي الكتب التي تشمل ما نسميه اليوم : العلاقات الدولية في الإسلام ، أو القانون الدولي في الحرب والسّلام والحياد وتفاصيل معضلاتها وتفاصيل حلولها في الأسرى والجرحى والأملاك المنقولة وغير المنقولة وبيوت العبادة والأولاد ، ودار الإسلام ودار الحرب ، والجزية والخراج ....

وأهم هذه الكتب : السِّيَر الكبير لمحمدّ بن الحسن الشيباني ، ويدور موضوع الكتاب حول جميع الأمور المتعلّقة بالحرب ، وعلاقتها بالمشركين ، وأحكامها ، فهو في الحقيقة القانون الدولي للمسلمين في أمــور الحــرب . وعلى هذا تكلّم محمد بن الحسن عن أهل الإسلام وأهل الحرب المشركين ، وبيّن أحكام الأسارى من الفريقين ، سواء أكانوا رجالا أم نساءً أم اطفالا ، وإسلام المشركين ، والأمان على اختلاف ضروبه وألفاظه ، والمستأمنين ، والرّسل الذين يفدون إلى دار الإسلام من دار الحرب ، والحصانات التي يتمتّعون بها والغنائم والصلح

(٢٧) مصادر التراث العسكري (١/٦٤ – ٦٥) .

والتحكيم ، والفداء ، وأحكام السّلاح والرقيق والكراع ، والأراضي التي يستولي عليها أهل الحرب ، في الحرب ، وأهل الإسلام في دار الحرب ، ونقض المعاهدات ، وجرائم الحرب ، هذا إلى مئات من المسائل المتعلّقة بأهل الحرب وصلاتهم بالمسلمين في أيام الحرب ، والسلم معا .

وقد اعتمد الشيباني في ذلك كلّه على القرآن والأحاديث النبويّة التي قيلت في مغازي الرسول عليه الصّلاة والسّلام على أثر حوادث معيّنة وقعت ، وعلى الأحكام التي وقعت في أثناء حروب المسلمين وفتوحهم ، كما أعمل القياس في أحايين كثيرة ، وجعل لكلّ ذلك أحكاماً جيّدة .

ومن هنا يبدو شأن هذا الكتاب في ناحية القانون الدولي الإسلامي ، وقد أعجب الرشيد بهذا الكتاب عندما اطّلع عليه ، وعدّه من مفاخر أيامه ، وأرسل ابنيه يستمعانه على مؤلّفه . وزاد الاهتمام به في أيام الدولة العثمانية ، فترجم إلى اللّغة التركية في أيام السّلطان محمود خان ، واتّخذ أساساً لأحكام المجاهدين العثمانيين في حروبهم الدول الأوربية .

كما عني الكثيرون به ، فشرحوه ، وأهم شرح له هو شرح السَّرَخْسِيّ والجمال الحُصِيرِيّ (ت ٦٣٦ هـ) .

وقد كان الشّيباني ، بتأليفه في أمور تتعلّق بالقانون الدولي ، أسبق من غروسيوس الهولندي Grotius (١٥٨٣ – ١٦٤٥) الذي عاش في القرن السابع عشر وسمّي أبا القانون الدولي ، لأنه بحث في بعض الأمور الخاصة بالقانون الدولي ، وسبق مَنْ سبق غروسيوس أو عاصروه مثل : Vitoria, Suarez, Vasquez ، من الفقهاء غير المسلمين .

وقد تنبّه في السنوات الأخيرة لشأن الشيباني من هذه الناحية المشتغلون بالقانون الدولي ، فأسّست في كوتنكن بالمانيا جمعية الشيباني للحقوق الدولية ، وضمّت علماء القانون الدولي والمشتغلين به في مختلف بلاد العالم ، وتهدف الجمعية إلى التعريف بالشيباني ، وإظهار آرائه قي هذا الباب ، ونشر مؤلفاته

المتعلقة بذلك (٢٨) .

وشرح كتاب : السير الكبير للشيباني ، محمد بن أحمد السّرخسيّ في ثلاثة أجزاء ، وطبع في مطبعة مصر . بالقاهرة (١٩٥٨ – ١٩٦٠) .

وكتاب أهل الذمة لابن قيمّ الجوزية الذي حققه د . صبحي الصالح ، وطبع في مطابع جامعة دمشق سنة ١٣٨١ هـ .

ويشمل هذا الكتاب ، معضلات الأسرى ، والجزية ، والأمان ، والجهاد ، والحربي ، والخراج ، والخمس ، ودار الإسلام ، ودار الحرب ، والذمة والرّمي ، والردّة ، السلاح ، السلام ، الشرطة ، الصلح ، الضمان ، العهد ، الغلول ، الغنيمة ، الكافر ، المال، المجوسي ، المستأمن ، الهدنة (٢٩) ، وابن قيم الجوزية (ت. سنة ٧٥١هـ = ١٣٥٠م) ، وهو كتاب مهمّ للغاية في موضوعه .

ب . كتب التفسير :

هناك تفاسير للقرآن الكريم قديمة وحديثة ، القديمة منها تزيد على العشرين تفسيراً ، والحديثة منها نحو عشرة تفاسير ، وليس من شأننا تعداد التفاسير وأسماء المفسرين ، لأنّ ذلك يشطّ بنا عن الموضوع ، ولكن سنقتصر على ذكر تفسيرين هما من أهمّ التفاسير ، كما أنهما يبحثان في الجهاد والشهادة والغزوات ويفسّران الآيات الكريمة حول الناحية العسكرية من حياة النبي صلى الله عليه وسلّم

أولاً : تفسير الطبري :

الإمام أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري ، المجتهد المطلق ، أحد أئمة الدنيا ديناً وعلماً ، من الأئمة المجتهدين ، لم يقلدّ أحداً . قال السّيوطي في الإتقان : « إنّه أجلّ التفاسير وأعظمها ، إنّه يتعرّض لوجوه الإعراب والاستنباط وتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض ، فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين » .

(٢٨) شرح كتاب السير الكبير للشيباني – شرح السرخسي (١/١١ – ٢) .
(٢٩) انظر مجمل ما يشتمل عليه كتاب : احكام أهل الذمة – (٢/٩٧٢ – ٩٩٠).

وقال النووي : « أجمعت الأمة على أنه لم يُصنَّف مثل تفسير الطبري » ، وعن أبي حامد الاسفرايني أنه قال : « لو سافر رجل إلى الصين ، حتى يحصل له على تفسير ابن جرير ، لم يكن ذلك كثيراً » .

ورُوي أنّ أبا جعفر قال لأصحابه : « أتنشطون لتفسير القرآن » ، قالوا : كم يكون قدره ؟ » فقال : « ثلاثون ألف ورقة » ، فقالوا : « هذا مما تفنى به الأعمار قبل تمامه » ، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة .

ولد الطبري سنة (٢٢٤ هـ = ٨٣٨ م) بآمل طبرستّان ، وتوفي سنة (٣١٠هـ = ٩٢٢ م) ببغداد على الأصح (٣٠) .

ولاريب في أنّ هذا التفسير هو أوسع التفاسير المعتمدة ، يتميّز بسعته وشموله وعنايته بذكر أسماء ومساند مَن اعتمد عليهم ، ومصدره الرئيس في تفاصيل ما أورده من الحوادث هو مؤلفو السيرة – وخاصة الزُّهري وعُروة ابن الزُّبير . والتفسير مطبوع بتحقيق الاستاذ محمود محمد شاكر ، وجرى طبعه في القاهرة .

ثانياً : تفسير الآلوسي المسمّى بروح المعاني :

هو تفسير العلامة محمود شهاب الدين الآلوسي ، ليس له في الجمع والتحقيق ثانٍ ، اشتمل على تسع مجلدات ضخام ، حوت من الدقائق والحقائق مالا يسع شرحه كلام ، وهو خالٍ من الأباطيل والإسرائيليات ، والروايات الواهية والخرافات ، وجامع للمعقول والمنقول بتفصيل وسط مقبول ، قد تعقّب فيه على الزّمخشري والبيضاوي وأبي مسلم الأصفهاني وهو محمدبن بحر المتوفى سنة (٣٢٢ هـ = ٩٣٣ م) ، وكذا على الرازي في كثير من المسائل ، وجمع غرر فوائد التفاسير . ولد الآلوسي سنة(١٢١٧ هـ = ١٨٠٢ م) وتوفي سنة (١٢٧٠ = ١٨٥٣ م) ببغداد (٣١) ،

(٣٠) تاريخ التفسير (١٤٢ – ١٤٤) .
(٣١) تاريخ التفسير (١٤٤ – ١٥٢) .

وفي تفسيره تفاصيل عن الجهاد والشهادة والشهداء وغزوات النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، مقتبسة من سيرة ابن هشام ومغازي الواقدي وأخبار الطبري في تاريخه وتفسيره وأخبار ابن كثير في البداية والنهاية وفي تفسيره أيضا ، ومن كتب الحديث والفقه والتفسير ، مطبوع ، ويدرّس في الأزهر الشريف .

ج . كتب الحديث :

عني أهل الحديث بجمع أخبار النبيّ صلى الله عليه وسلّم وأقواله ، وجمعوا معلومات عن سيرته . والكتب القديمة المعتمدة وفي الحديث هي : صحيح البخاري ، وصحيح مُسلم ، وسُنن أبي داود ، وسُنن الترمذي ، وسنن النسائي ، وسنن ابن ماجة ، وسنن الدارمي ، وكلّها مرتبة على أبواب الفقه ، وفيها فصول عن غزوات النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأعماله في المدينة ، كثير منها يطابق ما رواه أهل المغازي ، وفيها إضافات غير قليلة عن أعماله وأحكامه وعلاقاته .

ومن أوسع كتب الحديث مسند أحمد بن حَنْبل الذي رَتّب مادته تبعاً للرواة ، وقد فاق ابن حنبل المحدّثين الآخرين في المعلومات التي أوردها عن سيرة النبيّ عليه الصّلاة والسلام ، حيث سجّل معلومات مهمّة غير قليلة . ومنها العسكرية ، لم ترد في كتب الحديث الأخرى .

إنّ معظم ما جاء في كتب الحديث المعتمدة عن غزوات النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، لا تزيد كثيراً عما ورد في كتب المغازي وسيرة النبيّ صلّى الله عليه وسلم ، ولكن معلومات كتب الحديث أوثق من معلومات كتب المغازي ، لأنّ المحدّثين يبالغون في توثيق مايروونه من أحاديث ، ولا يأخذون إلاّ عن ثِقات الرواة المشهود لهم بالصدق والاستقامة والأمانة في النقل ، ولا يمكن أن يقبلوا أحاديث من رواة غير موثوقين أو عُرف عنهم التزوير أو الكذب ، لذلك كانت معلومات مصادر الحديث أوثق من معلومات مصادر المغازي ، ولها أهمية متميزة خاصة .

ويكفي هنا ، أن أُعدّد ما جاء في صحيح البخاري في كتاب المغازي منه :

غزوة العُشَيْرَة ، غزوة بَدْر ، غزوة أُحُد ، غزوة الرَّجِيْع وَذَكْوان ورِعْل وبئر مَعُوْنَة وحديث عُضَل والقَارَة ، غزوة الخندق وهي الأحزاب ، غزوة ذات الرِّقاع ، غزوة بني المُصْطَلِق ، غزوة أنْمار ، غزوة الحُدَيْبِيَّة ، غزوة خَيْبَر ، غزوة زيد بن حارثة ، غزوة القَضَاء ، غزوة مُؤْتَة ، غزوة الفتح (٣٢) ، تفاصيل غزوة الفتح ، غزوة حُنَيْن ، غزوة أوطاس ، غزوة الطائف ، السرية قِبَل نَجْد ، بعث خالد بن الوليد إلى بني جُذَيْمَة ، بعث عليّ بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن ، غزوة ذات السّلاسل ، غزوة سِيْف البحر ، غزوة عُيَيْنة بن حِصْن .. الخ .. غزوة تَبوْك (٣٣) .

وتجد في باب الجهاد من صحيح البخاري : فضل الجهاد ، أفضل الناس مؤمن مجاهد ، باب الدعاء والشهادة للرجال والنساء ، درجات المجاهدين في سبيل الله ، الغدو والروحة في سبيل الله ، تمنّى الشهادة ، تمنّي المجاهد أن يرجع إلى الدنيا ، الجنة تحت بارقة السيوف ، الشجاعة في الحرب والجبن ، ما يتعوذ من الجبن ، مَن حدّث بمشاهده في الحرب ، وجوب النّفير ، مَنْ اختار الغزو على الصّوم ، الشّهادة سبع سوى القتل ، لايستوى القاعدون غير أولى الضرر من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله ، الصبر عند القتال ، التحريض على القتال ، النفقة في سبيل الله ، فضل مَنْ جهز غازيا ، فضل التحنّط عند القتال ، فضل الطليعة ، الخيل ، الجهاد ماضٍ مع البرّ والفاجر ، مَنْ احتبس فرساً في سبيل الله ، سِهام الفرس ، الخيل وتدريبها ، جهاد النساء ، غزو المرأة في البحر ، حمل الرجل امرأته في الغزو ، غزوات النساء وقتالهنّ مع الرجال ، مداواة النساء الجرحى ، نزع السهم من البدن ، الحراسة في الغزو في سبيل الله ، الخدمة في الغزو ، فضل مَن حمل متاع صاحبه في السفر ، فضل رباط يوم في سبيل الله ، مَنْ غزا بصبيّ للخدمة ، الاستعانة بالضعفاء

---

(٣٢) فتح الباري بشرح البخاري (٧/٢١٧ — ٤٠١) .

(٣٣) فتح الباري بشرح البخارى (٨/٢ — ٩٥) .

والصالحين في الحرب ، التحريض على الرّمي ، الأسلحة وأنواعها وتجهيزات المقاتلين ، قتال الأمم ، الخ ، الأسرى ، الغنائم ، الغُلول ، البشارة في الفتوح ، استقبال الغزاة ، الجزية ، الموادعة ، آداب الحرب . . . الخ (٣٤) . . .

وحين نقرأ كتاب : فتح الباري بشرح البخاري ، لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ = ١٤٤٩ م) ، نجد أنّ الشّارح غطّى جميع كتب المغازي وسير النبي صلى الله عليه وسلّم المعتمدة تغطيةً شاملة ، فلا مناص من دراسة كتب الحديث وشروحها ، إذا أُريد أن تكون الدراسات العسكرية العربية الإسلامية وافية مفيدة تنفع الناس وتمكث في الأرض .

إن كتب الحديث وشروحها من أهم مصادر التراث العسكري العربي الإسلاميّ .

د كتب الفقه :

تبحث كتب الفقه أساساً في أوامر الله ونواهيه كما وردت في كتاب الله وسُنّة نبيّه عليه الصّلاة والسلام ، ، وفيها معلومات غزيرة عن سيرة النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم وأعماله ، لأنّ السُنّة هي بعد القرآن الكريم المصدر الثاني للتّشريع الإسلاميّ . ويختلف مقدار ما يتعلّق بالنبيّ صلى الله عليه وسلّم من معلومات في كتب الفقه المختلفة ، ولعلّ أوسع مادة في الكتب الفقهيّة المختصّة بالمالية ، بالنسبة لما وصلنا منها هو كتاب : (الخراج) لكلّ من أبي يوسف (ت ١٧٦ هـ = ٧٩٢ م) ويحيى بن آدم (ت ٢٠٥ هـ = ٨٢٠ م) ، إلاّ أنّ أوسعها هو كتاب : (الأموال) لأبي عُبَيد القاسم بن سلاّم (ت ٢٢٤ هـ = ٨٣٨ م) ، الذي ذكر كثيراً من أعمال النبي صلى الله عليه وسلّم وتنظيماته في الأمور المالية ، بالإضافة إلى أحكام عدد من الخلفاء الأولين في ضرائب الأرض من خَراج وعُشور ، والجزية ، والغنائم ، والزّكاة . وقد نقل ابن زنجويه حميد بن مَخلد (٣٥) (ت ٢٥١ هـ = ٨٦٥ م) في كتابه :

(٣٤) فتح الباري بشرح البخاري (٦/٢ – ٢٠٤) .
(٣٥) انظر سيرته في القاموس الاسلامي (٣/٩٥) .

(الأموال) معظم ما ذكره أبو عُبيد القاسم بن سلاّم ، وزاد عنيه إضافات قليلة .

ويمكن أن نعتبر الكتب التي عنوانها : (الآثار)أو السُّنَن ، من صنف كتب الفقه وكتب الحديث معاً ، فهي سُنن مبوّبة ومصنفه بإسلوب فقهيّ ، وفيها معلومات غزيرة عن أعمال الرسول عليه الصّلاة والسّلام وتنظيماته ، وأوسع ما وصلنا من كتبها الأولى كتاب : (الآثار) لابن أبي شيبة (ت ٢٣٥ هـ = ٨٤٩ م) و(مصنف) عبد الرزاق الصّنعاني (ت ٢١١ هـ = ٨٢٦ م) وكتاب : (السُّنن) للبيهقي الشّافعي (ت ٤٥٨ هـ = ١٠٦٦ م) الذي اعتمد مادوّنه أبو شيبة في : (الآثار) ، وأضاف إليه معلومات أخرى .

وتهتم كتب الفقه بالعبادات والأحكام بالدرجة الأولى ، ولكنها لاتُغفل باب الجهاد والغزوات . فيما تضمّ من معلومات ، تكوّن المادة الأولية للدراسة الخاصة بالتراث العسكري العلمي العربيّ الإسلامي ، لانها تهتم بالحوادث وتطوّراتها التاريخية فيما يخصّ حياة النبي صلى الله عليهوسلّم بعامة ، وحياته العسكرية بخاصة .

إنها مصادر مفيدة للغاية في الدراسات التراثية العسكرية العربية الإسلامية .

١٩ — النوع التاسع عشر ، كتب التاريخ ، وكتب الشمائل ، وكتب تاريخ البلدان ، وكتب الأنساب ، وكتب تراجم الرجال :

ا . كتب التاريخ :

أولاً : عام :

يهمنا هنا من كتب التاريخ العربي الإسلامي ، حياة النبيّ صلى الله عليه وسلّم العسكرية ؛ غزواته وسراياه ، وحروب الردّة على عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، والفتوح ، ومعارك الدفاع عن البلاد العربية والإسلامية ، وأسلحة الفتوح والدفاع ، وعبرة الأحداث . إن التاريخ العربيّ الإسلامي هو في الواقع تطبيق عملي لفريضة الجهاد في ميادين القتال ، فهو التطبيق لنظريات الجهاد عملياً في الحرب .

وقد برز مؤرخون عرب ومسلمون كبار في عهد مبكر من عهود الإسلام منهم خليفة بن خياط اللّيثي العُصفري (ت حوالي ٢٤٠هـ =٨٥٤م) ، ألّف كتاب : الطبقات ، وكتاب التاريخ ، وكتاب طبقات القرّاء وتاريخ الزمنى والعرجان والمرضى والعميان . ويكشف ابن خياط في كتاب التاريخ عن اهتمامات تاريخية لا نجدها لدى الطبري نفسه : يذكر أسماء الشهداء ، المواقع والغزوات ، ويقدّم قائمة هامة بأسماءالعمال والولاة في عهود الخلفاء ومَن كان من الموظفين الكبار على الشرطة وبيت المال والخزائن وغير ذلك من وظائف الإدارة، فهو من هذه الناحية مصدر لايستغنى عنه لدراسة النظام الإداري والمالي الإسلامي .

وبرز محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجُعْفي (ت. ٢٥٦ هـ = ٨٧٠ م) ، وهو من الحديث النبوي ورجال الحديث في القمّة ، و : (صحيح البخاري) أشهر من أن يُعرّف . ومن مصنّفاته (التاريخ الكبير) ، وهو مصنّف ضخم جمع نحواً من أربعين ألف ترجمة لرجل وامرأة من رواة الحديث ، مرتبة على حروف المعجم ، وتبدأ بالمحمّدين ، وقد ملأت ثماني مجلّدات مطبوعة (طبع في حيدر آباد الدكن مابين (١٩٤١ — ١٩٦٣ م) ، ولعله أقدم كتب التراجم المرتّبة على الأحرف الأبجديّة .

وللبخاري أيضاً : التاريخ الأوسط ، وهو مرتّب على السنين ، ولعلّه أقدم كتب الوفيات ، ولكنه ما يزال مفقوداً ، ليس منه سوى ٥٦ ورقة مخطوطة ضائعة البقية في مكتبة بنكيبور في الهند (١٢ : ٣٢ رقم ٦٨٧) .

وكتاب التاريخ الصغير ، ومنه مخطوطات عديدة في برلين وكلكتا ، والظاهرية بدمشق ، وقد نشر بتحقيق محمد الجَعْفري في الله آباد سنة ١٣٢٤ هـ ، ثم أحمد آباد سنة ١٣٢٥ هـ .

وكتاب التاريخ في معرفة رواة الحديث ، ونقلة الآثار والسُّنن وتمييز ثقاتهم من ضعفائهم ، وتاريخ وفاتهم ، ومنه مخطوط بمكتبة سراي باستامبول (مدينْة رقم ٥٢٤ في ١٨ ورقة) .

وكتاب التواريخ والأنساب ، وهو كتاب تاريخي لامنهج له ، يضم بعض المعلومات أو التواريخ الهامة ، ويتناول بالترجمة بعض الشخصيات العلمية ، ومنه مخطوط في مكتبة أحمد الثالث باستامبول (رقم ٢٩٦٩ / ٢ — في ١٧ ورقة ، من ورقة ٣٨٢ وجه حتى ٣٩٩ ظهر) .

وكتاب الكُنىَ وقد طبع في حيدر آباد الدكن سنة ١٣٦٠ هـ .

وهذا الجهد التاريخي الواسع ، جعل البخاري في رأي الكثيرين ، ومنهم ابن حجر العسقلاني ، أوّل مَن صنّف في تاريخ الصحابة والمحدّثين .

وسنذكر أهم كتب التاريخ التي تفيدنا في التراث العسكري العربي الإسلامي.

ب . فتوح البلدان :

ألّفه أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩ هـ = ٨٩٢ م) ، وهو من رجال البلاط العباسي من عهد المتوكّل إلى عهد المعتزّ ، ومصادر معلوماته تعتمد شيوخه الأربعة في بغداد : ابن أبي شيبة ، والقاسم بن سلاّم ، والمدائني ، ومحمد بن سعد ، ولكنه أغنى معارفه كثيراً بالرحلة ، فقد زار مدن الشّام والحجاز وإيران بحثاً وراء المعرفة ، بل زار مواقع الأحداث التاريخية بنفسه .

وكتابه : فتوح البلدان ، سجل شامل للفتوح الإسلامية ، وقد فَصّلَ فيه البلاذري فتوح كل بلد وكلّ ما يتعلّق به نقلاً عن أهل البلد أنفسهم وكتبهم . وأهمية الكتاب ، تظهر فيما أورد من معلومات ثقافية واقتصادية وإدارية ، فقد فصّل في منازل السّلطان والقبائل العربية بعد الفتح ، وفي إنشاء المرافق العامة ، وفي انتقال الهجرة ومسالكها ، وفي مصدر الأسماء الخاصة ، وقد استطاع أن يصفّي المادة التي جمعها ثم ينسقها .

ومن كتب البلاذري : أنساب الأشراف ، طبع منه الجزء الأول وبعض الرابع والخامس ، وفيه ما يفيد التاريخ العسكري .

ج . تاريخ الطبري :

محمد بن جرير الطبري (٢٢٥ هـ = ٣١٠ هـ — ٨٤٠ — ٩٢٢ م) عَلَم معروف في التاريخ الإسلامي وفي التفسير .

بلغ به التدوين التاريخي نهاية عمر التكوين والنشأة ، وسجّل قمة من قمم التاريخ الحقيقي بدأ دراسته في (آمُل) من طبرستان ، ثم في الريّ ، وتتلمذ على الرّازي والدولابي ، وكتب عن ابن حميد أكثر من مئة ألف حديث .

ورحل إلى بغداد ، ثم ذهب إلى البصرة ، وأقام بواسط ثم بالكوفة ، وكتب عن محمد بن العلاء الهمذاني مئة ألف حديث ، ثم عاد إلى بغداد ، ثم غرّب إلى الشّام ، ثم مصر سنة ٢٥٣ هـ ثم عاد إلى بغداد فواسط فطبرستان ثم بغداد ، كل ذلك في طلب العلم ، حتى انتهت إليه الرئاسة في التفسير والفقه والتاريخ .

فرغ الطبري من التاريخ سنة ٣٠٣ هـ ، وانتهى به سنة ٣٠٢ هـ .

والطبري طالب علم دائم ، لا يعرف التعب ، مكثر من مادته ، ذلك أنه بقي أربعين سنة يكتب كلّ يوم ورقة ، وما من شك أنه كان حديد الذاكرة في مادته .

وتاريخ الطبري يحمل اسم : تاريخ الرّسل والملوك ، ويسميه بعضهم : تاريخ الأمم والملوك ، ويمكن أن نقسم هذا التاريخ على قسمين أساسيين : ماقبل الإسلام ، وما بعده .

أما القسم الأول ، فهو بحث عن الخليفة والبدءوهبوط آدم وقصة هابيل وقابيل ، ثم عرض للأنبياء : نوح وإبراهيم ولوط وأسماعيل وأيوب وشعيب ويعقوب ويوسف وموسى وإلياس وداود وسليمان وهود وصالح ويونس وعيسى ومحمّد . وأرخ بعد ذلك للأمم ، فذكر تاريخ الفُرس منذ عهده الأول وواقعة ذي قار ، ثم تحدث عن بني إسرائيل وأخبارهم ، ثم ذكر ملوك الرّوم منذ المسيحية ، ثم عطف على عادٍ وثمود وطسم وجديس وجُرهم ، ثم ملوك اليمن وبعض مشاهير الأسماء العربية كالزبّاء ، ثم تحدث عن أجداد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم تمهيداً لعهد الرسالة ، ولم يتّبع في هذا القسم ترتيب السنين ، ولكنه دوّنه على أساس الموضوعات .

أما القسم الثاني ، فقد تناول التاريخ الإسلامي منذ عهد الرسول عليه الصّلاة والسلام ، حتى سنة ٣٠٢ هـ ، وفي هذا القسم حياة الرسول صلّى الله عليه وسلّم والخلفاء الراشدين وبني أمية وبني العباس ، وفيه غزوات النبيّ صلّى الله عليه وسلّم والفتوحات الإسلامية ، ومعارك الدفاع ، ومعلومات قيمة عن قادة الفتوح والدفاع ، وهذا القسم هو الذي يهمنا من تاريخ الطبري .

ومصادر الطبري في السيرة النبوية من تاريخه ، هي : أبان بن عثمان ، وعُروة بن الزبير ، وشرحبيل بن سعد وموسى بن عُقبة وعاصم بن عمر وابن شهاب الزهري وابن إسحق .

ومصادره في حروب الردّة ، عن سيف بن عمر الأسدي ، والمدائني ، وأخذ تاريخ الأمويين عن عوانة بن الحكم وأبي مخنف والمدائني والواقدي وهشام الكلبي .

وأهم الملاحظات التي تمكن أن تُسجّل حول هذا العمل التاريخي الضخم هي :

— أن المادة التاريخية التي أتى بها الطبري في تاريخه ، تُعَدُّ من أوثق المواد ، لأنه محدّث ثقة ، حاول انتقاءها وتنخلها جهد طاقته ، وأوردها دوماً بالنصوص عن أصحابها الرواة الأولين .

— لم يمل الطبري مع أيّ هوى في إيرادالأخبار التاريخية الإسلامية ، وكان حياده في الغالب عن ورع ودقّة علمية ، لأنّه أملى التاريخ تأييداً وتتمة لكتابه في التفسير القرآني .

— تاريخ ما قبل الإسلام في الطبري ، لا يشغل إلا أقلّ من عُشر الكتاب أما التاريخ الإسلامي ، فقد قام الطبري فيه بما قام به البخاري ومسلم في الحديث ، أي اختيار المادة الصحيحة أو المتّفق على صحّتها من مجموع المادة التي تراكمت حتى عهده .

وقـد انعكس في تاريخ الطبري أثر ثقافته محدِّثاً وفقيها ، فأسلوبه في التدوين على منهج أهل الحديث ، فتحرّى الثِّقات من الرواة قدر طاقته ، واتّبع في تنظيم مادته النظامين المعروفين معاً : فلما لم يكن بإمكانه اتباع التسلسل الزمني الحولي في الأوقات الغامضة السَّابقة للإسلام ، فقد أوردها على أساس الموضوعات، بينما نظم تاريخه في القسم الإسلامي على أسلوب الحوليات على السنين ، ولم يكن أول مَنْ اختطّ هذه الطريقة ، فقد سبقه إليها في التدوين التاريخي كثيرون منذ أواخر القرن الثاني الهجري ، لعلّ أولهم هو الهيثم بن عَدِيّ (ت ٢٠٧ هـ = ٨٢٢ م) وله كتاب في التاريخ مرتّب على السنين (٣٦).

ولا يستغنى عن تاريخ الطبري مؤرِّخ في تاريخ حروب الردّة ، وتاريخ معارك الفتوح ، وقادة الفتوح ، فهو أهم مصدر تاريخي بالنسبة لهم ، وبالنسبة لمؤرخيّ تاريخ الحرب العربيّ الإسلاميّ .

د . تاريخ ابن الأثير :

مؤلِّفه عزّالدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري (٥٥٥ هـ — ٦٣٠ هـ = ١١٦٠ — ١٢٣٣ م) ، لم يعمل في الأعمال الحكومية لأنه يكرهها ويخاف أعقابها ، ولأنه كان ميسور الحال . وقد غلب عليه مع علم الحديث بل أكثر من علم الحديث حبّ التاريخ ، فكان كما قال ابن خلِّكان : « حافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة ، وخبيراً بأنساب العرب وأيامهم وأخبارهم لاسيما الصحابة » . ويعتبر ابن الأثير أبرز المؤرخين المسلمين بعد الطبري .

والكامل في التاريخ لابن الأثير ويقع في ١٢ مجلداً ، وقد طبع مرّات ، وهو تاريخ عام منذ الخليقة حتى عصره . ذكر ابن الأثير في مقدّمته سبب تأليفه ، وأن ذلك يرجع إلى ولعه بالتاريخ ، وإلى أنه وجد في التواريخ المطوّل الممل والمختصر المخل ، وأنّ بعض المؤرخين شغلوا بصغائر الأمور عن العظيم من الحادثات ، وأن بعضهم أرّخ لزمانه ، وبعضهم أرّخ لناحيته ومكانه ....

(٣٦) انظر التفاصيل في التاريخ العربي والمؤرخون (١/٢٣٤ — ٢٦٤) .

وعلى هذا الأساس جعل منهجه : التسجيل الحولي وذكر الأحداث الصغرى وبعض الوفيات في نهاية كلّ سنة . أما الأحداث المهمة فيعطيها عناوينها ضمن السّنة ، ولا يخرج بالأحداث من سنة إلى أخرى ، إلا عند الحاجة إلى الرّبط وخوف تفرّق الخبر ، وأقام بين هذا وذاك وبقدر استطاعته توازناً في الحجم بين أخبار المشرق والمغرب ، وبين أخبار الدول والملوك المختلفين ، مما أعطى كتابه طابع التاريخ العام أكثر من أيّ تاريخ عام لغيره ، وهو في الوقت نفسه لم يهمل الحوادث المحلية في كلّ إقليم ، وأخبار الظواهر الجويّة والأرضية من غلاء ورخص وقحط وأوبئة وزلازل .

وحرص ابن الأثير — بقدر علمه — على تعليل بعض الظواهر التاريخية وعلى نقد بعض الأخبار ، بل ونقد بعض السلوك في الناس . ونجد له النقد السياسي والحربي والأخلاقي والعلمي ، يدرج عفواً بين ثنايا الأحداث ، مما جعل شخصيته التاريخية واضحة على الدّوام في كتابه ، لاسيما حين أرّخ لأحداث عصره وتحدث عن الأيوبيين والزنكيين والصليبيين والمغول .

ولعل من أهمّ ما أعطى الكامل في التاريخ مكانه ، أنّ صاحبه تخيّر له المصادر ، ونستطيع أن نعـدّد منهـا حوالي ٣٢ مصدراً ، وأنه نقـد بعضها ، ومن جملتها الطبري نفسه ، وأنه كان يلخّص الأخبار أحسن تلخيص ، ويذكر أصحّ الروايات التي ارتضاها ، فإن ظلّ على شك من بعضها أورد الرواية الأخرى ، وترك للقارىء الحكم بين الروايتين ، وقليلاً ما كان يفعل ذلك . على أنّ التلخيص كان يتم أحياناً على حساب بعض التفصيلات المهمة التي لم ير فيها ابن الأثير كبير شأن .

وأعان المؤلّف على الإحسان في التأليف ، أنّ أسلوبه النثري كان موجز العبارة واضحاً جلياً ، كما كان أسلوباً سهلا مرسلاً ، يرصّعه أحياناً آية كريمة أو حديث أو مثل سائر أو بيت شعر ، وفيه أحياناً التّعليق الوعظيّ أو الانفعال أو اللّمحة السّاخرة (٣٧) .

(٣٧) التاريخ العربي والمؤرخون (٢/١١ — ١١٤) .

إنّ المؤرخ العسكري وكاتب تاريخ الحرب العربي الإسلامي لا يستغنى عن الكامل في التاريخ لابن الأثير .

هـ . البداية والنهاية لابن كثير :

ابن كثير إسماعيل بن عمر بن ضَوّ بن دِرع القُرشيّ البصروي ثم الدمشقي (٧٠١ — ٧٧٤ هـ = ١٣٠٢ — ١٣٧٣م) أبو الفدا ، عماد الدين ، حافظ مؤرخ فقيه . رحل في طلب العلم وتوفي في دمشق .

له مؤلفات عديدة ، أهمها : (البداية والنهاية) في التاريخ ، وقد طبع في ١٤ مجلداً ، على نسق الكامل لابن الأثير ، انتهى فيه إلى حوادث سنة ٧٦٧هـ .

والمعلومات الواردة فيه ، مصدرها الطبري وابن الأثير ، وهي موثوقة ، لأنه محدِّث . وفي تاريخه سيرة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وغزواته وسراياه وأخباره وإدارته في السلم والحرب ، وفيه حروب الردة ومعارك الفتوح ، والمعارك الدفاعية التي كانت بعد الفتوح دفاعاً عن البلاد المفتوحة ، وفيه سِيَر العلماء وتاريخ وفياتهم، تسجل في تاريخ وفاة كل عالم وشريف ونبيل وصحابي وقائد وإداري وذي منصب من مناصب الدولة الرفيعة .

وهذا التاريخ ، لا يمكن أن يستغنى عنه مؤرخ عسكري وكاتب في تاريخ الحرب العربية الإسلامية ، وأهميته لهم لا تقلّ أهمية عن تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير ، وقد استفدت منه كثيراً في دراساتي العسكرية وغيرها ، وعجبي لا ينقضي من إهمال ذكره والتنويه به من مؤرخي العرب والمسلمين وغير العرب والمسلمين ، وقد استُخرجت منه سيرة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وطُبعت في القاهرة ، وهي من أنفع السِّيَرَ النبوّية وأكثرها دقّة وشمولاً .

ب . كتب الشّمائل :

إنّ مكانة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم المتميزة في الإسلام وعند المسلمين وفي العالم ، كانت دافعاً لمؤلفات عن صفاته وأخلاقه وشمائله ودلائل نبوّته . وقد ذكر ابن النديم (ت ٤٣٨ هـ = ١٠٤٧ م) في : (الفهرست) عدداً من

المؤلّفين الأولين في ذلك ، ومنهم أبو البختري (ت ٢٠٠ هـ = ٨١٥ م) الذي ألّف في : (صفة النبيّ) صلّى الله عليه وسلّم . والهيثَم بن عَدِيّ (١١٤ — ٢٠٧ هـ = ٧٣٢ — ٨٢٢ م) الذي ألّف (وفود النبيّ) صلّى الله عليه وسلّم. والواقدي (١٣٠ — ٢٠٦ هـ = ٧٤٧ — ٨٢١ هـ) الذي ألّف : (أزواج النبيّ) صلّى الله عليه وسلّم ، والمدائني (١٣٥ — ٢٢٥ هـ=٧٥٢ — ٨٤٠م) ، الذي ألّف أربعة وعشرين كتاباً ، كلّ منها في جانب من حياة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأعماله ، وهذه الكتب مفقودة ، وأقدم ما وصلنا منه ما نقله ابن سعد في طبقاته عن هذه الجوانب من حياة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، ومحمد بن سعد والشهير بابن سعد (ت ٢٣٠ هـ = ٨٤٤ م) ، ولعلّ من أهم كتُب الشمائل هو كتاب : (دلائل النبوّة) للبيهقي الشافعي (٣٨٤ — ٤٥٨ هـ = ٩٤٤ — ١٠٦٦ م) وهو مطبوع بتحقيق الإمام الأكبر الشيخ عبدالحليم محمود شيخ الأزهر ، فيه شمائل المصطفى عليه الصّلاة والسّلام ، وقد ألّفت كتاباً في الشمائل هو : (ومضات من نور المصطفى صلّى الله عليه وسلّم) صدرت منه الطبعة الثانية عشرة في بغداد ١٤٠٨ هـ ، كما تحدث أبو الحسن الندوي في كتابه : (السيرة النبوية) والشيخ محمد أبو زهرة في كتابه : (خاتم النبيين) في ثلاثة أجزاء وطبع مرات ، والمرحوم أبو زهرة (١٣١٦ — ١٣٩٥ هـ = ١٨٩٨ — ١٩٧٤ م) ، وفي كتابي الندوي وأبو زهرة شمائل النبيّ صلّى الله عليه وسلم .

ج . كتب تاريخ البلدان :

وفي تاريخ المدن معلومات عن الأحوال البلدانية والاقتصادية والإدارية والسكّانية والعمرانية التي على عهد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أو بعده . وللكتب عن مدن الحجاز أهمية خاصة في نشأة دولة الإسلام في أيام الرسول عليه الصّلاة والسلام بخاصة ، ولم يصلنا من الكتب الأولي عن تاريخ المدن سوى بعض : (تاريخ المدينة) لعمر بن شَبّة (واسمه زيد) بن عَبِيدَة بن ربطة النميري البصري ، أبو زيد (١٧٢ — ٢٦٢ هـ = ٧٨٩ — ٨٧٩م) و(أخبار

مكّة) للأزرقي (أبو الوليد محمد بن عبدالله ، ينتهي نسبه إلى الوليد بن عُقْبَة الغسّاني) ، (ت حوالي سنة ٢٤٤ هـ = ٨٦٥ م) ، و : (تاريخ مكّة) للفاكهي أبي عبدالله محمد بن إسحق بن العباس (ت ٢٧٢ هـ = ٨٨٥م) الذي كان معاصراً للأزرقي ، متأخراً عنه في الوفاة ، وفتوح مصر لابن عبدالحكم (عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم) ، (ت ٢٥٧هـ = ٨٧١م) . غير أنّ بعض الكتب المتأخرة ضمّت مادة غنية مستمدة من كتب مفقودة ، وأبرزها محمد بن الحسن بن زبالة (٣٧ب) (١٧٦هـ = ٧٩٥م) ، ويحيى بن الحسن (٢١٤ — ٢٧٧ هـ = ٨٢٩ — ٨٩٠م) عن تاريخ المدينة ، فقد نقل عنهما السمهودي (٨٤٤ — ٩١١هـ = ١٤٤٠ — ١٥٠٦م) في : (وفاء الوفا) معلومات دقيقة واسعة شاملة ، وفيها معلومات عن : (تاريخ المدينة) ومعالمها الجغرافية ، وسكانها في أوّل الإسلام ، وهي تقدم مادة قيّمة عن الأسس التي قامت عليها دولة الإسلام ، خاصة ما نقله عن ابن إسحق (ت ١٥١ هـ = ٧٩٨ م) بخاصة عن النبي صلّى الله عليه وسلّم وتطوّر دولة الإسلام في مراحلها الأولى والحياة العسكرية التي عاناها المسلمون الأولون قيادةً ومجاهدين ، لترصين أسس دولة الإسلام وتوطيد أركانها .

ونصّت أكثر كتب البلدان ، على عمليات فتح المدن ، وتاريخ الفتح ، وقادة الفتح ، كما تجد ذلك في : (معجم البلدان) لياقوت الحموي (٥٧٤ — ٦٢٦ هـ = ١١٧٨ — ١٢٢٩ م) كما تجد في طياته معلومات عسكرية قيمة ، بالإضافة الى تعيينه مواقع الأحداث وأماكنها كمواقع الغزوات والسرايا على عهد النبيّ صلى الله عليه وسلّم .

والواقع أنّ جميع كتب البلدان ، لها فوائد للدراسات العسكرية العربية الإسلامية ، ما تعالج منها المواقع والأماكن والطرق وطبيعة المناطق ، وما تتخصّص بها بالناحية المالية ، وفي الحاصلات الزراعية والنقدية ، لأن المال هو عصب

(٣٧ب) انظر سيرته في القاموس الاسلامي (١٨/٣) .

الحرب كما يقولون ، وهذه الكتب تفيد الدارسين العسكريين وغيرهم من هذه الناحية فوائد كثيرة .

د . كتب الأنساب :

كان لأصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم دور مهمّ في تعزيز الإسلام ديناً ودولة : (محمد رسول الله والذين معه . . الآية) (٣٨) .

وأبسط مظاهر صور الصّحابة ، تظهر في كتب الأنساب التي تُعْنَى بذكر الأشخاص وأنسابهم وتشير إلى قسم من أعمالهم ، كما تُركّز على نسب النبيّ صلى الله عليه وسلّم . وقد اعتمد ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع الزّهري مولاهم) — (١٦٨ — ٢٣٠ هـ = ٧٨٤ — ٨٤٥ م) في كلامه عن أنساب الصحابة على محمد بن عبد الله الأنصاري (١١٨ — ٢١٥ هـ = ٧٣٦ — ٨٣٠ م) وموسى بن عُقْبَة (ت ١٤١ هـ — ٧٥٨ م) وهشام بن محمد الكلبيّ (ت ٢٠٤ هـ = ٨١٩ م) .

فأما محمد بن عبد الله الأنصاري ، فيبدو مما نقله عنه ابن سعد أنه عني بأنساب المسلمين الأنصار من أهل المدينة ، وأما موسى بن عُقْبة فعنيَ بأنساب الأنصار والمهاجرين ممن شهد بَدْراً بخاصة ، إضافة إلى بحثه في سيرة النبي صلّى الله عليه وسلّم وأعماله ، ومع أنّ ما نقل عنه يدلّ على أنّه موثّق ، إلاّ أنّ كتابه لم يَحْظَ بالرواج الذي حظي به كتاب ابن إسحاق (محمد بن إسحق بن يسار المطّلبي بالولاء) ، المدنيّ (ت ١٥١ هـ = ٧٦٨ م) ، ولم يتبق منه إلاّ مقتطفات غير قليلة متناثرة في الكتب .

أما هشام بن محمد أبي النّضر ابن السّائب بن بِشْر الكلبي (ت ٢٠٤ هـ = ٨١٩ م) ، فقد وصلنا كتابه (جمهرة النّسب) برواية محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ = ٨٩٠ م) وبمقتطفات غير قليلة تظهر مدى توثيق المتأخرين له ، وهذا الكتاب واسع يشمل الأنساب العربية كافة ، ومنهم معظم الصّحابة ، وهو

(٣٨) الاية الكريمة من سورة الفتح (٤٨ : ٢٩) .

يقتصر على ذكر الأشخاص والعلاقات النّسبيّة بينهم ، وإشارات إلى بعض ما تميّزوا به وأعمالهم الإدارية ، فهو يقدّم مادة أساسية أولية لمعرفة المسلمين ولم يَطْغَ عليه أيّ من الكتب الأخرى الكثيرة التي ألّفت في الأنساب .

ومما يجدر ذكره هنا ، أنّ عز الدين بن الأثير (٥٥٥ – ٦٣٠هـ = ١١٦٠ – ١٢٣٣ م) ألّف كتاب : (اللُباب في تهذيب الأنساب) في ثلاثة مجلّدات ، وقد دفع ابن الأثير إلى تأليفه ، قلّة التأليف في هذا العلم حتى اندثر ، رغم حاجة طالب العلم إليه ، وأنّ أكثر الأنساب : « مجهول عند العامة ، غير معلوم عند الخاصة » ، وبالرغم من أنّه وجد كتاب : (الأنساب) للسمعاني وافياً : « وفي غاية الملاحة والجودة والفصاحة ، وقد أتي بما عجز عنه الأوائل ، ولم يدركه الأواخر » ، إلاّ أنه لاحظ به بعض العيوب ، فلما عاد إلى تهذيبه خرج من ذلك بكتاب : (اللُباب) . فالكتاب هو مادة السّمعاني نفسه ، ولكنها مصوغة بقالب ابن الأثير ، الذي يكتب بأسلوب يشبه أساليب الأدباء والعلماء في القرن الحالي ، وقد أسقط الفصول الأولى ، واختصر بعض التراجم أو حذفها ، وشكّك في بعض الأخبار التي يرويها السّمعاني بيقين ، وصحّح بعض رواياته وأنسابه ، مما جعل المؤرخين من بعد يعتمدون عليه دون الكتاب الأصلي القديم من غير أن يستغنوا عنه نهائياً (٣٩) .

وما وصلنا من كُتب النّسب كتاب : (نسب قريش) لمصعب الزُبيري (١٥٦ – ٢٣٦هـ = ٧٧٣ – ٨٥١م) ، وهو يقتصر على رجال قريش ، وفيهم كثير من الصحابة الذين عاصروا الرسول عليه الصّلاة والسّلام وشهدوا حوادث زمنه ، ومعلومات الزبيري غنية عن العلاقات النسبية بين رجال قريش ، ولكنها مقتضبة عن أعمالهم ، تكاد لاتنوّه إلاّ بالخطير المهم منها .

ولموفّق الدين عبد الله بن قُدامة المقدسيّ (ت ٦٢٠ هـ = ١٢٢٦) كتاب : (الاستبصار في نسب الصّحابة من الأنصار) مطبوع في مجلد واحد

(٣٩) التاريخ العربي والمؤرخون (٢/١١٥ – ١١٦) .

في بيروت سنة ١٣٩١ هـ ، وهو كتاب مفيد لأنساب الأنصار ، ولايقتصر على ذكر الأنساب حسب ، بل يذكر أعمال رجال الأنصار ، ومن دراسته تبرز أعمال الأنصار من الصحابة وتفيد في دراسة أسس حكومة الإسلام بالمدينة .

أما أنساب أهل اليمن ، فأوسع المصادر عنها هو كتاب الإكليل لابن الحائك الهمداني (٤٠) (٣٥٠ هـ = ١٠٣١ م) الذي بقيت منه أربعة أجزاء من مجموع عشرة أجزاء ، فيها معلومات كثيرة عن أنساب أهل اليمن ، وفيهم عدد غير قليل ممن عاصر النبيّ صلى الله عليه وسلّم واتصل به ، ومما يتّصل بهذا كتابه : (صفة جزيرة العرب) الذي يُعَدّ أوسع كتاب في وصف جغرافية اليمن وبعض أجزاء شبه جزيرة العرب التي امتدّ إليها الإسلام .

وجمهرة انساب العرب لأبي علي بن أحمد بن سعيد بن حَزْم الأندلسي (٣٨٤ – ٤٥٦ هـ = ٩٩٤ – ١٠٦٣ م) ، جمع أنساب العرب والبربر أيضاً ، ويُعدّ الجمهرة من أوسع كتب النّسب وأحفلها وأدقّها ، مع الإيجاز والاستيعاب فقد أتيح لابن حزم الاطلاع على ما سبقه من كتب الأنساب والرجال والتاريخ والتراجم ونحوها ، فاستطاع أن يعتصرها جميعاً ليستخلص منها هذه الصورة الكاملة المترابطة ، التي امتازت بذكر الرّجال والصحابة ، والأشراف من آل الرسول عليه الصّلاة والسّلام وذراريهم ، والخلفاء وأبناء الخلفاء ، والوجوه من أصحاب السّلطان والولايات وأنسالهم .

ولم ينس في ذلك ، أن يشير إلى أهمّ الأحداث التاريخية والقبليّة والأدبيّة ، وأيام العرب ، والمشهور من أمثالها وأنبائها ، مع التّحقيق في ذلك كلّه ، وبيان الخلاف فيه ، مع الحكم الصّادق .

وبذلك نأى بكتابه عن اليبوسة والجفاف التي يعانيها الناظر في كتب الأنساب ، ويَسّر لقارئه أن يواصل القراءة في متابعة وانبساط ، واستزادة من المعارف التاريخية والأدبية ، بله الدينيّة .

(٤٠) هو أبو محمد الحسن أحمد الهمداني ، انظر الاكليل (٤٧/١) .

وشيء آخر تمتاز به جمهرة ابن حزم ، وهو ما حاوله في دقّة والتزام ، من عقد الصّلة بين القبائل العربية النازحة إلى الأندلس والمغرب وبيوتات الحكم والولاية والسلطان منهم ، وبين أجذامها وأصولها المشرقية التي انحدرت منها وانسابت متشعبة في بلادها الجديدة ، كلما عنّت له مناسبة . ولم يُغفل مع ذلك بيان المدن والمساكن التي تجمهرت فيها تلك الجاليات وتكاثرت . وحفظ بذلك أسماء تلك البلدان وتعليل تسمياتها أحياناً ، فهو يُعد وثيقة هامة في هذه الناحية .

ثمّ رأى ابن حزم ، أنّ هذا المهيع البسيط من الأنساب محتاج إلى تجميع موجز مختصر ، فطرأت له فكرة تلخيص لهذا النّسب عقّب بها على هذا البسط (٤١) ، فقال : « ليسهل الوقوف على اتّصال بعضها ببعض ، وتشعّب بعضها من بعض ، ليقرب حفظ ذلك على من أراده » (٤٢) .

وعقّب بعده بالكلام على مفاخرة عدنان وقحطان (٤٣) ، وهما الجذمان الكبيران لجميع قبائل العرب ، إذ كان الجذم الثالث ، وهو قُضاعة ، مختلفاً فيه ، فمرّة ينسب إلى عدنان ومرة ينسب إلى قحطان ، وليس يرجع العرب إلى غير هؤلاء الثلاثة .

وينتهي ابن حزم في خاتمة هذا الفصل ، بإظهار فضل العدنانيين . ونجد بعد هذا الفصل فصلاً آخر في ديانات العرب وأصنامها (٤٤) ثم يتّصل الكلام بوثيقة هامة لابن حزم في جمهرة نسب البربر (٤٥) ، ولعلّه الأصل الأصيل لكلّ ما عرف علماء النّسب من العرب عن أنساب هؤلاء القوم ، وهو المرجع الذي اعتمد عليه المؤرخ ابن خلدون (٧٣٢ — ٨٠٨ هـ = ١٣٣١ —

(٤١) انظر الجمهرة (٤٦٣ — ٤٨٦) .
(٤٢) الجمهرة (٤٦٣) .
(٤٣) الجمهرة (٤٨٧ — ٤٩٥) .
(٤٤) الجمهرة (٤٩١ — ٤٩٤) .
(٤٥) الجمهرة (٥٠٣ — ٥١١) .

١٤٠٥ م) في تاريخه : (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومَنْ عاصرهم من ذوى السُّلطان الأكبر) كما اعترف بذلك ابن خلدون في كتابه .

وقد حقّق هذا الكتاب الأستاذ عبدالسّلام محمد هرون عليه رحمة الله (ت ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م) تحقيقاً قلّ نظيره ، مما سهّل الاستفادة من هذا السّفر الجليل ، وقد استفدت منه كثيراً في دراساتي العسكرية ، وبخاصة في كتابي : (قادة فتح الأندلس) وبدراسة قادة الفتح كافة ، ولا يستغني عنه دارس في تاريخ الحرب للعرب والمسلمين ، وفي الدراسات التاريخية التراثية العسكرية العربية الإسلامية .

هـ . كتب تراجم الرجال :

في كتب تراجم الرجال ، معلومات أوسع عن الصّحابة ممن عاش مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وأقدم ما وصل إلينا منها : (طبقات) خليفة بن خياط) ، (ت ٢٤٠هـ=٨٥٤م) ، غير أنّ أوسع الكتب القديمة هو كتاب: (الطبقات) لابن سعد (١٦٨ — ٢٣٠ هـ = ٧٨٤ — ٨٤٤م) ، فقد خصّ المجلدات الخمسة الأخيرة من كتابه المكوّن من ثمانية مجلّدات بالصحابة والتابعين مرتبين تبعاً لزمنهم وأماكن إقامتهم ، وفصّل في الصّحابة البارزين ، وفي الأتقياء من المتأخرين ، فذكر علاقتهم بالنبيّ عليه الصّلاة والسّلام وشمائلهم وحياتهم الخاصة والعامة ، واعتمد في ذلك على رواة فُقِدَت كتبهم ، فكان المصدر الأول من حيث قِدَمه وسعته ، واعتمده المتأخرون في كتبهم عن الصّحابة ، ولا سيّما ابن عبدالبرّ (٣٦٨ — ٤٦٣هـ = ٩٧٨ — ١٠٧١م) في : (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) ، وقد جمعه مؤلفه ومرّ به على مَن أراد ، ليستغني به القارىء عن قراءة التّصنيف الطويل ، واعتمد فيه على الأقوال المشهورة عند أهل العلم والسِّيَر ، والأثر والأنساب ، وعلى التواريخ المعروفة التي عوّل عليها العلماء في معرفة تاريخ الإسلام وسِيَر أهله ، وقد بيّن

المؤلّف في مقدّمته المراجع التي اعتمد عليها الشيوخ الذين حدّث عنهم ، أو قرأه عليهم .

وهذا الكتاب ، أُسّ اعتمد عليه كثير من المؤرّخين لرجال الإسلام ، ورجع إليه كلّ مَنْ كتب في الصّحابة ، ووثّقه كلّ مَنْ نقلوا عنه .

وقد طبع في القاهرة بتحقيق محمد علي البجاوي ، في ثلاثة أجزاء ، وهو جيّد طبعاً وتحقيقا .

كما اعتمد طبقات ابن سعد ، ابنُ الأثير الجزريّ (٥٥٥ – ٦٣٠ هـ = ١١٦٠ – ١٢٣٣ م) في كتابه : (أُسْدُ الغابة في معرفة الصّحابة) ، وقد سوّغ ابن الأثير اهتمامه بهذا الموضوع رغم تأخّر زمنه ستة قرون عن عصر الصّحابة بأن : « السُنّة التي عليها مدار تفصيل الأحكام ومعرفة الحلال والحرام ، إلى غير ذلك من أمور الدّين ، إنّما ثبتت بعد معرفة رجال أسانيدها ورواتها ... فينبغي أن يُعْرَفوا ... لأن سِيَرهم هي سُنن الهداية والقدوة للمسلمين » . وبالرغم من صدور كتب كثيرة في الصّحابة قبله ، فإنّ ابن الأثير قد وجد ضرورة لتأليف كتابه فيهم ، كأن كلّ مؤلّف سابق : « اختلف مقصده من ذكرهم على الآخر » ، وفي كتبهم : « مآخذ » سجّلها عليهم . وقد وضع كتابه بالاستناد إلى خمسة مصادر كبرى معروفة ، هي كتب ابن منده الأصفهاني (ت ٣٠١ هـ = ٩١٤ م) ، وأبي نُعَيْم الأصفهاني (ت ٤٣٠ هـ = ١٠٣٨ م) ، وابن عبدالبرّ القرطبيّ (٣٦٨ – ٤٦٣ هـ = ٩٧٨ – ١٠٧١ م) ، وأبي علي الغسّاني (صاحب تقييد المهمل) وهو الحسين بن محمد بن أحمد الغسّاني الجياني الأندلسي ، أبو علي (٤٢٧ – ٤٩٨ هـ = ١٠٣٥ – ١١٠٥ م) ، وكتابه : (تقييد المهمل – خ) ضبط فيه كلّ ما يقع فيه اللّبس من رجال الصحيحين ، وكتاب أبي موسى محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى الأصفهاني الذي ذيّل به على ابن منده . يضاف إلى ذلك حوالي ثلاثين كتاباً آخر ذكر بعضها في فصل خاص وفي ثنايا الكتاب . وقد رتّب التراجم على أحرف الهجاء ، وضبط الأسماء ، وشرح الألفاظ الصّعبة ، وصوّب بعض الأخطاء ، بعد أن

جمع التراجم جمعاً مختاراً من المصادر .... وهكذا أُخذ عليه أنّه ارتبط بمصادره الارتباط القويّ ، وكرّر بعض الأخبار ، وأطال أحياناً ، وقَبِل في الصّحابة مَنْ ليس في الإجماع منهم ، ..... وقد تتبعه العلماء وخاصة ابن حَجَر العَسْقَلانَي (٧٧٣ – ٨٥٢ هـ = ١٣٧٢ – ١٤٤٩ م) .

وابن حجر العسقلاني أحمد بن علي بن محمّد الكناني العسقلاني أبو الفضل ، شهاب الدين ، علت له شهرة ، فقصده الناس للأخذ عنه ، وأصبح حافظ الإسلام في عصره . قال السخاوي : « انتشرت مؤلفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر » ، ومن كتبه (الإصابة في معرفة الصّحابة) ، وقد نقل ابن حَجَر كثيراً عن عدد كبير من المصادر .

وهذه الكتب : الثلاثة : الاستيعاب ، وأُسد الغابة ، والإصابة ، هي المشهورة عن عشرات الكتب التي أُلِّفت عن الصّحابة ، بما في ذلك السِّيَر المفردة لأشخاص منهم ، أو الكتب العامة لعدد من الصحابة ، بما في ذلك كُتب لرجال الحديث .

وفي كتب رجال الحديث ، ذكر للصّحابة وأنسابهم وأخبار مقتضبة عن حياتهم ، ومن أقدم ما وصلنا كتاب : (الطبقات) لخليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ = ٨٥٤ م) ، فمؤلّفها معاصر لابن سعد الذي وصلتنا طبقاته ناقصة فيها سقط كثير .

ويضمّ هذا الكتاب ، تراجم ما يقرُب (٣٣٧٥) من الصّحابة والتابعين وتابعيهم رجالاً ونساءً ، وقد تكرّرت تراجم بعضهم لاسيما الصّحابة .

وقد بدأ المؤلّف كتابه بالتحدث عن الرسول عليه الصّلاة والسّلام ، ثم أخذ يترجم للصّحابة ، حتى إذا تحدّث عن الأمصار ، ترجم لصحابة كلّ مصر ثم لتابعيه .

وأما الصّحابيات ، فأفرد لهنّ باباً خاصاً في آخر الكتاب ، ومنهج خليفة في هذا الكتاب ، يخالف منهج ابن سعد في طبقاته أحياناً ويقاربه أحياناً ،

فابن سعد بدأ كتابه بأن خصّص المجلد الأول والثاني في السيرة والشّمائل ، وجعل الثالث لتراجم أهل بدر ونقباء الأنصار ، والرابع للحديث عن الطبقة الثانية من الصّحابة ، ثم الصّحابة الذين أسلموا قبل فتح مكة ، والخامس لتابعي المدينة ثم للصّحابة والتّابعين في مكّة و الطّائف واليمن واليمامة والبحرين، والسّادس للصّحابة والتّابعين من أهل الكوفة ، والسّابع للصّحابة والتابعين من البصرة والشّام ومصر وخُراسان وبقيّة الأمصار الإسلامية ، والثامن للنّساء الصّحابيّات .

أما خليفة ، فقد بدأ كتابه بترجمة الرسول صلّى الله عليه وسلّم ، فعمّه العبّاس ، فبقيّة الهاشميين . ثمّ أخذ يترجم للأُمويين ، ثم تناول سائر بطون قريش بطناً بطناً ،ثم ألمّ بسائر القبائل المضريّة فالعدنانية ،وبعد ذلك بدأ بالصّحابة من القبائل اليمانية . وهذا يعني أنّه رتّب الصّحابة وقسّمهم لا وفق سابقتهم ومنازلهم في الإسلام كما فعل ابن سعد ، وإنما وفق أنسابهم وقرابتهم من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، متّبعاً الأُسلوب الذي طبقه عمر بن الخطّاب رضي الله عنه في الديوان ، وكان يُشير إلى منزلة كل من الصّحابة في تراجمهم .

وبعد أن أنهى تراجم الصّحابة جميعاً معتبراً إياهم من أهل المدينة ، لسكنى معظمهم فيها أو دخولهم إياها ، شرع بعد ذلك بالحديث عن الأمصار ، فذكر أنّ معظم الصّحابة تفرّقوا بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، لذلك تحدّث عن الصّحابة في الأمصار على المنهج السّالف ، ثم تحدّث عن التابعين وفق أنسابهم أيضا .

واستمر في منهجه الأول : التقسيم حسب القبائل والنّسب ، لا حسب الرواية ، ولم ينس خليفة حين يترجم للتابعيّ أن يذكر عمّن روي من الصحابة .

وبين ابن سعد وخليفة ، اختلاف في تعداد الطبقات ، فطبقات أهل البصرة مثلاً عند ابن سعد ثماني طبقات ، وعند خليفة إحدى عشرة طبقة ، وأهل الشام

عند ابن سعد ثماني طبقات ، وعند خليفة ست (٤٦) .

وقد استفدت من هذا الكتاب في دراساتي العسكرية ، وبخاصة في تدوين سِيَر قادة الفتح الإسلامي كافة ، وهو مفيد لكل دارس سواء كان عسكرياً أو غير عسكريّ أيضاً .

وفي كتب رجال الحديث للصّحابة وأنسابهم في : (المعرفة والتاريخ) ليعقوب بن يوسف الفسويّ (ت ٢٧٧ هـ = ٨٩٠م) و : (التاريخ الكبير) لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ = ٨٦٩ م) : (تهذيب الأسماء واللغات) ليحيى بن شرف بن مُرِيّ بن حسن الخزامي الحورانيّ ، النووي الشافعي أبو زكريا (٦٣١ — ٦٧٦ هـ = ١٢٣٣ — ١٢٧٧ م) ، و : (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد الذّهبي (٦٧٣ — ٧٤٨ هـ = ١٢٧٤ — ١٣٤٧ م) ، و : (تهذيب التهذيب) لابن حجر العسقلاني (٧٧٣ — ٨٥٢ هـ = ١٣٧٢ — ١٤٤٩ م) .

وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني مهم جداً ومُفيد للغاية ، وفيه معلومات قيمة عن المحدّثين ، قد لا تجدها في كتب الرجال المحدّثين الأُخرى، كما أنّ كتاب تهذيب الأسماء واللّغات مفيد إلى أبعد الحدود أيضاً ، ولا يستغني باحث عن كتب الرجال المحدّثين كافة ولا سيما كتاب تهذيب التهذيب ، وتهذيب الأسماء واللغات .

وهذه الكتب من هذه الأقسام : كتب السِّيَر ، وكتب التّفسير ، وكتب الحديث ، وكتب الفقه ، وهي التي جعلناها النوع الثامن عشر . وكتب التاريخ ، وكتب الشّمائل ، وكتب تاريخ البلدان ، وكتب الأنساب ، وكتب تراجم الرجال ، وهي التي جعلناها النوع التاسع عشر ، من أنواع كُتُب التراث العسكريّ العربيّ الإسلاميّ ، هى في الواقع ، وأريد النوعين الثامن عشر والتاسع

(٤٦) الطبقات — خليفة بن خياط — تحقيق سهيل زكار — دمشق — ١٩٦٦ — المقدمة (ص:ز،ح) .

عشر ، لهـا صلة وثيقة بالتراث العسكري العربي الإسلامي ، كما لها صلة وثيقة بكثير من العلوم الإسلاميّة ، ويمكن أن نتبيَّن أنها تركّز على ناحيتين متكاملتين من التراث العسكريّ العربيّ الإسلاميّ : الناحية النظرية كما في كتب الحديث والفقـه والتفسير ، والنـاحية التطبيقيـة أو العملية كمـا في كتب التاريخ والسِّيَر والشّمائل وتاريخ البلدان والأنساب ، فهي علم أو تشريع ، وعمل أو تطبيق ، فما التاريخ العربي الإسلامي ورجال الدعوة والحرب ، إلاّ التطبيق العملي لتعـاليم الإسلام في الحـرب والإدارة في أعمـال وأشخـاص عاشت والتزمت بتعاليم الدين الحنيف عملياً ، فكان من ثمرات التزامها النصر والفتح والحضارة .

٢٠ — النوع العشرون ، اللّغة العسكرية التراثية :

كلّ نوع من الأنواع السابقة ، التي تَعدادها تسعة عشر نوعاً من أنواع التراث العسكريّ العربي الإسلامي ، التي سبق تَعدادها ، لها صلة عضوية مباشرة باللّغة ، التي أطلقتُ عليها اللّغة العسكرية العربية التراثية ، فللسيف مئات الأسماء ، ولكل جزء من أجزائه اسم خاص بذلك الجزء ، وكتاب المخصّص لابن سيـده (٤٧) يطالعنـا في كتاب السيف وحده ، بهـذه العناوين : أسماء السيوف ، أسماء ما في السيوف ، نعوت السيوف قبل قطعها ومضائها ، نعوتها قبل نبوّها وكلّها ، نعوتها قبل لمعانها ومائها واهتزازها ، نعوتها قبل تثلمها وطبعها وعوجها ، نعوتها من قبل صقلها وطبعها ، نعوتها من قبل عرضها ولطفها ، نعوتها قبل ذكرتها وأنوثتها ، المتهن من السيوف والمجرّب ، نعوتها من قبل مواضعها وصناعتها ، غمد السيف وحمائله ، انتضاء السيف وإغماده ، أسماء مشاهير سيوف العرب (٤٨) ، أي أنّ أسماء السيف وأقسامه واجزاءه ، استَغرق ثلاث عشرة صفحة من القطع الكبير من

(٤٧) ابن سيده (أبو الحسن بن اسماعيل النحوي اللغوي الاندلسي ت ٤٥٨هـ) المخصص — بولاق — ١٣١٨هـ .

(٤٨) المخصص ٦/١٦ — ٢٨) .

صفحات كتاب : (المخصّص) ، وهذا دليل واضح على ثراء اللغة العسكرية العربية التراثية الفُصحى .

وما يقال عن السيف ، يقال عن أسلحة العرب الأخرى ، وأهمها : الرِّماح ، والسّكين ، والقِسِيّ ، والسِّهام ، والأهداف ، والدروع ، والبيضَ ، التِّراس ، أصوات السِّلاح ، أسماء جملة السِّلاح ، المتسلّح من الرجال والمتحزِّم ، ترك حمل السِّلاح (٤٩) . ثم يأتي في فَصْل أبواب القتال ، فصول : التناول في القتال ، وباب الهزيمة ، والكرّ في القتال ، وموضع القتال ، والحمل في القتال ، وما يقاتل عنه الرّجل ويحميه ، وأسماء الحروب والفتنة ، وعامة الضرب ، والضرب بالسيف ونعوته ، والطعن ونعوته ، وسيلان العَرَق ، والدم وأسماؤه ، وهدر الدّم ، والضرب بالعصا ، والضرب بالسَّوْط ، وأسماء السَّوط والضرب باليد والرّجل والحجر ، والضرب بأيّ شيء كان ، وأفعال الضرب المشتقّة من أسماء الأعضاء ، ونعوت الضرب في الشدّة والإيجاع والتتابع ، وفكّ المفاصل وفسخها ، وباب مختلف من الرّمي والضّرب ، والضّرب والطّعن حتى يسقط من ضربة واحدة أو طعنة ، وحمل الرّجل صاحبه حتى يضرب به الأرض ، والدّفع ، الصّفعُ والأخذ باللحية ، والقتل والسحّب ، والضرب حتى القتل أو مقاربته ، والقتل وأنواعه ، وأسماء الموت ، وصفات الموت ، وأفعال الموت ، والهلاك وأفعاله ، والإخبار بموت الميت ، والنعش والتكفين ، والقبر والدّفن (٥٠) ، أي أن باب الأسلحة الخفيفة استغرق مئة وأربع عشرة صفحة من القطع الكبير من صفحات كتاب : (المخصّص) ، وهذا دليل واضح على ثراء اللغة العسكرية العربية التراثية الفصحى .

ثم يأتي بعد باب السِّلاح باب الخيل ، والخيل كانت واسطة من وسائط القتال ، بل من أهم وسائط القتال في التراث العربيّ الإسلامي ، ويستغرق هذا الباب إحدى وسبعين صفحة من صفحات كتاب المخصص (٥١) ، والإبل كانت

(٤٩) المخصص (٦/١٦ — ٧٨) . (٥٠) المخصص (٦/٧٠ — ١٣٠) .

(٥١) المخصص (٦/١٤٥ — ٢٠٦) .

من وسائط القتال والتنقّل ، ولا سيما في المناطق الصحراوية والبوادي ، حيث لايمكن الاستغناء عنها في تلك الأصقاع قبل اليوم واليوم وغدا .

فإذا كانت ثروتنا اللّغوية في العربية لغتنا الجميلة بهذه السّعة في مصدر واحد من مصادر اللّغة ، ذكرتهُ على سبيل المثال ، لأُبيّن مدى ثراء لغة العرب في السِّلاح والخيل والإبل ، فما عسى أن يكون مبلغ هذه الثروة اللّغوية في مصادرنا اللّغوية الكثيرة ، وهي لاتُعدّ ولا تُحصى ، وعلى رأسها قاموس المحيط للفيروز آبادي (٥٢) ، ولسان العرب لابن منظور ؟ (٥٣) .

إنّ لكل من فروع التراث العسكري العربي الإسلامي التي سبق ذكرها رصيداً ضخماً من مفردات اللّغة العسكرية فللرمي بأنواعه ، وللفروسية ولألعاب الفرسان ، ولتدريب الخيول المستجدة لتكون صالحة للقتال ، وللحيل الحربية ، ولتدبير الحروب وإدارتها سوقياً وتعبوياً ، وللقصف بأنواعه المختلفة في شتّى الميادين ، وللدبابات والمنجنيقات بأشكالها المتعدّدة وأنواعها المختلفة ، وللقضايا البيطرية ، وللأمور الصحية إخلاءً وتضميداً وتمريضاً ورعاية ، ولصنوف الجوارح وفوائدها وتدريبها وصيدها وتربيتها ، وللصيد والقنص الذي كانت له مكانة رفيعة في المجتمعات العسكرية العربية الإسلامية ، إذ كانوا يَعُدّونه من أرقى أنواع التدريب على التّهديف وتحمل المشاق والصبر على العناء ، وللتطبيق العملي الذي هو ثمرة تجارب المجاهدين لتدريب المجاهدين الجُدُد والمحاربين المستجدين ، وللتجنيد واستدعاء الجنود للخدمة والنفير الخاص والعام في الحرب وللأسطول والبحرية بسفنها المختلفة وملاحيها وأساليبهم القتالية براً وبحراً ، وللسِّير والتفسير والحديث والفقه والتاريخ والشمائل وتاريخ البلدان والأنساب وتراجم الرجال رصيد ضخم جداً من الألفاظ اللّغوية ، ومن الضروري استخراجها من مظانها ، وتبويبها وإخراجها للناس في معجمات .

---

(٥٢) (٧٢٩ – ٨١٧هـ = ١٣٢٩ – ١٤١٥م) .

(٥٣) ابن منظور : (٦٣٠ – ٧١١هـ = ١٢٣٢ – ١٣١١م) .

ولست أجهل أنّ استخراج تلك الألفاظ من مظانها ليس سهلاً ، ولكنه في الوقت نفسه ليس مستحيلاً ، والمهم أن نعرف ماذا نريد أن نعمل ، ونوجّه القادرين على العمل للعمل ، وتقسيم العمل إلى أقسام بالنسبة لأنواع التراث العسكري العربي الإسلامي ، وتوزيع العمل على القادرين عليه ، وتوقيت إنجاز العمل ، وإعداد هيئة للاشراف على العمل وإقراره ، وتقديم الأعمال بعد تقويمها للمطبعة والسّهر على تدقيق الطباعة ، ثم أخيراً إخراج الأعمال اللّغوية الخاصة بالتراث العربي الإسلامي بمعجمات ، كل معجم منها يخصّ نوعاً من أنواع التراث العسكري العربي الإِسلامي .

وذلك هي خطّة مبدئية لتحقيق اللّغة العسكرية التراثية ، يمكن أن تُحقّق بعمل جَماعِيّ ، وقد يُدخل عليها بعض التفاصيل ، ولكن المبدأ يبقى ثابتاً .

ولابد هنا من التنويه بأنّ التراث العسكري العربي الإسلامي ، فيه إضافات لغوية ، قد لاتكون في المعجمات اللّغوية ، وقد تكون من لغات غير اللّغة العربية ، ولكنها أصبحت من المصطلحات العسكرية الشّائعة بين العسكريين والمستعملة بينهم في مخاطباتهم ومؤلفاتهم ، وهذه الألفاظ غير العربية الشائعة في الوسط العسكري ، لابد من معرفة معانيها ومراميها ، ليسهل على المحقّقين تحقيق التراث العسكري العربي الإِسلامي كما ينبغي ، وإلاّ صعب عليهم تحقيق ذلك التراث . وفي الكتاب الذي بين يديك أمثلة على هذه الألفاظ الدخيلة ، ولكنها شائعة ومستعملة كثيراً في جميع التراث .

ولست أشجّع على ضمّ هذه المصطلحات العسكرية الدخيلة إلى المصطلحات العسكرية الفصيحة ، ولا يُرضي ذلك سدنة اللّغة العربية في حال من الأحوال ، ولكنني أشجّع على جمعها في معجم واحد ، وبيان معنى كلّ كلمة من كلماتها ، ليستعين بهذا المعجم الذين يحقّقون التراث العسكري العربي ،

لأنّ هذا المعجم يسهل مهمتهم ويقتصر الطريق لهم ، وقد توقّفت في التحقيق ساعات وأياما،للكشف على معنى مصطلح عسكري دخيل،دأب المؤلفون القُدامى على استعماله في سياق مؤلّفاتهم ، وكانت تلك المصطلحات في أكثرها شائعة مستعملة في أيامهم الحوالي ، فلم يَعُدْ أكثرها شائعاً ولا مستعملاً اليوم ، وبقي القليل منها مستعملاً في قسم من الجيوش العربية حتى (١٩٧٠ — ١٩٧٣) ، فقد دأب المعجم العسكري الموحّد على وضع كلمات عربية فصحى مكان تلك المصطلحات العسكرية الدخيلة ، والمفروض أنّ الجيوش العربية تتحاشى استعمالها اليوم وغدا .

ولكن ، يبقى جمع المصطلحات العسكرية الدخيلة الواردة في التراث العسكري العربيّ الإسلاميّ ، في معجم خاص يجمع شمل تلك المصطلحات الدخيلة من مظانّها ، ضرورياً جداً ، لأنه يعين محقّقي التراث على التحقيق ، ويقتصر الطريق أمامهم ، ويشجّعهم على الاقبال بشوق وعزم وحماسة على التحقيق .

أسبقية تحقيق التراث العسكري العربي الاسلامي

هذه محاولة لتقسيم أنواع التراث العسكري العربي الإسلامي التي بلغ تعدادها عشرين نوعاً ، إلى أقسام متميزة ، نحاول بموجبها وضع أسبقية لتحقيق هذا التراث بالتدريج ، على هدى وبصيرة . والمهم هو أن نبدأ العمل ونضمن استمراريته ، فالتراث العسكري العربي الإسلامي مظلوم ، لأنّ النزر القليل منه جرى تحقيقه ، والعدد الضخم منه ما يزال مغموراً ينتظر التحقيق .

ونسبة ما حُقّق منه ، بالنسبة إلى ما حُقّق من التراث العربي الإسلامي ، في مختلف مجالات العلوم والآداب والفنون ، ضئيل جدا ، فلا بدّ من حشد الجهود والكفايات لتحقيق التراث العسكري ، حتى يلحق — على الأقل — بركب ماحُقّق من أنواع التراث الأخرى .

ويمكن تقسيم أنواع التراث العسكري العربي الإسلامي العشرين على خمسة أقسام هي :

رقم نوع التراث	موضوع التراث	تقسيم أنواع التراث إلى أقسام رئيسة	المسئولية في التحقيق
١	الاسلحة بعامـة	القسم الأول الأسلحة الخفيفة والثقيلة والتدريب عليها	١ . فردي من ضابط ولغوي (معاون) ٢ . جماعي : مشاركة أكثر من واحد في التحقيق
٢	الاسلحة بخاصة		
٣	الرمي		
٩	القصف		
١٧	الاسطول والبحريـة		
١٠	الدبابات والمنجنيقات		
٤	الفروسية	القسم الثاني الخيل والتدريب عليها وتدريبها وعلاجها وألعاب الفروسية والصيد والقنص	١ . فردي ، من ضابط ، يعاونه لغوي (معاون) ٢ . جماعي : مشاركة أكثر من واحد في التحقيق .
٥	العاب الفروسية		
٦	تدريب الخيول المستجدة		
١١	البيطرة		
١٢	الجوارح واللعب في الصيد والقنص		
٧	الحيل	القسم الثالث السّوْق والتعبية والتجنيد وتجارب	١ . فردي ، من ضابط يعاونه لغوي (معاون) . ٢ . جماعي : مشاركة أكثر من واحد
٨	تدبير الحروب		
١٣	إرشادات للمجاهدين		
١٤	إرشادات عملية للمقاتلين		

١٥	الجنود والتجنيد	عملية في الميدان ومعلومات عسكرية عامة	في تحقيق كتاب تراثي واحد.
١٦	الشامل		
١٨	ا).السير ب).التفسير ج). الحديث د). الفقه	القسم الرابع الجهاد نظرياً (الحديث ، والتفسير ، والفقه) والجهاد علمياً (التاريخ العام والسِّير والأنساب وتراجم الرجال) .	جرى تحقيق كثير من المصادر ونشرت
١٩	ا). التاريخ ب). الشمائل ج). تاريخ البلدان د). الأنساب هـ). تراجم الرجال		
٢٠	اللّغة العسكرية التراثية	القسم الخامس (اللّغة العسكرية)	عمل جماعي من لغويين بالأساس يعاونهم عسكريون .

ومن المعلوم ، أنّ القسم الأول ، والقسم الثاني ، والقسم الرابع ، من أنواع التراث العربي الإسلامي ، قد جرى تحقيق كتب تراثية منه ، وصدرت التحقيقات وأصبحت مصادر ومراجع في المكتبات العامة والخاصة ، وتحت تصرّف المحقّقين الجُدد ، للاستفادة منها في التحقيقات .

والقسم الثالث ، والقسم الخامس ، من أنواع التراث العسكري العربيّ الإسلامي ، ما يزال بِكْراً كما يبدو ، يستحق مزيداً من الجهود في التحقيق ، ويقتضي تضافر جهود المجامع العلمية واللغوية ووزارات الثّقافة والإعلام العربية ومعهد مخطوطات جامعة الدول العربية ، لإِخراج فكرة التحقيق من مرحلة التفكير إلى مرحلة العمل .

والقسم الثالث ، من التراث العسكري العربي الإسلامي يضمّ كما ذكرنا :

- كتب الخيل
- كتب تدبير الحروب
- كتب إرشادات المجاهدين
- كتب إرشادات عملية للمقاتلين
- كتب الجنود والتجنيد
- كتب فنون الحرب الشاملة : المشاة ، الفرسان ، البحرية ، تجارب المقاتلين . . الخ . . .

وهنا يمكن أن نجيب على تساؤل المتسائلين ، من المدنيين خاصة : ما جدوى قضايا السَّوْق ، وخطط التّعبية ، وأساليب حشد الجنود وأساليب التجنيد ، وما فائدة عرض الفنون الشّاملة للحرب ، ودراسة تجارب المقاتلين العملية ليتعلمها المجاهدون والمقاتلون المستجدّون الأحداث ؟

إنّ الحرب قد تطوّرت تطوّراً سريعاً حاسماً ، وأصبحت هذه المعلومات العسكرية التراثية معلومات تجاوزها الزّمن ، وقد كانت مفيدة في أيام الأسلحة البدائية كالسيف والرّمح ، أما في أيام السّلاح النووي والصواريخ عابرة القارات ،

ففائدتها مشكوك فيها ، فلا مسوِّغ لبذل الجهد والمال لإخراج التراث العسكري إلى الناس كتباً ودراسات ، وقد يكون لها فائدة في معاهد العلم وللدارسين ، أما في ميادين القتال ، فلا فائدة لها ولا أثر ولا تأثير ! .

وهذا التّساؤل حقّ لاريب فيه ، ولكن بالنسبة للمدنيين غير العسكريين ، والذين لم يعملوا في العسكرية في يوم من أيام حياتهم . أما العسكريون ، والمدنيون الذين قضوا مدة من حياتهم في الخدمة العسكرية ، فيعلمون أنّ مبادئ الحرب العشرة ثابتة في كلّ تاريخ الحرب ، منذ كانت الحرب في الأرض بين الناس حتى يومنا هذا ، هي مبـادئ ثابتة لاتتغيّر ، وهذه المبادئ العشرة هي : (١) . اختيار المقصد وإدامته (٢) . التّعرُّض (٣) . المباغتة (٤) . حشد القوّة (٥) . الإقتصاد بالمجهود (٦) . الأمن (٧) . المرونة (٨) . التعاون (٩) . إدامة المعنويات (١٠) . الأمور الإدارية . وهذه المبادئ متّفق عليها عالمياً من حيث الأصل ، ولم يحصل اختلاف في تعدادها وتعاريفها في مختلف الجيوش العالمية إلاّ في الشكل لا في الجوهر .

إلاّ أن الأساليب الحربية ، هي التي تتغيّر باستمرار بتغيّر الأسلحة ،وطبيعة الأرض ، وعوامل ثانوية أُخرى .

المبادئ ثابتة ، والأساليب متغيِّرة ، والمبادئ الحربية التي خاض خالد ابن الوليد (٥٤) غمار الحرب بموجبها قبل خمسة عشر قرناً ، هي نفس المبادئ الحربية التي خاض نابليون (٥٥) غمار الحرب بموجبها قبل قرن ونصف ، ونفس المبادئ الحربية التي خاض غمارها هانيبال (٥٦) قبل واحد وعشرين قرناً، ونفس المبـادئ التي خاض غمـار الحرب بموجبهـا قـون رونشتد (٥٧) ومونتوجمري (٥٨) في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥ م) .

---

(٥٤) ت ٢١ هـ = ٦٤٢م .
(٥٥) (١٧٦٩ — ١٨٢١م) .
(٥٦) (٢٤٧ — ١٢٨ق.م) .
(٥٧) (١٨٧٥ — ١٩٥٣م) . (٥٨) (١٨٧٤ — ١٩٦٩م) .

ولكن أساليب القتال التي مارسها أولئك القادة ، مختلفة جداً ، كما هو معلوم.

وكتب التراث العسكري العربي الإسلامي ، تضمّ كثيراً من المبادئ وكثيراً من الأساليب ، والمبادئ تفيد كثيراً للعسكريين ولغيرهم في تعليمهم وفي أخذ الدروس والعبر منها ، كما أنّ المبادئ والأساليب معاً تفيد تاريخ الحرب والحضارة الإنسانية . ففي تحقيقها وطبعها ونشرها بين الناس فوائد بلا مِراء .

وقـد كان القـائد الألمـاني الشهير مولتكة (٥٩) يردد في محاضراته وبحوثه : « إنّ خالد بن الوليد أستاذي في الحرب ، وقد تعلم منه من جملة ماتعلم منه ، أسلوب الانسحاب الذي طبقة في مُؤتة (٦٠) » ، فهذا قائد من قادة القرن التاسع عشر الميلادي ، يستفيد من مبادئ الحرب التي طبّقها قائد من قادة القرن الأول الهجري ، وبين القائدين أربعة عشر قرناً ، بقيت فيها مبادئ الحرب ثابتة ، وتغيرت أساليب الحرب حَسْب ، والمبادئ هي الأصول والأساليب هي الفروع ، والأصل أهمّ من الفرع في جميع الأزمنة والأمكنة ، وعلى مستوى القياسات كافة .

وتحقيق القسم الخامس ، وهو اللّغة العسكريّة في التراث العسكري العربيّ الإسلامي لايقلّ أهمية عن تحقيق القسم الثالث من هذا التراث ، إن لم يكن تحقيقه أكثر أهمية وفائدة .

واللّغة العسكرية في التراث ، قسمان :

الأول : من العربية الفصحى ، ولكن مرور الزمن ، جعل لبعض كلماتها معانيَ تختلف عن معانيها اليوم ، مثل : في حق غزاة البحر ، يريد بالنسبة لغزاة البحر . وفي حقّ المشاة ، يريد بالنسبة للمشاة . ويدخل على العدو ، يريد يهجم على العدو . ويشتغل معه ، يريد يُشاغله في القتال . وأصحاب العدو ، يريد رجال العدو . وتضرب عليهم : يريد ترميهم . ورسمهم ، يريد مكانهم ،

---

(٥٩) (١٨٠٠ — ١٨٩١م) .
(٦٠) جرت في السنة الثامنة الهجرية (٨هـ = ٦٢٩م) .

واجبهم ، مهمّتهم . ويحسن رياضة الفرس ، يريد تدريبها ، تعليمها . وتأديب الخيل : تدريبها . والخُفْيَة : يريد عدم التظاهر بذلك ، بل يختفي ما استطاع إلى ذلك سبيلا . وانبساط متوسّط : يريد ألا يفرط بانبساطه ، لئلا يضيع شخصيته ، ولا يفرط في عبوسته ، لئلا يصبح مكروها ، بل يكون وسطاً في انبساطه . والخيل المؤدّبة يريد الخيل المدرّبة . ورجال مبصرون ، يريد ماهـرون ، ومن أمثـال استعمال كثير من الكلمات العربية بغير معنـاها اليـوم أو معنـاها في المعجمـات العـربية للفصـحى كثيـر في هـذا الكتاب .

وقد يفيد جمعها ، ومقارنة معناها في أيام المؤلِّف بمعناها اليوم وفي المعجمات العربية الفصحى ، في إعداد المعجم التاريخي لألفاظ اللغة ، أسوة بالمعجمات التاريخية في الأمم الأخرى واللّغات الأخرى .

أما المصطلحات العسكرية الدّخيلة في التراث العسكري العربي الإسلامي ، والأمثلة عليها كثيرة ، وهذه هي نماذج منها : القبق (تركية) ، البُرْجاس (يونانية) ، القيقج (تركية) ، الزّبورك (تركية) ، اللّت (تركية) ، الألكو (تركية) ، الأزناج (تركية) ، الزروخانة (تركية) ، الركاب خانة (تركية) . ومعاني هذه الكلمات مثبتة في صلب هوامش هذا التحقيق ، لبيان معانيها .

كما في المصطلحات العسكرية الدخيلة ، كلمات عاميّة ، ماتزال مستعملة في اللّغة العامية الدارجة ، مثل : الزواغير ، عـَصَاة ، وشطفة ، يحاججون ، وأمثالها كثير تجدها في متن الكتاب .

والعثور على معنى الكلمات الدخيلة شاق في الغالب ، وإعداد معجم بمثل هذه الألفاظ الدخيلة في المصطلحات العسكرية التراثية ، يعين المحقِّق كثيراً على تحقيق مهمته ، ولا يضيِّع عليه وقتاً طويلاً في التنقيب .

هذا الكتاب

١ ـ سمعت بهذا الكتاب ، لأول مرة ، بعد قراءة فهرست المخطوطات المصورة في معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية ، المنشور في العدد الرابع الصادر سنة ١٣٨٤ هـ في القاهرة . وصوّرت جميع مخطوطات التراث العَسْكري العربي الإسلامي ، وقلت لمدير معهد المخطوطات في حينه : « إنني أسعى لتحقيق كتاب : الأدلّـة الرسمية في التَعابي الحربية لمحمد بن منكلي » ، ويبدو أن مدير المعهد ، حمل هذا التصريح الى الأستاذ الزركلي ، فسجّل المرحوم الزركلي في حديثه عن محمد بن منكلي ، أنني سأحقّقَ هذا الكتاب ، ونشر ذلك في كتابه : الأعلام (٦١) .

ولم أطّلع على الأعلام في طبعته الجديدة ، لأنني أملك من الكتاب طبعته الثانية ، فلم أكترث بالطبعة الجديدة ، ولكنني بعد إكمال تحقيق الكتاب ، اطّلعت على الطبعة الجديدة من الأعلام ، وقرأت ماجاء فيه عن محمد بن منكلي ، ومما جاء فيه : أنني سأحقّق كتابه عن التعابي الحربية ، وهو هذا الكتاب الذي بين يديك .

وفي أوائل سنة (١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م) استكتبتني مجلة المخطوطات العربية ، فكتبت في مجلّـة المعهد مقالاً عنوانه : (فصل من كتاب الأدلّة الرّسميّة في التعابي الحربية) (٦٢) ، وبهذه المناسبة قرأت الكتاب بكامله ، وأخذت منه هذا الفصل بالذات ، لأنه فصل غَنـِيّ ذو جدوى .

ومن سوء طالع هذا الكتاب ، أنه علق بذهني منه ، قسمه الذي يتحدّث عن أسرار الحـروف ، واستعمـال ما يقابلهـا من أعـداد ، في التشكيلات القتالية ، فهي تقود بزعم ابن منكلي إلى النصر وتؤديّ إليه ، فلم أقتنع بهذه

(٦١) الاعلام (١١٢/٧) ـ بيروت ـ ١٩٨٠ ـ ط ٥ .

(٦٢) مجلة معهد المخطوطات العربية ـ عدد ١١) ـ (ص ١٧٣ ـ ١٧٨) ـ مجلد (١٧) ـ القاهرة ـ ١٣٩١هـ .

الفكرة ، ولم أصدِّق بأنها من أهمّ عوامل إحراز النصر ، إما لأنني أجهل فلسفة الأحرف وأرقامها ، والمرء عدوّ ما يجهل ، وإما لأنّ الفكرة غير منطقية ، فالنصر يحرزه مَنْ يهتمّ بالإعداد الكامل ، ويتحلى بالتدريب الرّاقي والمعنويات العالية والتسليح الكامل ، والتنظيم الجيد ، والقيادة المتميزة ، والجنود المتميزين ، ولا يحرز بتهويمات رقميّة وعددية قد تخدِّر فيشعر المريض بالراحة الوقتية ، ولكنها لا تُشفي من المرض على كلّ حال ، لأنه يُعلل النفس بالنصر في الحرب بالحروف وما يقابلها من أرقام ، لا بالعمل والإعداد .

وجاءتني رسائل عديدة من أرجاء الوطن العربي يسألون عن جدوى تحقيق هذا الكتاب ، أذكر منها رسالة جاءتني من طالب في الدراسات العليا من الأردن الشقيق ، يسألني رأيي في تحقيق هذا الكتاب ، لينال به شهادة جامعية ، وكان قد علق بذهني من الكتاب ماورد فيه عن الحروف وأرقامها ، وفعل الأرقام التي تقابل الحروف المذهل في إحراز النصر، فنصحت الطالب مخلصاً ألاّ يحقِّق الكتاب، لأنه يطلب النصر في الحرب بالحروف والأعداد، ولا يطلبها بالعمل والإعداد .

واليوم بعد إكمال تحقيق هذا الكتاب أسفت أشدّ الأسف على هذه النصيحة ، ولكن عذري هو أنّ نيَّتي كانت خالصة لوجه الله ، وأنني نصحت بما أعتقد ، وكل إنسان يخطئ ويصيب « وإنما الأعمال بالنيّات ، وإنما لكلّ امرئ ما نوى »(٦٣) ، ومن يومها: تعلّمت درساً ، هو ألاّ أُعطي رأياً في كتاب ، قبل أن أعيد قراءته من جديد ، حتى لو كنت قد قرأته من قبل مرّات ومرات .

وأسفي على رأيي الخاطئ في الكتاب لاينقضي ، لعلّ من بعض آثاره إقبالي على تحقيقه اعتذاراً للمؤلِّف ، وقد نسيت اسم الطالب الذي استشارني في تحقيقه ، فإذا ذكّرني هو باسمه ، فسأقدِّم له نسخاً من الكتاب هدية له ولمن يحب من أصحابه ، كجزء من اعتذاري له ، والله غفور رحيم .

٢ — وشرعت بتحقيق الكتاب في أوائل السنة المجمعيّة (١٩٨٧) في شهر تشرين الأول ، وانتهيت من تحقيقه في نهاية السنة المجمعيّة (١٩٨٨) أي في

(٦٣) رواه البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

نهاية شهر حزيران ، ومرّ التحقيق بثلاث مراحل : استنساخ الكتاب ، وإعادة استنساخه وتحقيقه ، لأنّ استنساخه الأول كان ناقصاً في بعض كلماته وجمله ، إذ أن الأصل أبيض أو لا يقرأ بسهولة ، ثم عرض التحقيق على خبير لغوي ، ثم استنساخ التحقيق وما طرأ عليه من تعديل أو تعليق من جديد ، أي أن الكتاب أعيد استنساخه ثلاث مرات ، وليس ذلك هيِّناً ولا سهلاً .

واستغرق التحقيق والاستنساخ سنة مجمعية واحدة هي سنة (١٩٨٧ — ١٩٨٨) ومدتها تسعة أشهر ، وبدأت بكتابة مقدمة المحقِّق في أوائل شهر تموز (١٩٨٨) في بداية العطلة المجمعية ، وآمل في إنجاز المقدمة خلال هـذا الشهر ، أي أنّ التحقيق والمقدمة استغرق عشرة أشهر بالضبط .

ولست بصدد تعداد العراقيل والصِّعاب التي عانيتها في التحقيق ، فطالما قرأت ما عاناه المحقِّقون ، فظننت في أول الأمر أنّ تذمر المحققين مبالغ فيه ، ولكنني بعد التجربة العملية في التحقيق ، صدّقت بأنّ المحققين تحملوا كثيراً من العنت والمشقة لإنجاز تحقيقهم ، ولا أحبّ أن أذكر ما لاقيته من مشـاق في التحقيق ، لئلا يؤثر ذلك في معنويات الذين نؤمل فيهم خيراً في التحقيق من عسكريين وغير عسكريين .

وكان في أصل الكتاب مصطلحات عسكرية دخيلة ، فاستعنت بذوي الاختصاص في اللغات ، وبخاصة اللغة التركية ، لمعرفة معاني المصطلحات العسكرية الدخيلة من اللغة التركية .

وكان في الكتاب أسماء أسلحة تراثية وأسماء أجزائها ، فاستعنت بفنّان في الرسم ، فرسم لوحات لتلك الأسلحة ، مستعيناً بالكتب التي ضمّت نماذج من تلك الأسلحة التراثية .

وكان في الكتاب تعابير عامية ، وأخطاء لغوية ، واضطراب في سَبْك الجُمل ، فاستعنت بالأستاذ بهجة الأثري الذي عاونني في تقويم الكتاب معاونة أخوية صادقة .

وكان في الكتاب أحاديث وآراء فقهية ، فعرضت الأحاديث على شيوخ محدِّثين ، وعرضت الآراء الفقهية على شيوخ فقهاء ، فأعانوني في تخريج الاحاديث ، وفي توثيق الآراء الفقهية .

وورد في الكتاب نماذج شعرية ، لم يذكر المؤلف قائليها ولم يشر إليهم ، فاستعنت بأساتذة الادب في الجامعة ، فنسبوا الشعر لقائله ، وتوقّفوا عن نسبة قسم من الشعر إلى قائله ، لأنّهم لم يجدوه في مظانه .

والخلاصة ، أني استعنت بذوي الاختصاص في المجالات كافة ، فكان لي مع كل ذي اختصاص حديث ، فما قصّر أحد منهم في معاونتي ، ولا تأخر في محاولة تحقيق الكتاب لينشر أقرب مايكون إلى الكمال ، وكما يحبّ له مؤلّفه ويرتضيه التحقيق العلمي الأصيل ، الذي كان هدفي في التّحقيق ، فإن نجحت في إخراج هذا الكتاب مُحَقّقاً كما ينبغي ، فالفضل لله وحده أولا وآخرا ، ثم الفضل لمن استعنت بهم وعاونوني وأجرهم على الله ، وشكري لهم لا ينقضي . وأن قصّرت في تحقيق هدفي في التّحقيق ، فعلي وحدي مسؤولية التقصير كلّه ، وثقتي بعفو الله بلا حدود ، وثقتي بالقراء أن يدلّوني على هفواتي كبيرة جداً ، وصديقكَ مَنْ صَدَقَكَ لا من صَدَّقَكَ ، « وكلُّ بني آدَمَ خَطَّاء ، وخير الخَطّائين التوّابون » (٦٤) .

٣ — ويوجد من هذا الكتاب نسختان في مكتبة أيا صوفيا باستانبول :

الأولى برقم ٢٨٣ ، وهي بخط المؤلّف ، كتبها سنة ٧٧٠ هـ ، ومنها صورة في معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية ، والذي أصبح مقرّه الآن الكويت ، بعد انتقال مقر جامعة الدول العربية من القاهرة إلى تونس .

والثانية برقم ٢٨٧٥ مكرّر ، في ٤٦ ورقة من الحجم المتوسّط ، ومسطرتها (١١) سطراً ، كُتبت هذه النسـخة بخط نسخيّ من الخطّاط محمـد بن إمام الفقير .

(٦٤) رواه أحمد بن حنبل في مسنده والترمذي وابن ماجه والحاكم في مسنده ، عن أنس رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح .

وهذه النسخة مصورة في معهد المخطات العربية في القاهرة ، وفي خزائن مديرية التراث القديم في وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق ، تحت رقم (ف ١١٨١) .

وقد حققنا الكتاب على نسخته الثانية ، التي أخذناها مصورة من نسخة معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية ، لأن خطّها واضح ، ولأنّ التدمير في نسختها ليس كثيراً ، مثل كلمات وجمل يصعب قراءتها ، ومثل فرجات بين قسم من السطور ظهرت بالتّصوير بيضاء ، فهي إما أن تكون في النسخة الأصلية كذلك ، أو أنّ التصوير للنسخة الأصلية كان رديئاً واهناً أو ضعيفاً ، فأضفى ذلك صعوبةً في التحقيق ، ألقى على المحقق واجباً ثقيلا في امتحانٍ شاق لأمانته العلمية ، هي في مجملها استعادة ما كتبه المؤلّف في مكانه بين السطور ، وإلاّ اضطرب الكتاب ، وخرج في صورة لا يعرفها المؤلّف ولا يرتضيها لكتابه .

ومن حسن الموافقات ، أن الجمل المفقودة في أكثرها ، نقلها المؤلف حرفياً من كتاب : (الأحكام السّلطانية) لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصريّ (ت ٤٥٠ = ١٠٥٨ م) ، فأعدناها إلى مكانها من ذلك الكتاب والحمد لله ، أما الكلمات المصحّفة او الممسوحة او الممحيّة ، فقد استعنا بالأساتذة والشيوخ لوضع الكلمة المناسبة في سياق الجملة ، لتصبح الجملة كاملة في تعبيرها مفهومة في بيانها .

ومن الانصاف أن أذكر ، أنني حشدت جميع الطاقات العلمية ، في السّعي إليها وعرض مشاكل الكتاب عليها ومشاكل التحقيق ، فالشكر لله أولا ولذلك الحشد الضخم من العلماء والشيوخ ثانيا : (وفوق كلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيم) (٦٥) واللهُ سبحانه وتعالى يقول : (فاسألوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونْ)(٦٦).

(٦٥) الاية الكريمة من سورة يوسف (١٢ : ٧٦) .
(٦٦) الاية الكريمة من سورة النحل (١٦ : ٤٣).

ولم استعن في التّحقيق بالنسخة الأولى التي هي بخطّ المؤلّف ، لأنّ خط المؤلّف ضعيف ، ولديّ نماذج منه في مؤلفاته الأخرى التي هي بخطه مثل كتابه : (التدبيرات السلطانية في سياسة الصناعة الحربية) ، ولديّ في مكتبتي الخاصة نسخة مصوّرة من هذا الكتاب بخط المؤلّف .

ومع ذلك ، قابلتُ الكتاب بعد تحقيقه ، اعتماداً على النسخة الثانية منه التي هي بخط الخطّاط محمد بن إمام الفقير ، بالنسخة الاولى التي هي بخط المؤلّف، فلم أجد بين النسختين اختلافا ، ووجدت النسختين متطابقتين ، فلم أرد أن أشغل القارىء بهوامش إضافية ، أشير فيها إلى النسخة الاولى هنا وإلى النسخة الثانية هناك دون فائدة ولا مسوّغ .

وسبب اعتمادي أيضاً على النسخة الثانية التي هي بخط خطاط وليس بخط المؤلّف ، ودون الاعتماد على النسخة الأولى التي هي بخط المؤلّف ، هو جودة خط النسخة الثانية وقلّة التلف في سطورها ، فهي أفضل من ناحية الخط ومن ناحية سلامتها من النسخة الاولى ، والمحقّق غالباً ما يفضل في التّحقيق الخط الواضح والنسخة السليمة ، على النسخة التي يكون خطّها أضعف أو سلامتها أقل ، دون أن يعفيه ذلك من الحرص على مقارنة النّسخ ببعضها ، لئلا يفوته شيء من علم المؤلّف قد يكون في نسخة ولا يكون في أخرى ، وقد يكون الخطأ والتصحيف قد دبّا في نسخة دون أن يَدُبّا في أخرى، والمطلوب هو الوصول إلى الحقائق وأنّ الأمانة العلمية ودقّة البحث وجودة التّحقيق ، تقتضي التريّث والصبر الجميل ، وكلّ شيءٍ في سبيل خدمة التراث وإخراجه للناس أقرب ما يكون للكمال ، يهون .

فهل أناراضٍ عن نفسي في تحقيق هذا الكتاب ؟

بلا تواضع مفتعل ، ولا ادّعاء عريض ، أذكر أنني بذلت قُصارى جهدي في التّحقيق ، في جهد متواصل يمتدّ من السّاعات الأولى من النّهار إلى الهزيع الأول من الليل ،متّصلاً بالعلماء والشيوخ الأعلام هاتفياً وشخصياً ،

متواصلا معهم تواصل ذوي الأرحام ، متعاوناً معهم تعاون طالب العلم بأساتذته وشيوخه ، متنقلا في المكتبات العامة والخاصة ، عاملا عمل مَنْ يعرف قدر نفسه ويحرص على سمعة قلمه ويعتبر العلم (عبادة) من أجلّ العبادات لا (تجارة) من أربح التجارات ، باذلاً أقصى ما يستطيعه إنسان من جُهد في التحقيق والبحث والتنقّل والاتصال بالذين يفيدونني في تحقيق مهمتي ، ومع ذلك فلست راضياً عن نفسي كلّ الرضا في تحقيق هذا الكتاب ، لأنّني لم أصل إلى معاني الكلمات التالية ، ولم أعرف قائل الشعر التالي ، بالرغم من تشبّثي المستميت لمعرفة تلك المعاني وقائل ذلك الشعر ، وأملي بمن يعرف المعاني أو بعضها أن يدلّني عليها ، وسأشير إليه بالاسم في بيان تلك المعاني ، ومن ثمّ فأجره على الله .

١) . الاوتار الخطائية ٢) . الآص ٣) . الأزناج ٤) . أنخال ٥) . سُفُنَّة (باللّسان الرومي القديم) قنطارية ٧) . الصالحي (ينسب لمن) ٨) . الرّكاب القحليسي (ينسب لمن ، شخص أم مكان ؟) .

ومَنْ قائل هذا البيت ؟

إنْ قابلوا سَلَباً لا يعبأون به ... لأنّ قَصْدَهُم في صاحب السَّلَبِ

ولا تُعَدّ ثماني كلمات إلى جانب آلاف الكلمات التي وَجَدَ التّحقيق معانيها ، كما لايُعَدّ بيت شعْرٍ واحد إلى جانب أبيات من الشّعر كثيرة ، شيئاً مذكوراً ، ولكن لا ينبغي أن يرتضي طلاب العلم لأنفسهم النجاح ، بل ينبغي لهم أن يحقّقوا الامتياز في النجاح ، والأولى بالمرء أن يُدَلّيَ غيره على عيوبه ، فذلك أفضل من أن يدلّه الناس عليها ، و « مَنْ تواضع لله رفعه الله » حديث حسن (٦٧) .

---

(٦٧) رواه أبو نعيم في الحلية عن أبى هريرة ، انظر مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي (٢/٢٩٠) .

وأنا بانتظار معاونة القرّاء وغيرهم في تحقيق هذه الكلمات ، وفي تقويم ما يرون تقويمه في التحقيق ، وفي الدلالة على قائل ذلك البيت من الشّعر ، وفي تصويب غيره من الاشعار .

٤ — لماذا أُلِّف هذا الكتاب ، ولماذا حُقِّق ؟

أ . يقول المؤلِّف عن سبب تأليفه هذا الكتاب ، في مقدّمته : « أما بعد ، فقد استخرت الله تعالى ، في تأليف هذا الكتاب ، المسمى : بـ (الأدلّة الرّسميّة ، في التّعابي الحربيّة) ، وأرجو أن يكون تأليفي خالصاً لوجهه الكريم ، مع فوز قربه .

وقد وضع في هذا الفنّ من العلماء كتُبا ، فَدَرِسَتْ تلك الكتُب بما فيها من الحِكَمِ ، فصارت وهي من الرّمم ، وقلّ الطلبة لهذا العِلْم ، من كثرة اللّهو والغفلات ، حتى آل الأمر إلى الحسرات والخسارات ، وصار المتظاهرون بهذا الشأن مسخرةً لذوي البطالات ، وتنبّه العدوّ المخذول لتعرّض المسلمين والمسلمات ، ونحن نسأل الله أن يُهلكهم بأسوإ الهلكات » .

« والسّبب الدّاعي لهذا التأليف أمور : أحدها ليُعْلَمَ أنّ في العسكر الإسلاميّ مَنْ له عناية من ربّه تعالى بخدمة أولى الجِدّ والاجتهاد ممن مضى من السّادة الأولياء الأجناد .

« والأمر الآخر ، لعلّ أن يقف عليه أحد من وُلاة أمورنا أهل البصائر والتّبصرة ، ليجبر قلوباً منكسرة يمنعها قِلّة الأرزاق التّمرُّن لقتال الكفرة ، وليُعلم أنّ في العسكر الإسلامي رجالاً يُقاس أحدهم برجال ليس لهم كِفَايَة ، ولا يُشعر بهم ، كأن لسان حالهم يقول : (لَيْسَ على الضعفاء ، ولا على المَرْضَى ، ولا على الذين لا يَجِدُوْنَ ما يُنْفِقُوْنَ ، حَرَجٌ إذا نَصَحُوا لله ورَسُوْلِهِ ، ما على المُحْسِنِيْنَ من سَبِيْلٍ)(٦٨) ، طائعين لولاة أمورهم ، أيّدهم الله تعالى » .

ثم يضيف : « ويلزم أمراء جيوشنا ، أيّدهم الله بنصره ، التأسيّ بفعل النبيّ عليه السّلام ، بتعاهده الرّجال والخيل ، فما لم يصلح منها للحرب ،

(٦٨) سورة التوبة ٩١/٩ .

مُنِعَ من دخول الحرب ، لأنّه تغرير من غير فائدة ، ولا يأذن لمخذّل ولا لمن يُرْجِف للمسلمين ، ولا يجاهد أحداً من أحرار المسلمين عن أحدٍ بعوض أو غير عوض ، لأنّه فرض على الكفاية ، ويجب عليه ردّ العَوَض .

« ولتَعلمْ حفظك الله تعالى ، أنّ ذوي العلوم الرّاسخة ، والعقول الرّاجحة ، عالمة بأنّ علم التّعابي الحربية مطلوب لأهله شرعا وعقلاً ، وذلك أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، والأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين قبله ، كانّهم قد رتّب في حروبه التّعابي . قال الله تعالى ، ممتناً به على طالوت بقوله تعالى : (وَزَادَهُ بَسْطَةً في العِلْمِ والجِسْمِ)(٦٨) ، قال أهل التّفسير : « كان من بعض علمه علم التّعابي ، والسياسة فيها » .

أي أنّ ابن منكلي ألّف كتابه هذا ، في وقت امتُهن به هذا العلم ، وأصبح المتظاهر بحمله مسخرة بين الناس ، ومع ذلك أقدم على تأليف الكتاب ، إنذاراً للغافلين من المسلمين ، لإيقاظهم من غفلتهم التي طالت ، حتى أصبحت بلادهم عرضة لتعرض أعدائهم بهم ، وإيقاع الخسائر المادية والمعنوية ببلادهم . كما ألّفه ليعرف مَنْ لا يعرف أنّ هناك في المسلمين من يستطيع تأليف الكتب العسكرية المفيدة القيّمة ، التي إذا طبِّقت بحق ، كانت بلاد المسلمين والمسلمون في حماية جيوشهم القادرة ، وأخذت مكانتها عزيزة بين الأمم . ولكي يقبل ولاة أمور المسلمين على معاونة المتخلفين عن الجهاد ، لأنهم لا يجدون ما ينفقون على ركوبهم ومعيشتهم ومعيشة ذويهم ، فيتولى أمرهم ولاة أمور المسلمين بالدعم الماديّ والمعنوي ، ليصبحوا قادرين على أداء واجباتهم المقدّسة في ميادين الجهاد ، دفاعاً عن الأرض والعرض والقيم وتعاليم الدّين الحنيف.

وهذه أسباب وجيهة للتأليف ، يستحق عليها المؤلّف كلّ تقدير ، لأن أكثر المؤلّفين في حينه ، يُقبلون على تأليف ما (يُحبُّ) السُّلطانُ أن يؤلّف ،

(٦٨ أ) الاية الكريمة من سورة البقرة (٢٤٧/٢) ، والبسطة : الزيادة .

لا ما (يجب) أن يؤلّف ، طلباً للمكافآت والتكريم ، أي أنّ السلطان يرغب
أن يكتب المؤلّفون ما (يُحِبُّ) أن يسمع ، لا ما (يجب) أن يسمع . أما
ابن منكلي فألّف فيما (يجب) أن يَسمع السلطان ، لا فيما (يُحِب) أن
يسمع ، فألّف كتابه متوخيّاً وَجْهَ الله وحده، ومستهدفاً فائدة المسؤولين عن
المسلمين وفائدة المسلمين ، وفائدة بلاد المسلمين ، بلا رغبة في مكافأة أو
تكريم من ذوي السلطان أو من الناس .

وهكذا كان ابن منكلي نسيج وحده في هذا التأليف ، وكان ذا عقيدة ومبادىء
لا ذا رغبة أو رهبة ، يعمل لإرضاء ربّه ، لا لتُخمة جيبه .

ب . وأقدمت على تحقيق هذا الكتاب ، لعدّة أسباب ، لعلّ أهمّها :

أولاً . أنني وجدت المؤلّف الفاضل ، يريد خدمة أمته وبلاده حقاً بعلمه ،
فهو من العاملين لامن الذين يقولون مالايعملون ، ومن العاملين بإخلاص وأمانة ،
يؤلّف في العسكريّة العربية الإسلامية ، في وقت أعرض الناس فيه عن مثل
هذه المؤلّفات ، بل في وقت أصبح فيه الذين يتعرّضون فيه للعلوم العسكريّة ،
موضع سخرية واستخفاف من الناس لاموضع تقدير وتشجيع ، وفي هذا الكتاب
تطالعك في كل صفحة من صفحاته غَيْرة مؤلّفه وشهامته وحميّته على بلاده
وأمته وعقيدته ، غير منتظر من أحد الناس ومن ذي السلطة جزاء ولا شكوراً ،
بالعكس يتوقّع منهم السخرية والاستهزاء . إنه من أولئك النفر القليل ، في كل
زمان ومكان ، الذين يعملون لقلوبهم لالجيوبهم ، ولله وحده لا للناس ، وللآخرة
لاللدنيا .

لذلك أعجبت بالمؤلف إعجاباً عظيما ، فصمّمت على تكريمه وهو في
جوار الله ، اعترافاً بفضله ، واعتزازاً بنيته السليمة واستقامته وصلاحه ، وذلك
بتحقيق كتابه وإخراجه للناس مُحقّقاً تحقيقاً يناسب إخلاصه لأمته وبلاده وعقيدته .

ثانياً . إتفاقي تماماً مع المؤلّف في أن الجندي والآمر والقائد يجب أن
أن يتحلى بالعقيدة الراسخة اولاً ، وهذا ما يردّده المؤلّف في كثير من فصول

الكتاب ، دون تردّد ، كما فعلت في كتابي : بين العقيدة والقيادة ، الذي
طبع عدّة طبعات .

ثالثاً . اتفاقي تماماً مع المؤلّف في أنّ الجنديّ والآمر والقائد يجب أن
يتحلى بالخلق الكريم وأن يبتعد عن مواطن الريبة ، وأن يبذل جهده ليجبّ
الغيبة عن نفسه ، فالمقاتلون ينتصرون بأخلاقهم المحاربة ، لا بأخلاقهم المنهارة .

رابعاً . إعجابي الشديد ببعض فصول الكتاب ، ولعل من الأصوب الإيجاز
في هذا المجال ، لكي يكتشف القارىء بنفسه مواطن القوّة في الكتاب ، فذلك
أجدى له من أن يدله عليها غيره . ولكن لا بأس من ذكر الفصول التي أعجبت
بها ، لتُقرأ بإمعان ورويّة ، وليستفيد منها القارىء الحَصيْف ، ويعمل بها
ويطبقها على نفسه وعلى غيره ، ما استطاع إلى ذلك سبيلا . من هذه الفصول :
عيوب المقاتل التي يستحقّ عليها العقاب ، ووصيّة في المشورة في الحرب ،
والمشورة في الحرب ، وذكر طبائع الأمم واختلافهم في الحروب ، وسِمات
المقدّمين ، ويريد بهم القادة .

قال المؤلّف في فصل : ذكر طبائع الأمم واختلافهم في الحروب : « وأما
العرب ، فلهم أحساب ، يحامون عنها ، وأنساب يرجعون إليها ، وأصول
يراعونها ، وفيهم عِرْق من النبوّة ضارب ، ولهم الخُطب البليغة ، والشِّعر
الرائق ، ويأنسون إلى الكلام المزخرف . وهم يفوقون الأمم في البأس والشجاعة
والاقدام والجرأة ، ولولا اختلاف بينهم وتحاسد ، لملكوا الأرض ، ولهم
مخاتلة عجيبة في الحروب ، وصناعة في الكَرّ والفَرّ ، يعينهم على ذلك خيولهم
السِّراع ، ورماحهم الطِّوال . وقلوبهم في الحرب ثابتة ، وقَدَمهم راسخة ،
ينهزمون حتى يقال إنّهم لا يرجعون ، ثم يرجعون حتى يقال إنّهم لا ينهزمون ،
فهم كالعِقبان يحومون على الصَّيد ، فإذا لاحت لهم فرصة انتهزوها ، وظفرهم
أغلب من الظَفر بهم ، لكن رَجْلَتَهم ضعيفة ، وإنّما قتالهم على سِراع الخيل».

ذلك مبلغ تقديره للعرب ، مع أنه ليس عربياً ، ولكنه مُنْصِف ، يقول
الحّق ، ويتوخىّ الصِّدق ، ولم يكن العرب يوماً هم المسيطرين على البلاد ،

بل كان غيرهم مسيطراً عليهم ، وكان المسيطرون يومها المماليك البحرية ، كما سيرد ذكر ذلك وشيكا . فلا مجال للادّعاء بأنّ ابن منكلي جامل العرب في وصفه لهم بتلك الصفات الحميدة ، لأنّه ليس عربياً حتى يجاملهم لأنه منهم ، ولم يكن العرب في مركز السُّلطة والبأس ، في مصر وبلاد الشام وفي العراق وفي سائر البـلاد العربيـة ، يومذاك ، حتى يقـال عنه : إنّه جامل السّلطة وأصحاب السُّلطة .

لقد كان ابن منكلي منصفاً بحقّ ، وكان رجلا أيضاً ، في زمن قلّ فيه الرجال .

والفصول المضيئة في هذا الكتاب كثيرة ، اكتفي بذكر النماذج التي ذكرتها منها ، معتمداً على القارىء في اكتشاف البقيّة الباقية منها . وفي الكتاب فصول مظلمة ، أقل بكثير من فصوله المضيئة ، منها : فصل التعابي المنصورة ، وفصل أشكال التّعابي ، وفصل : ذكر تعبية العدد القليل ، وفصل : تعبية حوض النجاة ، وفصل : تعبية المتماطرة . ويقصـد المؤلّف بتعبير : التعبية : مصطلح التشكيلات القتالية ، وهي أسلوب وشكل ترتيب صفوف المقاتلين في ساحة المعركة ، من المشاة والخيالة . ولم تكن هذه الفصول مظلمة في عهد المؤلّف ، ولكنها أصبحت مظلمة في هذا القرن ، بعد التطوّر المذهل في الأسلحة ، فانقلبت التشكيلات القتالية رأساً على عقب ، وأصبحت تشكيلات المؤلّف المقترحة تشكيلات خلّفها الزّمن وراءه ، ولاتصلح للمقاتلين في هـذا العصر ، وكانت صالحة حتى القرن الماضي ، أي أوائل القرن الرابع عشر الهجري ، وأواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، قبل استعمال المدافع بعيدة المدى ، ثم أصبحت من صفحات التاريخ العسكري حَسْبُ بعد إنتاج السّلاح النووي واستعماله سنة (١٣٩٥ هـ — ١٩٤٥ م) .

والأمانة في التحقيق تحتّم إثبات تلك الفصول مع فصول الكتاب الأخرى ، في صلب الكتاب ولولا هذه الأمانة لكان حذفها لا يضر شيئاً بالكتاب ، كما لا يفيد إثباتها شيئاً .

إنّ تلك التشكيلات القتالية أسلوب من أساليب القتال الغابرة ، والأساليب القتالية تتبدّل باستمرار ، والذي لا يتبدّل هو مبادىء الحرب كما ذكرنا من قبل

ولا بقاء للأساليب القتالية ، والبقاء لمبادىء القتال وحدها ، وبمعنى آخر ، فإنّ التشكيلات القتالية التي نعتبرها اليوم نقطة ضعف في هذا الكتاب ، لم تكن نقطة ضعف في الكتاب في أيام المؤلّف (٧٧٠ هـ = ١٣٦٨ م) ، وسبب اعتبارها نقطة ضعف بالنسبة لحرب حديثة ، هو أنّ الزمن عفى عليها ، فلاتستعمل اليوم ولا تفيد المقاتلين في التدريب والتعليم .

على كل حال ، فليس المؤلّف ملوماً في تسجيلها وبحثها ، لأنّها كانت مناسبة لأيامه ، مستعملة في جيوش زمانه ، وحتى بالنسبة لحرب حديثة ، فإنّ نقاط الكتاب المضيئة تغطّي نقاطه المظلمة ، وحسنات الكتاب ، أضعاف سيئاته ، حتى في حالة اعتبار نقاطه المظلمة بالنسبة لحرب حديثة في عصرنا الراهن لا بالنسبة لعصر المؤلّف الذي كان قبل ثمانية قرون .

وبكل صدق وصراحة ، لقد استفدت من قراءة هذا الكتاب ومن تحقيقه فوائد جمة ، وبخاصة فصل : وصيّة في المشورة في الحرب ، التي تضمّنت من جملة ما تضمّنت صفات أهل المشورة ، الذين نطلق عليهم في الجيوش العربية الحديثة مصطلح : (ضباط الركن) من خريجي كلية الأركان والقيادة ، فلديّ صفاتهم في محاضرات كلية الأركان والقيادة داخل العراق وخارجه ، ومحاضرات كليات الضباط الأقدمين في داخل العراق وفي خارجه ، وأشهد أنّ الصفات التي عدّدها ابن منكلي قبل ثمانية قرون ، أحسن من الصفات التي تعدّدها كليات الأركان والقيادة وكليات الضباط الأقدمين ، في البلاد العربية والأجنبية ، وقد قارنت عملياً بين قديم ابن منكلي وحديث كلياتنا العسكرية الراقية ، فكان قديم ابن منكلي أفضل من حديث الكليات العسكرية العربية والأجنبية .

وأكتفي بذكر فقرتين من الصفات التي عدّدها ابن منكلي : « لا يذيع سِرَّ مَنْ استشاره ، ولو جُبِر » ، و « لا يذيع السِرَّ ولو مات من استَسَرَّهُ ، فهذا عند أهل المروءة من الخائنين » .

والحق ، أنّ الصفات التي عددها ابن منكلي للمستشار صفات لا تقتصر على الكلمات ، بل هي كلمات تدبّ فيها الروح ، والصفات التي تعدّدها كليات الأركان العربية والأجنبية كلمات خالية من الروح ، وشتان بين الاثنين .

كما استفدت كثيراً من فصل طبائع الأمم واختلاف أحوالهم في الحروب ، كأنّه في وصفهم يعايشهم في هذه الأيام ، كما استفدت كثيراً من فصل : أحوال تخص المقدّمين ، ويريد بهم صفات الضباط والآمرين والقادة ، وهي صفات لو طُبِّقت في الجيوش العربية نصّاً وروحاً ، لرحل عنهم العدو الصهيوني بدون قتال مردّداً ما ردّده بنو إسرائيل من قَبْلُ : (إنّ فيها قوماً جبارين) (٦٩) .

٥ ـ وقد كان تصنيف كتاب : (الأدلة الرسّمية) بين أنواع التراث العسكري العربيّ الإسلامي ، في النوع السّادس عشر من هذا التراث ، وهو الذي أطلقنا عليه : الشّامل ، لأنه يشمل جميع أنواع الأسلحة التراثية ، ومختصر جميع التشكيلات القتالية ، وشتى أنواع الخطط التّعبوية في البر وفي حصار المدن والقلاع ، وفي البحر أيضاً . ولكي نختصر تفصيل شمولية هذا الكتاب ، لابُدّ من عرض ما عالجه من موضوعات وضمّه من فصول .

فقد بدأ المؤلّف بتقديم كتابه بمقدّمة ، تعرّض فيها إلى أهمية التّعابي الحربية ، وإعراض الناس عنها لانصرافهم إلى اللّهو وإلى متاع الدنيا ، ثم تحدّث عن السّبب الداعي لإقدامه على تأليف كتابه ، وبعدها ذكر الخطوط العريضة التي ينبغي لأمراء جيوش المسلمين الاهتمـام بهـا في تطهير الجيوش وإبقاء الصفوة من المقاتلين والخيل ، وإتقان التعابي أسوة بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم وسائر النبيين والمرسلين ، لضمان النصر المؤزّر على الأعداء ، وأن يُعدّوا قواتهم المسلحة مادياً بالسلاح والتدريب والتعليم ، ومعنوياً بالتقوى والدعاء إلى الله سبحانه وتعالى .

---

(٦٩) الآية الكريمة من سورة المائدة (٥ : ٢٢) .

وبدأ كتابه بالفصل الأول في أهمية التقوى ، وهو فصل مختصر قصير ، يؤكد فيه ، أنّ التقوى هي التي تعتبر في أوّل العوامل التي تقود إلى النصر ، لأنّ النصر من عند الله تعالى ، فإذا لم يكن المقاتلون على جانب عظيم من التقوى وعلى اهتمام بغرسها في النفوس والقلوب معاً ، فإنّ العاقبة تكون وخيمة .

والفصل الثاني من الكتاب ، عنوانه : (مزايا المقاتل) ، ذكر فيه المؤلّف ضرورة أن يعرف رئيس الجند خواص رجاله بالتفصيل ، ليضع الرجل المناسب في العمل المناسب ، ليؤدي كلّ رجل من رجاله العمل الذي يناسبه بكفاية وحرص واقتدار .

والفصل الثالث من الكتاب ، عنوانه : (وصيّة خصيصة) ، تحدّث فيها المؤلّف عن ضرورة معرفة رئيس الجند أصناف رجاله في سجاياهم الإنسانية والحربية ، حتى يقودهم على هدى وبيِّنة ، لا على جهل وفوضى .

والفصل الرابع من الكتاب ، هو : (عيوب المقاتل) ، عدّد فيه أبرز العيوب وأكثرها ضررا ، وحثّ على عقاب المقصِّر ، عبرة لغيره ، ولكي لا يعود إلى مزاولة عيوبه من جديد . وهذا الفصل يدلّ على تشخيص عيوب المقاتل بصورة دقيقة والاهتمام الشّديد بمعالجتها ، حفاظاً على الضّبط العسكريّ والنظام ، اللذين بدونهما لا يبقى الجيش جيشاً ، بل يصبح عصابات متناحرة ، لا تفيد صديقاً ولا تضرّ عدواً ، وقد تفيد أفرادها أياماً ، وتضرّهم أبدا .

والفصل الخامس في : (وصيّة في المشورة في الحرب) ، يتطرّق فيه إلى أهمية الشورى شرعاً وعقلاً ، ويحثّ على الاستعانة بذوي الرأى السديد من الرجال ، وعدم الاستعانة بمشرك سواءً أظهر الإسلام ، أم بقي على شركه ، وبنى هذا الرأي السديد على تجاربه في الحياة ، حيث شهد مَنْ استُعين به ، ولكنه خان من استشاره ، وانقلب إلى صفوف الأعداء ، وضرب مَن ائتمنه من الخلف ، إذْ كان أجنبياً تظاهر بالإسلام ، ولم يحسن إسلامه . ثم تطرّق إلى أهمية الشّورى في الحرب ، بشرط حسن اختيار المستشارين . ولعلّ أنفع

ما كتبه ابن منكلي وأروع ما سطّره في كتابه هذا ، هو : صفات المستشارين ، وقد أجاد وأبدع في عرض تلك الصّفات ، وتميز على غيره في تعدادها ، حتى بالنسبة لصفاتهم التي سجلتها لهم أرقى كليات الدراسات العسكرية ، ليس على نطاق الوطن العربي حسْب ، بل على نطاق الدول الأجنبية في أوربة وأمريكا أيضا .

والفصل السادس في : (وصية لأمراء الجيوش في السّفر) ، ذكر فيه أنّ الإمارة على الجهاد مختصّة بقتال المشركين ، وفصّل كيفية سياسة الجيش وتدبير الحرب وما يتعلّق بذلك من أحكام ، فبدأ بتعليماته لأمراء الجيوش في السَّيْر ، أي التنقل من مكان إلى آخر ، وضرورة الرفق بالجنود في هذه المرحلة ، التي هي مسير الاقتراب) ، كما نُطلق عليها اليوم ، وتفقّد خيل المقاتلين ، ويختار مقاتليه ، وتفتيش عُدَدهم الحربية بالتفصيل ، ويؤلّف بين قلوب رجاله ، ويزيل ما قد يكون بينهم من شحناء ، ويُصلح بين قلوبهم ، وأن يكون لكلّ طائفة من رجاله شعار يعرفون به ، ويتميزون به على الطوائف الأخرى ، ويُحرِّض على القتال قبل نشوبه ، وأن يُراعي حدود الله بين رجاله ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ولايفسح المجال لرجاله بالتّشاغل في التجارة أو الزراعة أو البناء أو ما يصرفهم عن التفرغ للقتال وحده ، لايُشغلهم عنه شاغل .

والفصل السابع عنوانه : (المصابَرة في القتال) ، وتعاليم الشرع في الغنائم وغيرها ، وفي الحرب والسّلام والهدنة ، ومعاملة المحاربين وغيرهم ، مما نطلق عليه اليوم : القانون الدولي في الحرب والسّلام والحياد والهدنة ، واستعان بذلك بآراء الفقهاء : الإمام أبو حنيفة النّعمان بن ثابت الكوفي ، والماوردي ، والإمام مالك ، عليهم رحمة الله جميعاً .

والفصل الثامن عنوانه : (وصيّـة مختصرة تختصّ بالأجناد) ، يذكر أنه بعد تقوى الله ، اتخاذ الفرس الجيد ، وتأديب الفرس ليكون صالحاً للقتال ،

وشروط نجاح تأديب الفَرَس ، ثم يوصي المقاتل باستعمال تجهيزات الفرس المناسبة : الركاب ، اللّجام ، سَيْر الرّكاب ، الشكيمة ، واختيار القِسِيّ والسهام والنُّصول . ويوصي المقاتل بالتدريب المستمر على أساليب القتال ، والابتعاد عن الغافلين ، والابتعاد عن القنوط والتكبر والاعجاب بالنفس ، والاشتغال بما ينفع ، وتعلّم العلوم الحربية ، وعدم ازدراء أحد من المسلمين .

والفصل التاسع عنوانه : (التعابي المنصورة) ، وفيه الواح مصوّرة لتشكيلات القتال ، مع وصايا ونصائح وإرشادات مهمـــة ، تفيد المقاتلين ، جنوداً وضباطا .

والفصل العاشر في : (أشكال التعَابي) ، وفيه ألواح مصورة بالتخطيط لتشكيلات القتال ، يطبّقها المشاة والخيالة ، وكانت هذه الأشكال والتشكيلات مستعملة في الحروب القديمة باهتمام بالغ وعناية فائقة ، ولكنها في الحرب الحديثة لاتُستعمل ، فهي صور من صور أساليب القتال ، والأساليب تتغير باستمرار ، وقد تغيرت تلك الأساليب مع ماتغير من أساليب أخرى ، بعد ظهور مدفعية الميدان بعيدة المدى ، والدبابات ، والأسلحة المتطورة الأخرى .

والفصل الحادي عشر ، في : (تعبية العَدَد القليل) ، وفيه تصوير لتشكيل قتالي ، يقول عنه ابن منكلي إنه موضع اهتمام العلماء وملوك المسلمين به ، وهم يضنّون به في وقت السّلم على عامة الناس ويؤثرون به خواصّهم ، وهو شكل غريب قد أُضيع علمه ، في زمان المؤلّف (٧٨٠ هـ) ، ويشبّه المقاتل بالجسد ، والتشكيل القتالي بالروح ، ولا فائدة للجسد بلا روح ، ولافائدة من المقاتلين بدون تشكيلات قتالية موفّقة .

وهذا الفصل كسابقه ، لامكان له في مجال التطبيق العمليّ اليوم في جيوش العرب وغيرهم .

وفي هذا الفصل يتطرق المؤلّف إلى استعمال الحروف بما يقابلها من الأعداد ، في التشكيلات القتالية ، وهو يدّعي أنّ تلك التشكيلات القتالية بالاستفادة من الحروف وأرقامها العددية تقود إلى النصر على العدو .

والمؤلف يُصرح أنّ الاستفادة من الحروف ومايعادلها من أرقام في التشكيلات القتالية تقود إلى النصر ، وهذا مجرّب من المؤلّف الذي له تجربة عملية في الحرب وفي أسرار أرقام الحروف ، ويبدو أنه واثق مما يقول .

ولم أجرِّب هذه التشكيلات القتالية التي تعتمد الأرقام الحرفيّة ، ولا علم لي بأسرار أرقام الحروف ، لذلك لم اقتنع بهذه النظرية ، ربما لأنني أجهلها ، كما يقول المؤلّف ؛ إنّ الذي يجهل الحروف وأسرار أرقامها يتشكك في نظريته ولايقتنع بها ولا يصدق أنها تجدي شيئاً .

والفصل الثاني عشر ، في : (ذكر طبائع الأمم واختلاف أحوالهم في الحرب) ، وقد ذكر طبائع الإفرنج ، وطبائع الرُّوم ، وطبائع الترك ، وطبائع العرب ، وطبائع الأكراد ، وهذا الفصل قيّم جداً ، كأنّ ابن منكلي كاتب عصري حديث ، يصف طبائع هذه الأمم في الوقت الحاضر ، وهذا يدلّ على بعد نظره وذكائه الحاد .

والفصل الثالث عشر في : (ذكر تعبية تسمّى : ذات الدوائر) ، وهو فصل يصوِّر التشكيلات القتالية ، وما يقال عن الفصل العاشر والفصل الحادي عشر ، يُقال عن هذا الفصل ، فقد أصبحت هذه التشكيلات القتالية ليست ذات موضوع في الوقت الحاضر في حرب حديثة ، وهي تفيد الدارسين في تاريخ الحرب ، ولا تفيد المقاتلين في الحرب .

والفصل الرابع عشر في : (تعبية تسمّى : حوض النجاة) ، فيه تشكيلات قتالية خاصة ، بصور تخطيطية لها ، وقد تعدى هذه التشكيلات الزمن ، كتشكيلات الفصل السابق والفصل العاشر والفصل الحادي عشر .

والفصل الخامس عشر في : (شكل تعبية تسمّى : المتماطرة) وهو كالفصول الثلاثة السّابقة ، لافائدة فيه حالياً ، وذكره يفيد تاريخ الحرب ، ولا يفيد في الحرب .

والفصل السادس عشر ، وفيه : (الكمين) ، ومبادئ الكمين ثابتة ، ولكنّ أُسلوبه تبدّل ، وهذا الفصل يفيد المقاتلين حالياً من ناحية المبدأ لا من ناحية الأسلوب .

والفصل السابع عشر في : (طبائع الجهات) ، وهو في الأنواء الجوية بصورة بدائية لا تفيد اليوم ، لتطور وسائل رصد الأنواء الجوية والتنبؤ بها وتسجيلهـا .

والفصل الثامن عشر عنوانه : (ذكر تعبية عجيبة وسمات الألوان والحركات الكتابية) ، وهو لايخلو من فائدة ، ولكنّ فائدته في الجيوش الحديثة محدودة .

والفصل التاسع عشر عنوانه : (حصار الحصون) ، وهو فصل جيّد ، تفيد المبادئ الواردة فيه في التطبيق ، ولا تفيد الأساليب الواردة فيه ، فهو لا يخلو من فوائد ، وفيه توجيهات سديدة ، ومواعظ حميدة ، وتجارب مفيدة .

والفصل العشرون وعنوانه : (أحوال تخصّ المُقدّمَة) ، وهو في صفات ومزايا المقدّمين ، وهم الضباط والآمرون والقادة ، عدّد فيه تلك الصِّفات صفةً صفةً : قدوة حسنة لرجاله ، قادر على خداع العدو ، يحترم الكبير ويعطف على الصغير ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، عالم في علوم مهنته العسكرية ، كريم حسن الخلق متوسط الانبساط ، في المسير يعلّم رجاله ما يفيدهم ويتفقد خيولهم ويسير برجاله برفق ، ويغض الطرف عن عورات رفقائه ، ويكون ذاحياء وعِفّة ، ويكون ذا ناموس يناسب رتبته ، وألاّ يقف في الأسواق المشبوهة التي لايليق بمثله الوقوف فيها ولا يليق برتبته إلاّ الوقوف في سوق الخيل وسوق السِّلاح وسوق الكتب ، أن يحسن القراءة والكتابة وهما من كمال صناعة الجنديّة ، وأن يعلِّم ولده صناعة الجندية ومتى ما فعل غير ذلك أساء ، له أوراد للتلاوة والذكر والصّلاة وغير ذلك من القُربات ، وأن يتعلم كلّ العلوم المباحة ، وأن يكون بيته كملعب للرياضة العنيفة ، يضم تجهيزات المقاتل وسلاحه وتجهيزات فرسه ، وأن يداوم على التدريب المستمر

على الرمي ويتفقد تجهيزاته وسلاحه وتجهيزات فرسه كلّ أسبوع ، خبير بخيار السّلاح من رماح وسيوف وقِسِيّ وخناجر ومزارق ، خبير بالأصايل من الخيول وأمراضها ومداواتها وتدريبها .

ثم يقول متذمّراً من أحوال المقدّمين المتردية في أيامه : « ولو ذكر أحوال المقدّم ، وما هو المطلوب منه ، ووقف عليه بعض أهل التكاسل – أرشدهم الله – لحصل لنا السَبّ منهم ، بسبب ذكر ما يليق بأحوال المقدّمين » .

ثم يضيف : إنّ المقدم يجب أن يموت عزيزاً ، ولا ينهزم ذليلا ، أي أنه فَصّل تلك الصّفات للضّباط بتسع عشرة صفة ، لا أجد لها مثيلاً حتى في صفات الضباط في الوقت الحاضر ، ليس على النطاق العربي والإسلامي حَسْب ، بل على النطاق العالمي أيضاً .

فهو يريد الضابط مؤمناً راسخ الإيمان ، عالماً عميق العلم في مهنته ، متابعاً للعلوم الأخرى ، متمسكاً بالخلق الكريم ، يموت عزيزاً ولا يعيش ذليلاً ، يخلفه ولده في مهنته ، معتزّاً بها مقدّراً لها .

وأرى أن يتدارس المسئولون عن الضباط هذه الصفات الباهرة ، وأتمنّى أن يستفيدوا منها في اختيار الطلاب للكليات العسكرية ، ويسهروا على تطبيعهم على تلك الصّفات ، حتى تصبح طبعاً من طباعهم ، ويومئذ يكون الضباط قدوة حسنة للمقاتلين الآخرين ، وتكون الجيوش العربية كافةً جيوشاً لاتُقهر ، ويومئذ يقول العدوّ الصهيوني كما قال أسلافه من قبل لنبيِّهم موسى عليه السّلام : (ياموسى ، إنّ فيها قوماً جبّارين) (٧٠) .

إن هذا الفصل من أفضل فصول الكتاب ، إن لم يكن أفضلها ، وقد تعلّمت منه كثيراً ، وتأثرت به كثيراً ، وأتمنّى أن يتعلّم منه ويتأثر به غيري من المسئولين العرب والمسلمين ، ليتبدّل حال الجيوش العربية في الوطن العربي ،

(٦٩) الآية الكريمة من سورة المائدة (٥ : ٢٢) .

والجيوش الإسلامية في البلاد الإسلاميّة ، من حال إلى حال ، ولتصبح تلك الجيوش أسوة حسنة للجيوش العالمية في أرجاء العالم ، فما انتصر جيش بعَدَده وعُدَده ، بل الجيوش تنتصر بما تختزنه من مُثل عليا ، تؤمن بها ، وتطبقها عملياً ، ولا تكتفى بالقول دون العمل ، ولابالنظريات دون التطبيقات العملية في الميدان .

والفصل الواحد والعشرون عنوانه : (نُكت في قتال البحر) ، وهو الفصل الأخير وخاتمة الكتاب ، وفيه نصائح وإرشادات عملية في القتال البحري، يجد فيها البحري جندياً أو ضابطاً ما يفيده في قتال عدوه ، حتى في هذه الأيام ، لأنّ تلك النصائح والإرشادات عملية قابلة للتطبيق في كلّ زمان ومكان .

وهكذا ، فإنّ هذا الكتاب من الكتب التراثية العسكرية العربية الإسلامية الشّاملة التي تضمّ بين دفتيها أنواع الأسلحة التراثية ، ومختلف التعابي القديمة ، وشتى أنواع القتال في الحصون والمدن ، وفي البحر ، وهو عصارة تجارب عملية تفيد كلّ عسكري يمتهن الجندية ، أو يؤدي واجبه العسكري بصورة وقتية لخدمة بلده وأمته ، كجندي مكلّف أو ضابط احتياط .

مؤلّف الكتاب والحالة السياسية والعسكريّة في عصره

[... ـ ٧٨٤هـ]

[... ـ ١٣٨٢م]

١ ـ المؤلّف :

هو جلال الدين محمد بن نظام الدين منكلي بوغا القاهريّ المصريّ (٢) ، فاضل عارف بصناعة الحرب (٣) ، توفي سنة (٧٨٤ هـ = ١٣٨٢ م) (٤) ، وقيل محمد بن منكلي العَلَمِيّ الناصِريّ الشَّمْسِيّ ، والنسبة إلى العَلَمِيّ والناصريّ والشَّمْسِيّ غير معروفة على التحقيق ، ولكن المماليك في نسبتهم يُلحقون بأسيادهم ، فإذا تعدّدت النسبة بالنسبة لهم ، فمعنى ذلك تعدّد أسيادهم بانتقالهم من سيّد إلى سيّد آخر ، وقد نسسب المملوك إلى ثمن بيعه ، كالألفي مثلاً .

ولايعرف أحد مولده ، فقد كان تسجيل المولد في تلك الأيام الخوالي نادراً ، ولكن سنة وفاته معروفة : الأول سنة (٧٧٠ هـ = ١٣٦٨ م) كما جاء في الأعلام للزركلي ، وهي سنة إكمال ابن منكلي تأليف كتابه : (الأدلّة الرسمية في التّعابي الحربية) ، ولاسَنَد يؤيِّد وفاته في هذه السنة ، لأنّ ابن منكلي كان يشغل منصب نقيب الجيش على عهد السُّلطان الأشرف شعبان أحد سلاطين دولة المماليك الأولى بمصر ، والذي حكمها خلال السنوات (٧٦٤ ـ ٧٧٨ هـ) ، ولم يذكر

---

(٢) هدية العارفين (١٧٢/٢) .

(٣) معجم المؤلفين (٨/١٢) .

(٤) هدية العارفين (١٧٢/٢) ومعجم المؤلفين (٨/١٢) .

لنا أحد أن السلطان نحّى ابن منكلي قبل موته ، لذلك نصّت بعض المراجع التي بين أيدينا ، أنّ ابن منكلي كان حيّاً قبل سنة (٧٧٨ هـ = ١٣٧٦ م) (٥) ، وهذا مجرد استنتاج من مؤلِّف ذلك المرجع .

والمرجع الذي ذكرناه نصّ في موضع آخر من صفحاته على أن وفاة ابن منكلي كانت سنة (٧٨٤هـ = ١٣٨٢م)(٦)، وهذا التاريخ نقله مؤلِّف هذا المرجع ، من مرجع أقدم منه في عمر الزمن ، إذ نصّ على أنّ ابن منكلي توفي سنة (٧٨٤هـ = ١٣٨٢م)(٧)، وهذا النصّ كتبه المؤلِّف في مرجعه بصيغة التأكيد ، لابصيغة الحدس والتخمين ، لذلك أخذنا به هنا في دراسة حياة ابن منكلي ، وسبق لنا الأخذ به في تحقيق : (فصل من كتاب الأدلّة الرسميّة في التّعابي الحربية) ، الذي نُشر في مجلة معهد المخطوطات العربية في حينه (٨) .

وما دمنا قد ذكرنا أنّ ابن منكلي كان يتولّى منصب : (نقيب الجيش) في سلطنة السلطان الأشرف شـعبان ، فلا بد لنا من معرفة واجب هذا المنصب ، لأنّ المستشرقين الذين تدارسوا سيرة ابن منكلي أخطأوا في معرفة واجب هذا المنصب ، كما اقتصر الذين درسوا : (الرتب والألقاب المصرية لرجال الجيش) على المعنى اللّغوي لمصطلح : (النَّقيب) ، فقالوا : « النقيب : عريف القوم ، الجمع نقباء ، والنقيب : العريف ، وهو شاهد القوم وضمينهم » (٩) .

ومنصب : نقيب الجيش ، من ضمن أرباب الوظائف من أرباب السيوف، وهم على نوعين : النوع الأول ، مَن هو بحضرة السُّلطان ، وهي خمس وعشرون وظيفة ، وتكون الوظيفة السَّابعة عشرة من سلسلة تلك الوظائف هي :

---

(٥) معجم المؤلفين لكحالة (٥٣/١٢ ـ ٥٤) .

(٦) معجم المؤلفين لكحالة (٨/١٢) .

(٧) هدية العارفين (١٧٢/٢) .

(٨) مجلة معهد المخطوطات العربية ـ مجلد ١٧ ـ ١ ـ ص ١٧٣ ـ ١٧٨ ـ القاهرة ـ ١٣٩١هـ .

(٩) الرتب والالقاب المصرية (٣٥) .

(نقابة الجيوش) ، قال في : (مسالك الأبصار) : « وهي موضوعة لتحلية الجند في عرضهم ، ومعه يمشي النُّقباء ، وإذا طلب السُّلطان أو النائب أو الحاجب أميراً أو غيره ، أحضره ، وهو كأحد الحُجَّاب الصِّغار ، وله التَّطَلُّب في الموكب والسَّفر » (*) . « ولتحلية الجند » : أي جعل مظهرهم نظافةً وتجهيزاتٍ وتدريباً حُلْواً يسرّ الناظرين ، ومعنى ذلك أنّه يعيش مع الجند الذين سيستعرضهم السُّلطان ، ويكمل نواقصهم من حيث النظافة والتجهيزات والتدريب ، ويقوم باستعراضهم التمهيدي ، قبل مدة مناسبة لاستعراض السُّلطان لهم ، ليتأكّد أنّ نواقصهم كافة قد جرى إكمالها ، وأنّ استعراض السُّلطان لهم سيكون موفقاً ، لأنه لايكون استعراضاً مرتجلا ، بل يكون استعراضاً سبقته استحضارات كافية وذات كفاية ، وجرى التمرين عليه قبل موعد استعراض السلطان له . كما أنّه يُحَلّي موكب الاستعراض بسيره فيه على رأس النقباء .

ولا يستطيع أن يؤدِّيَ واجب تحلية الجنود قبل استعراض السُّلطان لهم ، إلاّ عسكري ذو كفاية عسكرية عالية ، وخبرة طويلة في الجندية ، وعلاقة وثيقة بقادة الجنود وآمريهم وضباطهم .

ومن دراسة كتابه : (الأدلّة الرسميّة) ، وكتابه : (التدبيرات السُّلطانية في سياسة الصناعة الحربية) ، تبدو لنا سمات شخصيته بوضوح ، تلك السِّمات التي تجعله محبوباً عالماً عاملاً ، مخلصاً في عمله ، كثير التدين إلى درجة الورع ، على جانب من الخلق الكريم .

وهذه الصفات هي التي أهّلته لتوليّ منصب : نقيب الجيش على عهد السلطان الأشرف شعبان ، وهو منصب حسّاس للغاية ، ولايقوى كلّ إنسان على تحمّله ، ولايصلح له إلاّ الذي يتحلى بصفات خاصة ، هي التي تبيَّنّاها من دراسة كتابيه .

(*) صبح الاعشى (٤/٢١ — ٢٢).

ومن دلائل علمه ، هذا الفيض من الكتب التي ألّفها والتي سأذكرها وشيكا ، وفي عرضه لأسباب إقدامه على تأليف كتابهْ : (الأدلة الرسمية) ، يبدو بوضوح إخلاصه لوطنه وأمته وعقيدته ، وحرصه الشديد على سلامتهم وأمنهم .

وفي الفصل الرابع من الكتاب : (عيوب المقاتل) يبدو أنه عسكريّ مجرِّب ، له باع طويل في معرفة ماينبغي للجندي أن يتجنبه من مثالب لاتناسب الجندي الجيِّد ، وما للضابط والآمر والقائد أن يعاقب عليه الجنديّ إذا زاول عيباً من العيوب التي عدَّدها بشموليّة وتفصيل ، لضمان الطاعة والتمسك بالضبط العسكري المتين .

ويؤيّد ذلك في حديثه عن : إخلاص الجندي لمن أعلى منه رتبة في الجيش ، والتلمذة له ، فهو طالب يتعلّم ويتدرّب ، ويطيع مَنْ هو أقدم منه رتبة في الجيش ، وهذا دليل على سمة من سمات أخلاق المؤلِّف الرضيَّة ، التي تحبّبه إلى نفوس العسكريين الآخرين .

ومما يدلّ على أنّه عسكري عريق في عسكريته ، أنّ أباه كان عسكرياً ، كذلك كان جدّه لأُمِّه عسكرياً أيضاً ، وقد نقل المؤلّف في تضاعيف كتابه أقوال أبيه وأقوال جدّه لأمّه ، في تجاربهما في ميادين القتال وفي الجيش ، فهو من جهة أبيه وأمه عسكريّ ، ولهذا جعل من سمات المقدَّمين : « أن يُعلِّم ولده صناعة الجندية ، ومتى ما فعل غير ذلك أساء » ، أي أنّ الضّابط يجب أن يكون ولده ضابطاً ، ولا يوجِّهه لعمل آخر ، مهما يكن ذلك العمل مفيداً لمستقبل ولده أو لرفع مستواه الماديّ ، لأنّ الجندية في نظر ابن منكلي أشرف مهنة في الدنيا ، والجندي ليس تاجراً يُدخل في حسابه لمستقبله ومستقبل أولاده الرّبح والخسارة . وقد كان الشّائع بين العسكريين كافة في مختلف الأمم والشعُوب والبلاد والجنسيات ، أنّ قسماً من العوائل الألمانية البروسية ، يتصل نسبها إلى قرون بمهنة الجندية أباً عن جدّ ، ويبدو أنّ العرب اقتصر قسم من عوائلهم

على مهنة الجندية يتوارثونها أبا عن جدّ ، ويعتبرون الأب الذي لايوجّه ابنه إلى الجندية التي هي صناعة أبيه ، مقصّراً في حقّ ولده وجيشه أيضاً وبلده وأمته وشرف مهنته وتقاليدها .

والضابط في نظر ابن منكلي يجب ان يُتقن القراءة والكتابة : « وهما من كمال صناعة الجندية » ، ثم : « ومن أحوال المقدّم أن يكون عارفاً بمواقع الحرب ، وترتيب العساكر ، وإفساد كلّ تعبية على حدتها » ، أي يكون عالماً في علوم مهنته العسكريّة ، ثم يضيف : « ومن أحوال المقدّم أن يتطلّب كلّ العلوم المباحة » ، أي لايكتفي بعلومه العسكرية الخاصة بمهنته ، بل يتعلم كلّ العلوم المباحة أيضاً ، بالإضافة إلى علومه العسكرية ، ثم اقتبس مقولة الإمام عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه ورضي عنه : « لابورِكَ في صبيحة يوم لم أزدد فيه علماً » .

ويريد أن يكون الضّابط معروفاً بسمعته الحسنة وخلقه الكريم ، فيقول : « يكون ذا ناموس يناسب رتبته » .

ولعلّ ما أورده ابن منكلي ، من أقوال الأئمّة في الفقه دليل على علمه ، في العسكرية ، وفي العلوم الأخرى ، ومنها الفقه والتفسير والحديث ، فقد تعرّض لآيات من الذكر الحكيم ، وأشار إلى تفسيرها ، كما استشهد بأحاديث نبويّة كثيرة .

ولم يكن عالماً في شئون الدين حسب ، بل كان أديباً أيضاً ، ولعلّ شواهده الشعرية تُثْبِتُ ذلك،وهي شواهد كثيرة في طيّات الكتاب ؛ تثبت أنه كان على اطّلاع واسع بالأدب .

ومن دلائل أنه كانت له تجربة علمية في الميادين ، الفصل الذي عقده حول : (طبائع الأمم واختلافهم في الحرب) ، وما تحدّث عن طبائع سائر الأمم ، وكان بإمكانه أن يفعل مقتبساً معلوماته من مصادر كثيرة متيسّرة ، ولكنه لم يفعل ، بل اقتصر على ذكر قسم من الأمم التي كان له تماس مباشر

معها ، فلمس مزاياها القتالية ومعايبها ، وتحدّث عنها حديث خبير مجرِّب ، لاحديث ناقل مستنسخ .

واهتمامه بالناحية الأخلاقية في الضباط بخاصةً ، وفي المقاتلين بعامة ، فاقت كل توقّع ، فهو يقول : « يكون قدوة حسنة لرجاله ، يحترم الكبير ويحنو على الصغير ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، كريماً حسن الخلق ، يغض الطرف عن عورات رفقائه ، ذا حياء وعِفّة ، ولايقف في الأسواق المشبوهة التي لايليق بمثله الوقوف فيها ، كالأسواق التي تكثر فيها النساء ، مثل سوق الأقمشة ، وسوق الصاغة ، ويقف في الأسواق التي تليق به مثل سوق الخيل وسوق السّلاح وسوق المكتبات » . . .

ولن يُصدر مثل هذه التعليمات الأخلاقية ، إلاّ مَنْ كان على خلق كريم ، لأنّ الإناء ينضح بما فيه .

وهو متمسِّك بالمُثل العُليا للجنديّة : « يجب أن يموت المقدّم عزيزاً ، ولا ينهزم ذليلاً » .

ومن أكثر ما يردّده ابن منكلي ، هو أثر التقوى في إحراز النصر ، ويبدأ كل فصل من فصوله بتقوى الله والتمسك بأهداب دينه الحنيف ، ويرى أنّ من واجب الضابط أن يأمر رجاله بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ثم ينصّ بشكل قاطع ، أنّ المقدّم : « يجب أن تكون له أوراد للتلاوة والذكر والصلاة وغير ذلك من القُربات » ، ومن الواضح أنّ ابن منكلي كان حَنَفِيّ المذهب ، والدليل هو استشهاده بفقه أبي حنيفة وترضيه عنه كلما ذكره واستشهد بمالك مرة بما يتّفق في فقهه مع أبي حنيفة . وكان متصوفاً ، ولكنه من المتصوِّفة العلماء، الذين يلتزمون بالكتاب والسنة ، ولايقبلون الانحراف ، كما يقع فيه المتصوّفة الذين لاعلم لهم ، والعلم عاصم من الزلل ، كما هو معلوم .

ولعلّ من مظاهر تصوّفه ، ذكره هذه التعابير التي يردّدها الصوفيّة تواضعاً لله : العَبْد ، العبد الحقير غفر الله له ، ختم الله له بالحسُنى ، لطفَ الله به ،

قال المؤلِّف غفر الله له ، أخذ الله بيده ، قال القن (١٠) ، قال بعض السّادة رضي الله عنهم ، قال الأشياخ لأصحابهم ، قال سيدي زين العابدين ، جبره الله بعفوه ، أمدّه الله بفضله ، قال سيدنا الجُنَيْدُ رضي الله عنه ، العبد الحقير لطف الله به ، الأستاذ رضي الله عنه ، خويدم الفقراء محمد بن منكلي ، ورأيت الأستاذ رضي الله عنه وأرضاه وكانت له كرامات مشهورة ، فهو متصوّف بلا مراء ، ورع تقيّ نقيّ صالح .

ويبدو أنّ المؤلّف ابن منكلي متأثّر بشخصيّتين معروفتين ، لاينفك يذكرهما في مؤلفاته : الأول : هو أبو العباس البُونْي صاحب المصنّفات في علم الحروف ، وهو متصوّف مغربي الأصل ، توفي بالقاهرة (ت ٦٢٢هـ = ١٢٢٥م) ، له : (شمس المعارف ولطائف العوارف في علم الحروف والخواص) ، وأثر هذا الكتاب في ابن منكلي واضح للغاية ، فهو مؤمن بالحروف وما يقابلها من أرقام إيماناً راسخاً ، ويذكر بأنه جرّبه في تشكيلاته القتالية ، فانتصر على عدوّه .

والثاني ، هو مايُطلق عليه : الأستاذ رضي الله عنه وأرضاه ، والذي له كرامات مشهورة ، وابن منكلي حزين عليه الآن ، لأنه كما يبدو انتقل إلى جوار الله ، اسمه : الأستاذ نجم الدين حسن الرّماح . كان معروفاً في وقته ، تتلمذ عليه ابن منكلي ، فتأثّر بمسلكه العسكري والصّوفي ، وكانت له كرامات مشهورة ، وعلم وآداب ، بلغ من العمر (٩٦) سنة . ولد سنة (٦٣٦ هـ) ، وتوفي بعد أن عاش (٩٦) سنة ، فيكون قد توفي سنة ٧٣٢ هـ ؛ أي في زمن السلطان محمد بن قلاون (٦٨٤ = ٧٤١ هـ) ، فعايشه ابن منكلي وتأثّر به تأثراً عظيماً .

والأستاذ مصطلح يُراد به في حينه : مَنْ اشترى المملوك وتعهّده بالتربية

(١٠) القن : ما يصف به المؤلف نفسه متواضعاً ، ويعني : عبد ملك هو وأبواه ، وهو بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والجمع ، وقد يجمع على أقنان وأقنة . والقنانة أو القنونة : العبودية . وقد ورد هذا التعبير في كتاب ابن منكلي (التدبيرات السلطانية) .

حتى كبر ، ثم اعتقه (١١) ، ولانعرف بالضبط نوع العلاقة بين الأستاذ نجم الدين حسن الرمّاح ، وبين ابن منكلي ، هل هي علاقة المملوك بسيده ، أم علاقة الطالب بمعلِّمه ، فليس هناك أي نصّ أو أيّة دلالة تشير إلى حقيقة العلاقة بين الرجلين .

وقد بلغ أثر البُوني والرماح في ابن منكلي ، في العلوم العسكرية وفي التصوّف وفي التمسك بأهداب الدين ، وبالورع والتقوى حداً بعيداً ، كأنّ أثرهما لم يقتصر على هذه المحاور الثلاثة : العلوم العسكرية ، والتصوّف ، والتديّن ، تل تعداها إلى إيمانه العميق بعلم العَدَد ، وعلم سرّ الحروف، كما أطلق على هذين العلمين ابن منكلي في كتابه : (التدبيرات السُّلطانية في سياسة الصناعة الحربية) ، فألّف في ذلك كتاباً خاصاً سمّاه : (أقصى الأمد في الرد على سرّ العدد) ، وسيرد ذكر هذا الكتاب قريباً .

٢ . اتّهامه بالإيمان بالطلاسم والردّ على هذا الاتّهام :

فهل كان ابن منكلي ممن يؤمنون بالخوارق التي لايمكن أن تحدث عملياً ، وهل هو يعتقد بالخرافات ؟ وهل هو يستخدم السِّحر في تعابيه الحربيّة ؟

لقد كان ابن منكلي موضع اتّهام عشوائي ، خلط بين الصواب والخطأ ، والحلال والحرام ، خلطاً عجيباً ، على غير هدى وبصيرة ، واتّهم المجتمع الإسلامي كله بما هو بريئ منه ، إذ المجتمع الإسلامي لم يكن وحده محتكراً لتلك المعتقدات ، بل كانت سائر المجتمعات منذ ذلك الوقت حتى اليوم تؤمن بتلك المعتقدات ، وتستسلم لها استسلاماً عجيبا .

فقد قال محقِّق كتاب : (التدبيرات السُّلطانية في سياسة الصناعة الحربية) في معرض كتب ابن منكلي ومؤلفاته ما نصّه : « والمؤلّف رغم كونه من رجال الجيش ، وقد اكتسب خبرةً في فنون القتال ، فهو لم يتجرّد من كثير من

(١١) الدولة المملوكية (٢٨١) .

المعتقدات التي اتَسم بها المجتمع الإسلامي ، في جميع أقطاره وفي عصوره المظلمة ، كالإيمان بالرُّقي (١٢) والطلاسم (١٣) والتَعاويذ (١٤) ، وأوجدوا في ذلك ما يسمىّ بعلم سرّ الحروف والعَدَد ، وجعلها المؤلِّف من مهمّات التدبيرات السُّلطانية ، ومن المُسَلَّمات التي جرَّبها الملوك قديما ، فنفعتهم . وكانوا يضنّون بها على خواصهم ، وهي سرّ انتصارهم في الحروب ! ! ... »(١٥)

والخلط بين الرُّقى والتعاويذ ، وبين الطّلاسِم ، خلط بين الصَّواب والخطأ ، لأنّ الرُّقي والتعاويذ مشروعة ، فهي صواب وحلال ، والطلاسم سحر أو نوع من السِّحر ، وهي خطأ وحرام ، فلا يجوز الخلط بين الصَّواب الحلال ، وبين الخطأ الحرام .

وفي باب : (الرّقى والتمائم) في أربعة فصول من كتاب : (تيسير الوصول ، إلى أحاديث الرسول صلّى الله عليه وسلّم) لعبد الرحمن بن عليّ المعروف بابن الديبع الشيباني الزبيدي الشافعي (ت ٩٤٤ هـ = ١٥٣٧ م) آيات وأحاديث شتىّ في جواز الرُّقى والتمائم (*) ، بحدود يأمر بها الإسلام ، ويتقبلها العقل والمنطق السليم . ومن تلك الأحاديث ، مارواه ابن عباس رضي الله عنهما

---

(١٢) الرقى : (ج) : رقية ، وهي العوذة التي يرقي بها المريض ونحوه ، ويقال لما يؤثر : رقية . ورقى المريض : عوذة ويقال : باسم الله أرقيك ، والله يشفيك .

(١٣) طلاسم : (ج) : طلسم (في علم السحر) : خطوط واعداد يزعم كاتبها انه يربط بها روحانيات الكواكب العلويـة بالطبائـع السفلية ، لجلب محبوب ، أو دفع اذى ، وهو لفظ يوناني لكل ما هو غامض مبهم كالالغاز والاحاجي .

(١٤) التعاويذ : (ج) : تعويذة ، وهى التميمة ، والرقية يرقى بها الانسان . وعاذبه : التجأ به واعتصم بالله منه ، تقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . والمعوذتان : سورتا الفلق والناس من التنزيل العزيز .

(١٥) مجلة المورد ـ المجلد ١٢ ـ العدد الرابع ـ تحقيق التدبيرات السلطانية ـ ص (٣٢٣) ـ بغداد ـ ١٤٠٤هـ .

(*) تيسير الوصول (٣/١٥٤ ـ ١٦٠) .

قال : « كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يُعلِّمهم من الحُمَّى ومن الأوجاع كلّها أن يقول : بسم الله الكبير ، أعوذ بالله العظيم ، من كلّ عِرْقٍ نَعَّار (١٦) ، ومن حرّ النار » ، أخرجه الترمذي . وعن علي رضي الله عنه قال : « كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا أَتى مريضاً ، أو أُتيَ به إليه قال : أَذْهِبِ البأس ، ربّ الناس واشفِ أنتَ الشّافي ، لا شِفاء إلاّ شفاؤك ، شفاء لايُغادر سقما » ، أخرجه الترمذي ، وأخرجه البخاري ومسلم عن أنس وعائشة رضي الله عنهما .

ومَنْ أراد التبسّط في الموضوع ، فعليه مراجعة كتاب : (تيسير الوصول) ، لأنّ الإفاضة فيه هنا ، ليس في محلّه . وبإمكان الباحث مراجعة كل كتاب في الحديث أو الفقه حول هذا الموضوع .

ولامجال لاتِّهام ابن منكلي وحده بالإيمان بالرُّقى والتعاويذ ، لأنّ المسلمين في كلّ زمان ومكان يؤمنون بالرُّقى والتعاويذ ، أما اتِّهامه بالأيمان بالطّلاسم فاتِّهام ظالم ، لأنّ ابن منكلي لايؤمن بالسِّحر من قريب ولابعيد ، فقد قال في الفصل الذي عنوانه : (نُكَت في قتال البحر) من كتابه : (الأدلّة الرسمية في التّعابي الحربية) : « كنت قد ذكرتُ في تأليف : (المنهل العذب) (١٧) نكتة لاستجلاب الرِّياح إذا تخمّنَت (١٨) لجري السُّفن وهو صحيح ، وعلمه ضروري لغـزاة البحر ، فلينـظر هنـاك . ولا ينبغي التصريح به ، في كلّ الأوقات ، لئلا يكذّب ناقله وقائله ، فلا يُعمل به ، فحينئذ لافائدة في ذكره . وربما يُنسب قائله إلى السِّحر ، وليس الأمر — والله — كذلك ، ومعاذ الله من أعمال السَّحرة ، بل ذلك من خواص الحروف وأسرارها » .

وقد كان ابن منكلي عالماً في علم الحروف والعَدَد ، تلقّاه من شيوخه ، وألّف فيه وجرّبه ، فقرّر أنّه علم واقعي ، فوائده ملموسة ، فهل الذي نقده

---

(١٦) نعر العرق بالدم : اذا علا وارتفع .

(١٧) أحد مؤلفات ابن منكلي .

(١٨) تخمنت : ضعفت الريح وأصبحت لا تفيد السفن .

خبير بهذا العلم حتى ينفيه جملةً وتفصيلاً ؟ الذي أعلمه أنني لست مؤهّلاً لتقبل هذا العلم أو رفضه ، ولايزعم الذي وجّه النقد لابن منكلي أنه مؤهّل لتقبل هذا العلم أو رفضه ، فكيف سوّغ لنفسه رفضه رفضاً قاطعاً ؟ ومَن الذي خوّله هذه الصلاحيّة .

ولقد قلت في تحقيق هذا الكتاب ، إنني جاهل بهذا العلم ، فلا أستطيع أن أحكم بفائدته لأنني أجهله ولم أجرِّبه ولم أر غيري جرّبه ، ولكنني أشك في فائدته وجدواه ، وهذا ما يقتضيه البحث العلمي والأمانة العلمية : عدم الحكم على شيءٍ لاتعرفه حقّ المعرفة ، ولم تجرِّبه ، ولم تر غيرك يجرِّبه ، أما أن نرفضه ، ونتهم المؤلِّف باتهمات لا دليل عليها ، فهذا ليس بحثاً ولا أمانة.

ولم أجد ابن منكلي في كتاب: (الأدلة الرسميّة) يؤمن بالسحر أو الطلاسم، بل يوصي بالدعاء إلى الله في إحراز النصر ، مع الإعداد الكامل ، أي الإعداد تنظيماً وتسليحاً وتجهيزاً وعلماً عسكرياً كاملاً ، ثم الدعاء إلى الله سبحانه وتعالى بالنصر ، وقد أورد نصوصاً من الأحاديث الصحيحة ، أثبتَ التحقيقُ صحتَّها .

وفي كتاب : (الأذكار المنتخب من كلام سيّد الأبرار صلّى الله عليه وسلّم) تأليف محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (٦٣١ — ٦٧٦هـ = ١٢٣٣ — ١٢٧٧م) كتاب كامل عنوانه : (أذكار الجهاد)(١٩) ، فيه كثير من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية في الأذكار والدعاء في الحرب ، وقد اقتدى ابن منكلي بالنبي صلّى الله عليه وسلّم ، فلا تثريب عليه .

إنّ ابن منكلي مؤمن راسخ الإيمان ، لاشك في ورعه والتزامه بالدين الحنيف ، وقد أنكر إيمانه بالسِّحر وتعوّذ منه ، أما في دعائه الله بالنّصر بعد إكمال متطلبات الإعداد الحربيّ لرجاله ، فالدعاء مشروع لاغبار عليه ، ولكنّ ابن منكلي مؤمن بعلم الحروف والعَدد ، ولا علم لنا بهذا العلم، ولانستطيع أن

(١٩) الأذكار (١٨٥ — ١٩٣) .

نحكم له أو عليه ، وبخاصة أنّ هذا العلم مع علوم أخرى ، قد نُسيت منذ أمد بعيد .

أما اتّهام العالم الإسلامي بأنه يتّسم في عصوره المظلمة بالإيمان بالرُّقى والطلاسم والتعاويذ ، كما جاء في نقد الناقد ، فاتّهام باطل جداً ، لأنّ الإيمان بالرُّقى والتعاويذ مشروع ، كما ذكرنا ، ولأنّ الإيمان بالطلاسم والسِّحر لايقتصر على العالم الإسلامي بل يشمل الأمم كافة ، وقد كان مع كلّ قائد صليبيّ زمرة من السَّحرة والمنجمين ، كما تنص على ذلك كتبهم ، ولاتزال أمم الغرب تؤمن بالسحر والعرافة ، ففي بلادها جمعيات وأشخاص ومدارس ودراسات في الطلاسم والعرافة والتنجيم ، وفي مذكرات ونستن تشرشل رئيس وزراء بريطانيا في أيام الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥) ، يذكر أنه كان يزور عرّافاً في القاهرة ، قبل أن يزور المسئولين المصريين وقادته العسكريين الكبار ، وأعرف شخصيات في القمة في بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية يتحدثون في مذكراتهم وتتحدّث عنهم الصُّحف ، في بلادهم عن إيمانهم بالعرّافين والمنجمين ، وفي الصحف الأجنبية الكبرى والمجلات ، تطالع في كلّ يوم صفحةً في مطالع النجوم ، فلماذا نتهم المجتمع الإسلامي وحده بالتخلف أمس واليوم وغدا ، والأجانب أشد تخلفاً وأكثر انحرافاً أمس واليوم وغـدا ؟ .

إنّ ابن منكلي مؤمن بعلم الحروف والعَدَد ، يعترف بذلك ، ويفخر به ، ولا يتنصّل منه،ولا أستطيع أن أحكم هل هو على حقّ في إيمانه،أو على باطل ، فلست مؤهّلاً لإصدار مثل هذا الحكم وإعطاء مثل هذا القرار .

وقد أخطأ ابن النديم في مقالته الثامنة من كتابه : (الفهرست) في حشر كتب المعزِّمين والمشعبذين والسحرة والحيل والطلسمات (٢٠) ، وكان ينبغي

(٢٠) الفهرست لابن النديم (٣٠٨ — ٣١٤) .

أن يفرق بين ماهو حلال وما هو حرام . والرُّقى وكتبها المشروعة ، ليست من السحر ولا الشعبذة في شيء .

٣ . مؤلفـاتـه :

أ . عُرف ابن منكلي بكتبه التي ألّـفـها ، ولو لم يؤلّف هذه الكتب لم يُعرف أبدا ، فكتبه صاحبة الفضل عليه ، كما هو صاحب الفضل عليها في تأليفها ، وينبغي أن يكون قدوة لغيره من الذين يستطيعون التأليف ، ثم يقعدون عنه ، كسلاً أو تردّداً أو خوفاً ، أو تفرّغاً للراحة والترفيه عن النفس .

وجملة مؤلّفاته في علوم الحرب ، تنظيماً وإدارة ، وتسليحاً وتجهيزاً ، وخططاً تعبوية ، وتجارب في الميدان ، وتشكيلات قتالية وغيرها ، فيما يتعلّق بالعلوم الحربية ، فهو من عُشّاق العسكرية نظرياً وعملياً ، وكان عسكرياً مُلتزماً من قِـمّة رأسه الى أخمص قدمه .

وقد أورد له معهد التراث العلمي العربي في جامعة مدينة حلب ، ضمن أبحاث المؤتمر السّنوي الثاني للجمعية السوريّة لتاريخ العلوم المنعقد بجامعة حلب في ٦ـ٧ ـ نيسان ـ ١٩٧٧ م ، في كتاب طبع سنة ١٩٧٩ سبعة مؤلفات من تصانيفه ، بشرح وافٍ عن كلّ منها ، وقد اعتمدناها في جملة مؤلفاته(٢١) وأضفنا اليها ما غاب عنها ، استكمالاً للبحث حول ابن منكلي ومؤلّفاته القيّمة ، التي نأمل في تحقيقها كافة في أقرب فرصة ممكنة ، بتعاون القادرين على التحقيق ضباطاً ولغويين ومؤرخين ، لتضيف هذه المؤلّفات رصيداً جديداً إلى المكتبة العربية وإلى التراث العسكري العربي الإسلامي العريق .

ب : وهذه هي تلك المؤلّفات :

١). الأحكام الملوكية والضّوابط النّاموسيّة :

كتاب يبحث في فنّ القتال في البحر ، يقع في (١٢٢) باباً ، اشتملت

(٢١) المورد ـ مرجع سابق ـ ص (٣٢١) .

على ذكر السُّفن الحربية ، وآلاتها وحركاتها والرّمي بالمدافع ، ألّفه سنة (٧٧٨هـ)، منه نسخة خطيّة في :

ـ دار الكتب المصرية (الرقم ٧٠٥ فنون حربية) ، ولكنها ناقصة في آخرها ، إذ أنها تنتهي في الباب العاشر بعد المئة ، ومنها نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة .

ـ وهناك نسخة مصورة أخرى في مكتبة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية .

ـ نسخة منه في الخزانة التيمورية في القاهرة تحت رقم (٢٣) .

ـ نسخة منه في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية (الرقم ٢ فروسية) .

ـ نسخة في متحف القاهرة الحربي .

لم يذكره حاجي خليفة في : (كشف الظنون) ، ولا ذكر له في كتاب : (هدية العارفين) ، وذكره جرجي زيدان في كتابه : (تاريخ آداب اللغة العربية)(٢٢) .

حقّق هذا الكتاب : د . عبدالعزيز عبدالدايم ، ولعلّه قد طُبع .

٢). الأدلّة الرسمية في التّعابي الحربية :

وهو هذا الكتاب الذي جرى تحقيقه .

ـ منه نسخة خطية في مكتبة أيا صوفيا باستانبول ، برقم ٢٨٣٩ ، وهي بخط المؤلّف ، كتبها سنة ٧٧٠ هـ ، وعنها نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة .

ـ ونسخة في مكتبة أيا صوفيا باستانبول ، برقم ٨٧٥ ، في ٤٦ ورقة من الحجم المتوسط ، ومسطرتها ١١ سطراً ، كتبت هذه النسخة بخط نسخيّ من محمد بن إمام الفقير ، والمخطوطة مصورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، وفي خزائن مديرية التراث القديم في وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق تحت رقم (ف ١١٨١) .

(٢٢) تاريخ آداب اللغة العربية ـ جرجي زيدان ـ (٣/٢٥٤) .

ذكر هذا الكتاب في : (كشف الظنون) (٢٣) وفي : (هدية العارفين)(٢٤) وفي معجم المؤلفين لكحالة (٢٥) وبروكلمان (٢٦) .

٣) . أُنسُ المَلاَ بوحش الفَلاَ . :

وهو كتاب يبحث في الصَّيد والسِّلاح .

— نسخة منه في المكتبة الوطنية بباريس ، الرقم ٣٨٣٢–١ .

— نسخة في مكتبة بلديّة الإسكندرية ، الرقم ٧٦ ، فنون حربية .

— نسخة في دار الكتب المصرية (فهرست الدار ٦ : ١٤٠) .

— نسخة في مكتبة لينغراد — الرقم ٧٦٢ .

نشره : فلوريان فرعون (باريس ١٨٨٠ ، ١٥٤ ص) ، بعنوان :

Sidi Mohamed el-Mangali en Naciry : Trrite de Venerie, Trad. de L'Arabe par Florian Pharoon. (Paris, 1880¬ 154 p.)

ذكره جرجي زيدان في : (تاريخ آداب اللغة العربية) (٢٧) وكحالة في (معجم المؤلفين) (٢٨) وفي (هدية العارفين) (٢٩) ، ولم يرد ذكره في : (كشف الظنون) .

٤) . التدبيرات السُّلطانية في سياسة الصنائع الحربية :

منه نسخة خطيّة في :

— مكتبة المتحف البريطاني ، الرقم ٨٢٢ ، تاريخها ٨٩٥ هـ .

---

(٢٣) كشف الظنون (٧٥/١) .
(٢٤) هدية العارفين (١٧٢/٢) .
(٢٥) معجم المؤلفين — كحالة — (٨/١٢) و (٥٣/١٢ — ٥٤) .
(٢٦) بروكلمان — (١٣٦/٢) .
(٢٧) تاريخ آداب اللغة العربية (٢٥٤/٣) .
(٢٨) معجم المؤلفين (٨/١٢) .
(٢٩) هدية العارفين (١٧٢/٢) .

— وعنها صورة مصوّرة في مكتبة جامعة القاهرة ، برقم ٢٦٣٣٧ .

— نسخة في المعهد الشّرقي في لينغراد (فهرست روزن ، الرقم ٢١٣) .

— نسخة في مكتبة أيا صوفيا في استانبول . (الرقم ٢٨٥٦) .

— نسخة في المتحف الحربي بالقاهرة . [الرقم ٣٧٩] .

— نسخة في مكتبة جامعة لينغراد ، الرقم ٧٦٢ . وفي هذه المكتبة أيضاً نسخة منقولة بخط محمد عيّاد الطنطاوي ، تاريخها ١٢٥٨ هـ .

— نسخة في دار الكتب المصرية ، الرقم ١١٤٧ ب ، وعنها نسخة مصوّرة بالفوتستات في المجمع العلمي العراقي (فهرس ميخائيل عواد ، الرقم ١٢٠ ، وهي محفوظة تحت رقم ٦٤٦) السلاح — الحرب ، الجيش — الفروسية . عدد أوراقها (٧١) ورقة ، ومسطرتها (١٥) سطراً ، مكتوبة بخط نسخيّ عادي واضح . حقّق الكتاب على نسخة المجمع العلمي العراقي ونشره في مجلة المورد العراقية — المجلد الثاني عشر — العدد — الرابع — عدد خاص بالفكر العسكري عند العرب — ص (٣١٩ — ٣٧٨) — بغداد — ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م .

والذي حقق هذا الكتاب ونشره هو الاستاذ صادق محمود الجميلي .

— نسخة منه في مكتبة بلدية الإسكندرية . (فهرست الرياضيات ، ٧٦) .

— نسخة منه في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية في القاهرة . (الرقم ٢٣) .

— نسخة منه في مكتبة جامعة القاهرة . نسخة ذكرها د . سعيد عبدالفتاح عاشور في مجلة كلية الاداب والتربية .

— نسخة منه في جامعة الكويت — (العدد ١١ — حزيران ١٩٧٧ ، ص ٣٩) .

— نسخة منه في دار الكتب الوطنية في تونس . الرقم ٣٢٥٤ .

وقد عني المعهد الفرنسي في دمشق بنشر هذا الكتاب في مجلته .

Bulletin, Etli des Orientaus (المط الكاثوليكية — بيروت) .

لم يذكر في : (كشف الظنون) ولا في : (هدية العارفين) ، وذكر

في تاريخ آداب اللغة العربية (٣٠) ، وجاء ذكره في : معجم المؤلفين باسم : التدبيرات السلطانية في الفنون الحربية) (٣١) .

٥) . الحيَل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدّروب :

منه جملة نسخ خطيّة ، في :

– مكتبة أيا صوفيا باستانبول : فيها نسختان ، أرقامهما (٣٠٨٦) و (٣٠٨٧) .

– مكتبة أحمد الثالث في طوبقبو سراي باستانبول ، برقم (٣٤٦٩) . وعنها نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية . (راجع فؤاد سيد : فهرس المخطوطات المصوّرة ٤ : ١٤ ، المرقم ١٩) .

– مكتبة جامعة ليدن في هولندة . الرقم (٤٩٩) .

– الخزانة العامة بالرباط . نسخة تاريخها ٧٦٣ هـ . وعنها نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية . (راجع نشرة : « أخبار التراث العربي » ، ع ٤٥ صادر ، في ١/٦/١٩٧٣ ، ص ٤ ، الرقم ٤٦) .

– مجموعة الجلاّوي بالمغرب . رقم ٤٣ . (راجع د . محمود علي مكي – « صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد » ٩–١٠ [١٩٦٤] ص ٤٥٣) .

يقول مؤلّفه : إنّه ترجم عن اليونانية ، وهو يضمّ ٤٩ باباً ، تبحث في أنواع الحرب ومكايدها والاحتراس من العدو ، وكيفية مخادعته ، وعمل الآلات والأسلحة ، وكلّ ذلك موضّح بالرسوم والأشكال .

ذكره ابن منكلي في كتابه : (الأدلة الرسمية في التعابي الحربية) باسم : (الحيل الحربية والتعابي الملوكية) . وذكره بروكلمان (٣٢) أيضاً ، ولم يذكره حاجي خليفة في كتابه : (كشف الظنون) .

---

(٣٠) تاريخ آداب اللغة العربية (٣/٢٥٤) .
(٣١) معجم المؤلفين (١٢/٥٣ – ٥٤) .
(٣٢) بروكلمان (٢/١٣٦) .

٦) . الرّسالة المَرْضيّة في صناعة الجنديّة :

ذكرها صاحب كتاب : (كشف الظنون) (٣٣) وصاحب كتاب : (هديّة العارفين) (٣٤) ، وصاحب كتاب : (معجم المؤلّفين) (٣٥) ، ونوّه بها مؤلّفها في كتابه : (الأدلة الرسمية في التعابي الحربية) ، فذكرها مرة واحدة فقط .

وذكرها د . سعيد عبدالفتاح عاشور في : (مجلة كلية الاداب والتربية – جامعة الكويت – ع ١١ : حزيران ، ص ٣٩) ، بقوله : « إنها ضائعة » .

٧) . العِقْدُ المسلوك فيما يلزم جليس الملوك :

ذكره صاحب كتاب : (كشف الظنون) (٣٦) ، وذكره صاحب كتاب : (معجم المؤلفين) (٣٧) ، ولم نقف على خبر نسخة منه .

وهو كتاب يبحث في علم الفراسة والقيافة ، وقد ذكره مؤلّفه في كتابه : (التدبيرات السُّلطانية) الذي جرى تحقيقه ونشره في مجلة :(المورد) ، انظر ما جاء عن هذا الكتاب في الفقرة (٤) أعلاه ، في تفصيل مؤلفات ابن منكلي :

ومكان نسخة الكتاب ، مجهول .

٨) . فَنّ الحرب :

ويتحدّث فيه مؤلّفه عن سياسة الصّنائع الحربية ، راجع : (البحريّة في مصر الإسلامية) للدكتورة سعاد ماهر (ص ٧) .

لم يذكره صاحب كشف الظنون ، مجهول المكان .

٩) . المنهل العذب لورود أهل الحرب :

---

(٣٣) كشف الظنون (٨٩٠) .
(٣٤) هدية العارفين (٢/١٧٢) .
(٣٥) معجم المؤلفين (١٢/٨) و (١٢/٥٣ – ٥٤) .
(٣٦) كشف الظنون (٢/١١٥٢) .
(٣٧) معجم المؤلفين (١٢/٨) و (١٢/٥٣ – ٥٤) .

وهو يختصّ بكيفية ترتيب المحاصرين ، منه نسخة خطّية في مكتبة أيا صوفيا باستانبول ، رقمها ٢٨٣٩، ولم يطبع . ذكره المؤلّف في كتابه : (التدبيرات السُّلطانية) ، وذكره ثلاث مرات في كتابه : (الادلّة الرسمية في التّعابي الحربية) ، وذكره صاحب كتاب : (كشف الظنون) (٣٨) ، وذكره صاحب كتاب : (هدية العارفين) (٣٩) ، وذكره صاحب كتاب : (معجم المؤلّفين) (٤٠) .

مجهول المكان ، عدا نسختة الفريدة في مكتبة أيا صوفيا .

١٠) . الكشف والبيان :

من تآليف ابن منكلي الضّائعة ، ذكره د . سعيد عبدالفتاح عاشور ، في : (مجلة كلية الآداب والتربية – جامعة الكويت – العدد ١١ : حزيران ١٩٧٧ ، ص ٣٩) . وذكره المؤلّف مرتين في كتابه : (الأدلّة الرسمية في التّعابي الحربية) . ويبحث الكتاب ، كما ذكر مؤلّفه ، في أسماء الأشخاص ، بحروف خواص الأسماء .

١١) . أقصى الأمد في الردّ على منكر سرّ العَدَد :

وهو كتاب يبحث في : (علم العَدَد) ، يقول مؤلّفه عنه : « إنّه علم شريف ، أغفله الناس ، وأنكره بعضهم ، وأدِلّته مؤيّدة بالكتاب والسُنّة وأقوال علماء هذا العلم الشّريف » .

ذكره المؤلّف في كتابه : (التدبيرات السّلطانية) وحاجي خليفة في كتابه : (كشف الظنون) (٤١) ، والكتاب مجهول المكان .

١٢) . التّعابي القمرية :

---

(٣٨) كشف الظنون (١٨٨٥/٢) .

(٣٩) هدية العارفين (١٧٢/٢) .

(٤٠) معجم المؤلفين (٨/٢) و (٥٣/٢ – ٥٤) .

(٤١) كشف الظنون (١٣٧/١) .

وهو كتاب يبحث في أنواع التّعابي العسكرية ، ذكره المؤلّف في كتابه : (التدبيرات السُّلطانية) ، ولم يذكره صاحب : (كشف الظنون) .

مجهول المكان .

١٣) . رسالة التّحقيق في سرعة التَّفْويْق :

وهي مخْطُوطة في التّعقيب في فنّ التّفويق على كتاب : (الإفادة والتبصير لكلّ رامٍ مبتدٍ وما هو نحرير) ، لجمال الدين عبدالله بن ميمون .

ذكرها المؤلّف في : (التدبيرات السُّلطانية) ، ولم يذكرها حاجي خليفة في : (كشف الظنون) .

مجهولة المكان .

١٤) . الدرّ الثمين في أحوال المتقدمين :

كتاب يتحدّث في أخلاق الجند والفرسان ، ذكره المؤلف في كتابه : (التدبيرات السلطانية) ، ولم يذكره حاجي خليفة في كتابه :(كشف الظنون) .

مجهول المكان .

١٥) . فنّ القتال البحري عند المسلمين في ضوء كتابات محمد بن منكلي المصريّ :

للدكتورة سعاد عبدالفتاح عاشور (٤٢) :

وهو كتاب ليس من تأليف ابن منكلي ، ولكنّه مقتبس من علمه في مؤلّفاته ، يفيد في إلقاء الضوء على قسم من مؤلّفاته .

ج . الخلاصة :

١) . عدد كتب ابن منكلي هي (١٤) كتاباً بموجب هذه الدراسة .

٢) . جرى تحقيق ثلاثة كتب منها هي :

---

(٤٢) مجلة كلية الاداب والتربية – جامعة الكويت – العدد ١١ – الكويت – حزيران ١٩٧٧ – ص (٣٥ – ٤٦) .

أولا : الأحكام الملوكية والضّوابط النّاموسية ، حقّقه : الدكتور عبدالعزيز عبدالدايم .

ثانياً : الأدلة الرسمية في التّعابي الحربية ، حقّقه : اللّواء الركن محمود شيت خطاب ، وهو هذا الكتاب الذي بين يديك .

ثالثاً : التدبيرات السّلطانية في سياسة الصنائع الحربية : حققه : الاستاذ صادق محمود الجميلي ونشر في مجلة المورد العراقية المجلد ١٢ — العدد ٤ — ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٣ م — ص (٣١٩ — ٣٧٨) .

٣) . الكتب الضّائعة من مؤلّفات ابن منكلي هي تسعة كتب من أربعة عشر كتاباً ، والكتب الضائعة هي :

اولا : الرسالة المرضية في صناعة الجندية .

ثانيا : العقْد المسلوك فيما يلزم لجليس الملوك .

ثالثا : فَنّ الحرب .

رابعاً : المنهل العذب لورود أهل الحرب .

خامساً : الكشف والبيان .

سادساً : أقصى الأمد في الردّ على منكر سرّ العَدَد .

سابعاً : التّعابي القمرية .

ثامناً : رسالة التّحقيق في سرعة التّفْويق .

تاسعاً : الدرّ الثمين في أحوال المتقدّمين .

يظهر لنا مما تقدم :

أولا : أنّ ثلاثة كتب من مؤلفات ابن منكلي جرى تحقيقها ، أي أن ٢٠٪ من مؤلفاته حُقّقت .

ثانياً : أنّ تسعة كتب من مؤلّفات ابن منكلي مفقودة ، أي أنّ ٦٠ ٪ من مؤلّفاته مفقودة .

ثالثاً : أنّ ثلاثة كتب من مؤلّفات ابن منكلي موجودة ، معروفة المكان ،

أي أنّ ٢٠٪ من مؤلفاته جاهزة للتحقيق ، وهي بانتظار مَنْ يُقدم على تحقيقها .

رابعاً : إن كتب ابن منكلي التي جرى تحقيقها ، تدلّ على أنها قيّمة ، وأنّ كتبه تستحقّ العنـــاية ، وكلّ جهد في تحقيقها ماديا كان أو معنوياً يهون ، لأنها مفيدة وتسدّ فراغاً في المكتبة العربية ، وتفيد التراث العسكري العربي الإسلامي ، ولهـــا أهمية خاصة في الحضارة العربية الإسلامية بخاصة ، والحضارة العالمية بعامة .

٤) . عصره :

أ . الموقف السياسي :

أطلّ القرن السّابع الهجري على مصر وبلاد الشّام ، وهما في أشدّ حالات الاضطراب والفوضى ، لأنّ الأُسرة الأيوبية الحاكمة في القطرين ضعفت بعد موت الملك العادل (٥٩٦ — ٦١٥ هـ = ١٢٠٠ — ١٢١٨ م) الذي استطاع أن يعيد الوحدة إلى مملكة أخيه صلاح الدين الأيوبي ، بعد أن تقاسمها أبناؤه وأخوته ومزّقوا شملها ، فانتهز الصليبيون هذا التفرّق ، وحشدوا قوّاتهم في عَكّا ، وساروا بها إلى مصر ، وحاصروا مدينة دمياط ، وفتكوا بأهلها فتكة مات الملك العادل على أثرها كمَدا ، فعادت الفوضى من جديد إلى صفوف الأيوبيين بعد وفاته ، فقد تملّك ابنه الكامل في مصر ، وتملّك كلّ من أخوته الفائز والمعظّم والأشرف في الشّام والجزيرة ، والصليبيون مازالوا يحاصرون دمياط ، وقد عمّ البلاء مصر ، والملك الكامل يراسل أخوته وأعمامه ، ويستحثّ أمراء الإسلام جميعاً لمعاونته على طرد الصّليبيين ، فلم ينصره أحد ، فسقطت دمياط بعد حصار ستة عشر شهراً ، هلك خلالها من أهلها خلق كثير ، وغنم الصليبيون مالا يُقدّر من الأموال والذّخائر . وظلّ الصليبيون يحتلون دمياط ثلاث سنوات وأربعة أشهر ، ثم عقد الملك الكامل معهم معاهدة صلح ، ظهر فيها بمظهر المستخذي الضعيف ، وزاد من استخذائه ، أنّه طلب منهم معاونته في الفتك بأخويه الملك الأشرف والملك المعظّم ، وأغرى الإمبراطور

فردريك الثاني ملك الصّليبيين باغتيال أخيه الملك المعظّم وإخراج دمشق من سلطانه ، فتمّ له ما أراد . ورجع فردريك إلى فلسطين ، وسيطر على القدس وما حولها ، ثم توجّه إلى عكّا وصُور ، فاستولى عليهما .

وهلك الملك الكامل في رجب من سنة (٦٣٥ هـ = ١٢٣٨ م) ، فتولى بعده الملك العادل الثاني ، فلم يطل عهده أكثر من سنتين لم يأت بعمل صالح ، فتآمر عليه أخوه الملك الصّالح في سنة (٦٣٧ هـ = ١٢٤٠ م) ، فخلعه عن العرش ، واستولى على الشّام ومصر ، وحاول توطيد أركان دولته ، ولكن أمراء الشام والجزيرة وصاحب ما بين النهرين اتّفقوا مع الصليبيين على صاحب مصر الملك الصالح ، فزحف الصليبيون وأولئك الأمراء إلى مصر ، فدارت الدائرة على الصليبيين ومَنْ معهم وردُّوا على أعقابهم خاسرين . وبلغت أخبار هذا الانكسار إلى أوربة ، فعزم ملوكها وأمراؤها ورجال الكنيسة فيها أن يغسلوا عار هذا الانكسار ، بحملة قوية يرأسها الملك القديس لويس التاسع صاحب فرنسة ، فحصّن الملك الصّالح دمياط ، وأعدّ أسطولاً كبيراً قويّاً للقائهم ، والتقى الجانبان ، فانتصر الملك الصالح ، وأسر الملك لويس التاسع .

ومات الملك الصّالح ، ولم يكن له من البنين غير طوران شاه ، ولم يكن حازماً ، فلم تطل مدّته وقتله الأمراء . وتولّت الأمر من بعده شجرة الدرّ زوجة الملك الصّالح ، وكانت سيدة ذكية ، فنظّمت الجيوش المصرية خير تنظيم ، وقاتلت الصليبيين وهزمتهم عند مدينة (فارسكور) ، فانخذل الصليبيون تماماً ، وكانت حملتهم هذه آخر حملة لهم على بلاد المسلمين .

واتّفقت شجرة الدرّ مع المملوك عزّ الدين أيبك على أن يعينها في مهمتها ، فتمّ لها ما أرادت ، وكان ذلك في صفر سنة (٦٤٨ هـ = ١٢٥٠ م) ، وخطب باسمها على المنابر ، وسمّت المملوك عزّ الدين أتابكاً أي مربياً لولي العهد الطفل ، ولكن قسماً من الأمراء استفتوا خليفة بغداد في هذا الأمر ، فأجابهم بكتاب فيه :
« ..... أعلمونا إذا كانت الرِّجال عُدِمت عندكم ، حتى نُسيِّر إليكم رجلاً يصلح للسلطنة ، أما سمعتم في الحديث عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :

لا يُفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة ... » . فلما بلغت هذه الرسالة القاهرة ، اضطربت شجرة الدر ، فاستطاع جماعة الأمير عزالدين أيبك أن يُكرهوا شجرة الدر على التنازل لأيبك ، فتنازلت له على أن يتزوّجها ، فكان لها ما أرادت.

ونودي بالاميــر عزالدين أيبك الجاشنيكر المملوك التركماني الأصــل ، ملكاً على مصر في أواخر ربيع الثاني سنة (٦٤٨ هـ = ١٢٥٠ م) ، ويبدو أن هذا الحلّ لم يَرُقْ لسائر المماليك ، فاجتمع رؤساؤهم ، وولّوا الملك الأشرف الأيوبي ، وكان عمره لا يتجاوز العشرين ، على أن يكون أيبك أتابكاً ، والملك الأشرف سلطاناً ، فخطب لهما على المنابر معاً ، والحل والربط ليس لهما بل لشجــرة الدر . وبعد أحداث ، صفا الملك لعزالدين أيبك ، فخلع الملك الأشرف موسى واستأثر بالملك دون سائر المماليك ، وتعاظم حتى على شجرة الدر ، فأمرت بعض جواريها ومماليكها ، فقتلوا أيبك وهو في الحمّام . ولما بلغ خبر اغتياله إلى أصدقائه وزملائه من المماليك ، احتالوا على شجرة الدر ، وعملوا على قتلها ، وتولية الأمير علي بن أيبك ، ولما يبلغ الخامسة عشرة من عمره في سنة (٦٥٥هـ = ١٢٥٧م) وسمّوا الامير قطز أتابكاً عليه ونائباً السلطنة .

وكان قطز داهية ، فساس البلاد خير سياسة ، وفي عهده كان الهجوم التتري على بغداد ، فولّى المماليك المظفّر سيف الدين قطز عرش مصر والشام ، فعمل على توطيد أركان الأمن في البلاد ، والقضاء على الفوضى ومسببيها ، ورأى أنّ العدو الأول الذي يجب القضاء عليه هو أولئك الصّليبيون الأوربيون ، فردم مصب النيل من جهة دمياط ليُعيق مراكب الصليبيين من العبور في مياهه التي كانوا يحتلون الشواطىء المصرية عن طريقها ، ثم أتمّ تخريب أسوار دمياط التي كان المماليك في أيام الملك أيبك سنة (٦٤٨) هـ خربوها خوفاً من سير الأفرنج إليها ، ومحيت بروج المدينة وأسوارها ، ثم مضى إلى تحصين القاهرة وترتيب أمورها والعناية بحالة البلاد عامة ، وبينما كان منهمكاً بهذا العمل ، جاءه رسول هولاكو بكتاب ينذر فيه بزحفه ، ويحذر الذين يخالفونه أن يصيبهم ما أصاب أهل بغداد ، فغضب قطز وقتل رسول هولاكو ، وردّ

عليه بكتاب يتوعّده به ، فلما بلغ رسول قطز إلى سورية رأى أنّ هولاكو قد رحل إلى بلاده ، وسلّم أمر الجيش إلى قائده كتبغا ، وأعدّ قطز العدّة للقاء التتار ، وسار نحو فلسطين والتقى الجيشان في عين جالوت ، فدارت الدائرة على المغول وقُتل قائدهم كتبغا وأسر ابنه وتفرّق جنده ، وغنم المصريون غنائم عظيمة . ولكن تآمر على قطز . بعض مماليكه وقتلوه وهو في طريق عودته على رأس جيشه إلى مصر ، ولم يدم حكمه إلاّ نحواً من سَنَةٍ ، وولّوا مكانه المملوك بيبرس البندقداري (٦٥٨ — ٦٧٦ ﻫ = ١٢٦٠ — ١٢٧٢ م) ، وكان رجلاً حازماً بطلاً سار بالناس خير سيرة ، واتخذ الأمير الصالح بلباي الخازندار نائباً للسلطنة ، لما يعرفه عنه من الإخلاص والإقدام والدهاء ، وسلّمه إدارة شئون البلاد ، فأطلق مَنْ كان في السّجون من المماليك ، ووزّع عليهم الأموال والهدايا ، وأحسن إليهم فأحبّوه ، ودعاهم إلى الالتفاف حوله للدفاع عن بلادهم من غارات الصليبيين والمغول ، ثم التفتَ إلى العامة فأزال عنهم كثيراً من الضرائب والمكوس الظالمة ، وأخذ أموال الزكاة بحسب الفريضة الشرعية ، وفتح أبواب قصره لاستماع شكاوى الناس ، وأرسل كتباً ورسلاً إلى عمال الولايات والممالك يوصيهم بأن يسيروا بسيرته ، ويحذّرهم من الظلم ، فعمّ الخير وانتشرت الطمأنينة .

ولما رأى التتار في الشّام هذه السياسة الجديدة ، خافوا مغبتها ، فأثاروا سنجر صاحب الديار الشّامية ضدّه ، فشق عصا الطّاعة ونادى بنفسه سلطاناً ، فسار إليه بيبرس ، ولكن جيوش التتار تلقّت بيبرس فتغلّب عليهم . وسارنحو سنجر ، فاعتصم سنجر بدمشق التي قنطت من فوزها ، ففتحت أبوابها لبيبرس ، ونال المماليك الموالون لسنجر ما يستحقون ، ورجع بيبرس إلى مصر ، وقد انتظمت له أمور الشّام ومصر ، وهدأت البلاد ، فعكف على الإصلاح وإشادة المدارس الضخمة التي ماتزال آثارها ماثلة إلى اليوم . وفي السنة الثانية لولايته (٦٥٩ ﻫ) فكّر في إعادة الخلافة الإسلامية العباسية إلى سابق مكانها ، ليقوى عرشه ، وكان قد نجا أحد العباسيين من مذبحة هولاكو واسمه الإمام أحمد ،

وهو ابن الخليفة الظّاهر بن الخليفة الناصر بن الخليفة المستنصر ، فكتب إليه يدعوه إلى مصر ، وخرج للقائه بنفسه من المطريّة في موكب مهيب ، ثم توجّها معاً إلى القاهرة ، ودخلا من باب النّصر ، واستُقبلا استقبالاً لم يُسمع بمثله ، ثم بايعه بالخلافة ، ولم يكن لهذا الخليفة أيّ نفوذ سياسيّ أو عسكريّ وإنما كان سلطانه دينياً .

ولما استقرّت الأمور لبيبرس في مصر والشّام ، رغب في العراق ، وجهّزَ جيشاً أنفذه مع الخليفة لإنقاذ العراق من التتار ، فجمع التتار جموعهم والتقوا بالجيش المصري الذي جاء بقيادة الخليفة ، ففرقوه وقتلوا الخليفة ، فتولّى الخلافة من بعده أحد أبنائه وتلقب بالحاكم لأمر الله ، وما إن بلغ الصليبيين خبر انكسار الجيش المصري ، حتى طمعوا في مصر من جديد . وعلم بذلك عيون بيبرس بالشّام فاخبروه ، فاستعدّ لهم . وكتب إلى صاحب بلاد القفجاق عدو أبقا خان ملك التتار ، يطلب إليه أن يحالفه ضدّهم ، كما كتب إلى صاحب القُسطنطينية يحالفه ضد الصليبيين والبابا خصم القيصر صاحب القسطنطينية ، فقويت أواصر المودّة بين القيصر وبيبرس ، حتى شيدّ القيصر في القسطنطينية مسجداً للمسلمين ، واستحصل من بيبرس على أذن بالسّماح لبطريق الطائفة الملكانية في دولته ، وقوى بيبرس صلته بالعالم وعظماء ملوكه كملك إسبانية ، وملك نابولي ، وسلاجقة آسيا الصغرى ، فحالفوه ضد التتار الطغاة . وبدأ بيبرس بقتال الصليبيين في فلسطين ، فهاجم مدينة قيصريّة وهدم أسوارها ، وقتلوا منهم عدداً كبيراً ، ثم توجّهوا إلى دمشق ففتحت لهم أبوابها ، ولم يجدوا فيها عدواً ، لأنّ هولاكو كان قد مات ، فتشتت شمل جنوده . ثم عاد بيبرس إلى القاهرة ، ومن هناك وجّه حملة إلى إرمينية ، ففتح بلادها وهدم عاصمتها (سيس) . وفي سنة (٦٦٦ ﻫ) استأنف حروبه على بقايا الصليبيين ، فاستولى على يافا وإنطاكية وصافيتا ومرقب ثم جهز أسطولاً قوياً لفتح جزيرة قُبرس التي كان الصليبيون يستعملونها قاعدة لهم ، ولكنه لم يوفّق ،. واتجه بحملته إلى قلاع الصليبيين في سورية ، فحطمها حصناً حصناً ، وبعد أن تمّ له الاستيلاء على قلاعهم كافة

في السّاحل السوريّ ، وفي سنة (٦٧٠ هـ) سار لمحاربة الباطنيين الملاحدة في شمالي سورية والعراق ، فقضى عليهم . ثم توجه لقتال التتار الذين حاولوا غزو سورية من جديد ، والتقى الجيشان عند البيرة ، وانكسر التتار . ثم توجه إلى إرمينية ففتحها من جديد بعد أن نقض الأرمن عهدهم . وفي سنة (٦٧٤ هـ) قام بحملة على النوبة الذين هاجموا جنوبي مصر ، فأدّبهم وتعهّدوا له بدفع الجزية مع عدد من الفيلة والزرافات والتحف . وفي سنة (٦٧٥ هـ) وافته الأخبار أنّ التتار أغاروا على آسية الصغرى وشمالي الشام ، فتوجّه إلى حلب والتقى بجمعهم وكان له النصر ولحق بسلطانهم الهارب أباقا خان عند (الأبلستين) ، وكانت معركة هلك فيها من الطرفين عدد كبير وانكسر التتار ، وفي سنة (٦٧٦ هـ) سار نحو إنطاكية لزيارة جنده المرابطين في الثغور وبينما هو في رحلته هذه شعر بالحُمى ، فقصد دمشق ، وأدركه الأجل وهو في طريقه إليها ، فكتم الأمراء خبره إلى أن وصلوا إلى دمشق ، فدفنوه في الثامن عشر من المحرّم تحت قبة المدرسة الظاهرية سنة (٦٧٦ هـ) ، وبموته انطوت صفحة خالدة فيها كثير من أنباء البطولة والصلاح وحبّ الخير وحماية الإسلام ونشر الفضل والعلم ، وقد امتد نفوذه من جنوبي مصر إلى أقاصي الفراتين ، ومن تخوم آسية الصغرى إلى سيف البحر الأحمر ، وقد شيّد في كثير من عواصم هذا الملك كثيراً من القصور والمساجد والمدارس والمستشفيات والخوانق والربط والخانات . ومن أجمل هذه الآثار دار الكتب التي تضمّ رفاته في دمشق .

واتفق الأمراء على تولية الأمير محمد بركة خان بن الظاهر بيبرس في سنة (٦٧٦هـ = ١٢٧٧ م) وتلقّب بالملك السعيد ، وكان الملك لايتجاوز التاسعة عشرة من عمره ، وكان فيه كثير من نزق الشباب وطيشه ، ولكنه ورث عن أبيه شيئاً من الشدة والحزم ، ولكنه أقصى الأمراء والمماليك الذين كانوا مقربين من أبيه ، وقرّب إليه طائفة من المماليك الشباب الأغرار ، فتباعدت عنه رجالات الحل والعقد والكياسة ، وتألم رجال البـــلاد من هذا التصرف الأخرق ، وعزموا على التخلص منه ، ولكن فتنة وقعت في دمشق جعلتهم يغضّون النظر عن الملك

السعيد وتصرفاته ، فقد وردت أخبار من الشام أنّ الأمير سنجر الأشقر صاحب دمشق قد أعلن عصيانه على مصر ، وسمى نفسه سلطاناً ، وتلقب بالملك الكامل ، فسار إليه الملك السعيد وحاصره في دمشق . ووجد أحد أمراء الملك السعيد أنّ جنده أخذوا يتسلّلون هرباً ، فأعلمه بذلك ، فعلم أنّ جنده سيخذلونه ، فرجع إلى القاهرة ، ولكن جنده منعوه من دخولها ، فلجأ إلى قلعة الجبل ، ولكن الجند حاصروه ، فاضطر أن يُسلّم نفسه ، وكادوا يقتلونه لولا أنّ الخليفة الحاكم بأمر الله منعهم من ذلك ، فخلعوه في ربيع الأول سنة (٦٧٨هـ = ١٢٧٩م) ونفوه إلى قلعة الكرك ، ولم يطل عمره بعد ذلك . ثم ولّوا أخاه الأمير بدر الدين سلامش ولم يكن له من العمر إلاّ سبع سنوات وأشهراً ، وأقاموا سيف الدين قلاوون الألفي أتابكاً عليه ، فلم يلبث قلاوون أن خلع سلامش ونادى بنفسه سلطاناً في أواخر سنة (٦٧٨هـ) وتلقب بالملك المنصور ، ولم يلبث قليلا حتى داهمت جيوش المغول بلاد الشّام وأخذت تفتك بالأهلين وتحرق المدن . وسار قلاوون على رأس جيش إلى الشّام ، فالتقى الجيشان وتشتت شمل المغول وقتل أميرهم منكو تمر . وانتهزت فلول الصليبيين الذين كانوا في بعض ثغور الشّام فرصة هجوم المغول ، فأغاروا على البلاد ، وفتكوا ببعض المدن والقرى ، فلما انتهى قلاوون من تشتيت المغول ، زحف على أولئك الصليبيين فأخضعهم ، وعقد معه الأمير بومنت الصليبي ملك طرابلس هدنة ، أعلن فيها خضوعه ، ثم رجع السّلطان إلى مصر . وزحف لحرب الصليبيين ، وقصد طرابلس الشّام ، وكانت تحت نفوذ الصّليبيين منذ أكثر من قرن ونصف قرن ، فافتتحها وذبح من الصليبيين مذبحة عظيمة ثم رجع إلى مصر ، فمات سنة (٦٨٥هـ = ١٢٩٠م) ، فحزن الناس لموته ، ودفن في المستشفى الكبير الذي شيده في القاهرة ، وكان قلاوون ملكاً عادلاً شجاعاً مقداماً ، وطد الأمن في البلاد الشّامية والمصرية والحجازية ، وأذاق الصليبيين والمغول مرّ العذاب ، وله آثار عمرانية جليلة .

وتولّى الملك ابنه من بعده السلطان صلاح الدين خليل (٦٨٥هـ = ١٢٩٠ م) وتلقّب بالملك الأشرف ، وكان ملكاً حازماً ، جهّز في سنة (٦٩٠ هـ) جملة

بقيادته على الصّليبيين في عكّا ، التي كانت الحصن الحصين الوحيد الذي بقي بيدهم ، فدكّه وشرد جموعهم . وعلى أثر سقوط عكا ، خاف الصليبيون على أنفسهم من المسلمين ، فتركوا سائر قلاعهم وحصونهم في بيروت وصيدا وصور ، وفرّ قسم كبير منهم من البلاد ، وعاد السّلطان إلى القاهرة ظافراً وبين يديه آلاف من الأسرى الصليبيين الذين قضى عليهم قضاءاً مبرماً ، ولم ترتفع لهم عقيرة بعدئذ . ووجه السّلطان همته إلى قتال المغول ، ففي سنة (٦٩٢ هـ) اتجه نحو حلب ومنها إلى آسية الصغرى ، حيث اعمل السيف فيهم وفيمن معهم من الأرمن ، وفتح بلاد ارزن الروم ، وذاع صيته وهابه الناس ، ثم رجع إلى القاهرة ، فلم يلبث إلا قليلاً حتى فاجأه أحد المماليك بضربة خنجر اردته قتيلا في سنة (٦٩٣ هـ = ١٢٩٣ م) ، ونادى هذا القاتل ، وكان اسمه بيدار بنفسه سلطاناً ، وتلقب بالملك القاهر ، فلم يلبث إلا يوماً واحداً حتى قتله أحد مماليك السلطان خليل وبايعوا أخاه محمد بن قلاوون ملكاً ، ولقبوه بالملك الناصر ، وكان فتى في التاسعة من عمره ، فأقاموا الأمير زين الدين كتبغا قيّماً عليه وأتابكا ، وكان من مماليك ابيه ، ولكنه لم يلبث أن خلع الناصر ونفاه إلى الكرك ، ونادى بنفسه سلطاناً ، وتلقب بالملك العادل في سنة (٦٩٤ هـ = ١٢٩٤ م) ، وفي عهده اصابت مصر مصائب عظام من طاعون وقحط وبؤس ، وهلك من أهلها خلق كثير ، لسوء إدارته . وكانت من المصائب فرار قبيلة من المغول هي العويراتية ، إلى ديار الشام ، فاستقدم كتبغا أكابرها إلى مصر لأنّهم من جنسه ، وكانوا نحواً من ثلاثمائة رجل ، فأنعم على رئيسهم طرغاي برتبة عالية وأنعم عليهم ، ومكنهم من وظائف الدولة ، فعاثوا فيها فساداً ، حتى قال محمد بن دينار الشّاعر يصف حالة البلاد بسببهم :

ربّنا اكشف العذاب عنّا فإنّا   قد تلفنا في الدولة المُغليّة
جاءنا المغل والغلا ، فانسلقنا   وانطبخنا في الدولة المغلية

ولكن السلطان سكت عنهم وشجعهم على كل اعمالهم الظالمة ، فغضب أهل مصر وكثير من امراء المماليك وثاروا على السّلطان ، فهرب إلى دمشق ،

ولكنه فوجىء بأن نائبه على الشام خلع طاعته ونادى بنفسه سلطاناً ، فاذعن له وأشهد على خلع نفسه .

ثم إنّ لاجين نائبه على الشّام نادى بنفسه سلطاناً على مصر والشّام في سنة ٦٩٦ هـ = ١٢٩٦ م) وتلقب بالملك المنصور ، وسمح لكتبغا أن يقيم بصلخد ، وأمسك طرغاي وكثيراً من امراء العويراتية وسجنهم في الإسكندرية ، ثم انصرف إلى تنظيم البلاد ومحو كثير من الضرائب الظّالمة وتقوية الجيش ، حتى تمكن من تسيير حملة قوية إلى اسية الصغرى ، ففتحت بلاد سيس وآدنة .

وفي سنة (٦٩٨ هـ = ١٢٩٩ م) بعث الأمير قفجاق على رأس فرقة عسكرية إلى حلب ، لأن المغول ينوون مهاجمتها ، فسارت الحملة إلى حلب ، ولكن الأمير قفجاق تآمر مع المغول وانضمّ إلى ملكهم غازان ، فغضب السّلطان وعزم على التوجه بنفسه إلى حلب ، ولكن بعض أنصار الأمير قفجاق انقض عليه وقتله وهو يلعب الشطرنج في اواخر تلك السنة . ثم تولى الأمير سيف الدين جقجي على السلطنة وتلقب بالملك القاهر ، ولم يلبث إلاّ يوماً واحداً ، إذ قتله أنصار الملك الناصر بن قلاوون ، وأعادوا صاحبهم من منفاه في قلعة الكرك سنة (٦٩٨هـ)، وكان عمره خمس عشرة سنة ، فسلطنوه وأقاموا أحدهم الأمير سلار المنصوري نائباً للسلطنة ، ثم أقاموا الأمير بيبرس الجاشنيكر رئيساً للقصر . واشتد التنافس بين هذين ، وكادت الفتنة أن تقع بينهما ، لولا أن الخطر المغولي داهم البلاد ، فإن غازان عاد من جديد يريد الاستيلاء على الشام ، فلاقته جيوش مصرية (٦٩٨ هـ) عند مدينة سلمية ، وكان عدد المغول نحواً من المئة ألف مقاتل ، والجيش المصري يبلغ ثلث هذا العدد ، فدُحر الجيش المصري بعد أن أبلى بلاء حسنا ، ونكبت البلاد من جديد بالمغول ، فتهدمت مدنها ، واحترقت زروعها وهجرها الناس . وزحف غازان إلى دمشق وأخذها ، فلما بلغت أخبار احتلال دمشق الملك الشّاب ، ثارت ثائرته ، فسار نحو الشّام ، والتقى بالمغول ، فشتت شملهم ودخل دمشق ، وطهّر البلاد من المغول ، ثم عاد إلى مصر . وجهّز حملة على الصليبيين في جزيرة (أرواد) ففتحها واستولى

على بعض القلاع التي كانت باقية في أيديهم . وفي سنة (٧٠٣هـ = ١٣٠٣م) ، زحف المغول من جديد على الشام ، فلاقاهم السلطان وانتصر على المغول .

وفي سنة (٧٠٨ هـ) شجر خلاف قوي بين الأمير سلار نائب السلطنة وبين الأمير بيبرس رئيس القصر ، فأراد الملك الناصر التخلص منهما جميعاً ، واتفق هو وأمير القلعة على قتلهما ، فأحسّا بالأمر واتفقا عليه وارادا الفتك به ، فاستطاع أن يفلت من حبالهما ، وتوجّه يريد الحجاز ، ثم تخلّى عن الملك موقتاً ، فاعلن تنازله عنه . واجتمع أهل الحلّ والعقد سنة (٧٠٨ هـ) ، وأجمعوا أمرهم على انتخاب بيبرس سلطاناً عليهم ، ولقبوه بالملك المظفّر ، فانصرف إلى إدارة البلاد بحزم وكياسة ، وشيد بعض المساجد والقصور ، ولكن فوجيء بتحرك أنصار الملك الناصر بن قلاوون وعملهم على إقصائه ، فثاروا على بيبرس ، واضطروه إلى أن يخلع نفسه ويفر إلى الصعيد . في سنة (٧٠٩ هـ = ١٣٠٩م) ، ولم تمض غير مدة قصيرة حتى دخل الملك الناصر مصر ، فرحّب به أهلها وبايعوه للمرة الثانية على عرش مصر . ثم هاجم آسية الصغرى وبلغ الجيش المصري ملاطية وفتك بأهلها . ثم كتب إلى السلطان أبي سعيد ملك المغول وصالحه ، فعاشت البلاد المصرية والشامية في هدوء وأمن من المغول ، إلى أن كانت نكبة تيمورلنك .

ومات الناصر سنة (٧٤١ هـ = ١٣٤١م) ، فتولّى الملك من بعده ابنه سيف الدين أبو بكر ، وتلقّب بالملك المنصور ، ولكنه لم يلبث طويلاً حتى عزله المماليك ونفوه إلى (قوص) إلى أن مات سنة (٧٤٢هـ = ١٣٤٢م) ، فولوا أخاه علاء الدين كجك ، فتلقب بالملك الأشرف ، وله من العمر ست سنوات ، ولم يبقوه إلاّ خمسة أشهر ، حبسوه بعدها في القلعة ثم قتلوه ، وبايعوا أخاه شهاب الدين أحمد الملك الناصر ، الذي كان منفياً في الكرك ، ولم يبقوه كثيراً حتى أعادوه إلى منفاه سنة (٧٤٣ هـ) ، ثم بايعوا أخاه عماد الدين أبا الفداء إسماعيل الملك الصالح ، فظل في الملك ثلاث سنوات ، قتل خلالها أخاه الناصر ، وفي سنة (٧٤٦ هـ) بايعوا أخاه الخامس زين الدين شعبان الملك الكامل ، ولم

يبق أكثر من سنة وبضعة أشهر ذبحوه بعدها في سنة (٧٤٨ هـ) وبايعوا أخاه السابع ناصر الدين حسن الملك الناصر ، فحكم ثلاث سنوات وعشرة أشهر خلعوه بعدها وسجنوه ، وولوا في سنة (٧٥٢ هـ) أخاه الثامن صلاح الدين الملك الصالح ، فحكم ثلاث سنوات وثلاثة أشهر خلعوه بعدها في شوال سنة (٧٥٥هـ) ، ثم أطلقوا سراح الملك الناصر من سجنه وأعادوه إلى العرش ، فبقي ست سنوات وسبعة أشهر ثم قتلوه في سنة (٧٦٢هـ) ، ثم بايعوا ابن أخيه محمد بن الملك المظفّر وله أربع عشرة سنة ولقّبوه بالملك المنصور في سنة (٧٦٤هـ = ١٣٦٢م) ، ولم يبق طويلا حتى اضطروه أن يتنازل لابن عمه شعبان بن حسن ، وله من العمر سنوات عشر ولقّبوه بالملك الأشرف ، وجعلوا الأمير يلبغا العمري نائباً للسلطنة ، وكان رجلاً حازماً مدبّراً ، وكانت أيامه أيام سكينة لولا أنّ سنة (٧٦٤ هـ) كانت سنة قحط اضطر الناس فيها إلى أكل لحوم الكلاب والقطط .

وفي سنة (٧٧٦ هـ) وقعت فتنة أهلية ، فقد قتل بعض المماليك الأمير يلبغا العمري ، وكادوا أن يقتلوا السلطان نفسه ، ولكن أنصاره تمكنوا من إنقاذه ، فوقعت البلاد في هرج ومرج عظيمين ، ولم تنته هذه الفتنة ، حتى تمكن المماليك من قتل السلطان خنقاً في سنة (٧٧٨ هـ) ، وولّوا ابنه علي علاء الدين ، ولقبوه بالمنصور ، وأقاموا عليه سيف الدين برقوق وصياً إلى أن مات عليّ سنة (٧٨٣ هـ) ، فبايعوا أخاه زين الدين حاجي الملك الصالح ، وكان طفلاً له ست سنوات ، واستمرّ برقوق في ولايته ، ولكنه عزم أخيراً على القضاء على هذه الأسرة من المماليك البحرية أو التركمانية ، ونصب نفسه ملكاً لأسرة من المماليك جديدة ، هي أسرة المماليك الشراكسة ، المعروفة بالبرجية (٤٣) .

(٤٣) انظر تاريخ الامة العربية – عصر الانحطاط – (٨١ – ١٠٠) والدول الاسلامية (٣/١٦٨ – ١٦٩) والدولة المملوكية (٢٥٣ – ٢٩٧) .

مصارع السّلاطين المماليك البحريّة ومدة سلطنتهم

ت	اسم السلطان وشهرته	مدة حكمه	مصرعه وطريقة تخليه عن الحكم الملحوظات
١	شجرة الدر ـ أيبك	٦٤٨–٦٥٥هـ=١٢٥٠–١٢٥٧م	قُتِلا
٢	قطز الملك المظفّر	٦٥٥–٦٥٦هـ=١٢٥٩–١٢٦٠م	قتل
٣	بيبرس البندقداري	٦٥٨–٦٧٦هـ=١٢٦٠–١٢٧٢م	مات على فراشه
٤	محمد بركة خان بن بيبرس	٦٧٦–٦٧٨هـ=١٢٧٧–١٢٧٩م	خُلع
٥	بدر الدين سلامس بن بيبرس	٦٧٨–٦٧٨هـ=١٢٧٩–١٢٧٩م	خلع
٦	قلاوون الملك المنصور	٦٧٨–٦٨٥هـ=١٢٧٩–١٢٩٠م	مات على فراشه
٧	خليل الملك الأشرف بن قلاوون	٦٨٥–٦٩٣هـ=١٢٩٠–١٢٩٣م	قتل
٨	بيدار الملك القاهر	٦٩٣–٦٩٣هـ=١٢٩٣–١٢٩٣م	قتل حكم يوما
٩	محمد قلاوون الملك الناصر	٦٩٣–٦٩٤هـ=١٢٩٣–١٢٩٤م (الأولى ٦٩٨–٧٠٨هـ=١٢٩٨–١٣٠٨م (الثانية ٧٠٩–٧٤١هـ=١٣٠٩–١٣٤١م (الثالثة)	مات ، وخلع مرتين
١٠	كتبغا الملك العادل	٦٩٤–٦٩٦هـ=١٢٩٤–١٢٩٦م	خلع
١١	لاجين الملك المنصور	٦٩٦–٦٩٨هـ=١٢٩٦–١٢٩٩م	قتل
١٢	بيبرس الملك المظفر	٧٠٨–٧٠٩هـ=١٣٠٨–١٣٠٩م	خلع
١٣	أبو بكر المنصور	٧٤١–٧٤٢هـ=١٣٤١–١٣٤٢م	خلع
١٤	كجك الملك الأشرف	٧٤٢–٧٤٣هـ=١٣٤٢–١٣٤٣م	خلع وقتل
١٥	أحمد الناصر	٧٤٣–٧٤٣هـ=١٣٤٣–١٣٤٣م	خلع

ت	اسم السلطان وشهرته	مدة حكمه	مصرعه وطريقة تخليه عن الحكم الملحوظات
١٦	اسماعيل الملك الصالح	٧٤٣–٧٤٦هـ=١٣٤٣–١٣٤٦م	قتل
١٧	شعبان الملك الكامل	٧٤٦–٧٤٦هـ=١٣٤٦–١٣٤٦م	خلع
١٨	حاجي الملك المظفر	٧٤٥–٧٤٨هـ=١٣٤٦–١٣٤٧م	قتل
١٩	حسن الملك الناصر	٧٤٨–٧٥٢هـ=١٣٤٧–١٣٥١م (الأولى) ٧٥٥–٧٦٢هـ=١٣٥٤–١٣٦٠م (الثانية	قتل
٢٠	صلاح الدين الملك الصالح	٧٥٢–٧٥٥هـ=١٣٥١–١٣٥٤م	خلع
٢١	محمد بن الملك المظفر (الملك المنصور)	٧٦٤–٧٦٤هـ=١٣٦٢–١٣٦٢م	خلع
٢٢	شعبان بن حسن الملك الأشرف	٧٦٤–٧٧٨هـ=١٣٦٣–١٣٧٦م	قتل
٢٣	علاء الدين بن شعبان الملك المنصور	٧٧٨–٧٨٣هـ=١٣٧٦–١٣٨١م	مات على فراشه
٢٤	حاجي الملك الصالح	٧٨٣–٧٩١هـ=١٣٨١–١٣٨٩م	خلع

والخلاصة :

١) . أنّ أربعة وعشرين ساطاناً ، تولّوا حكم مصر خلال ثلاث وأربعين ومئة سنة ، تكرر اعتلاء أثنين منهم اسرة الحكم أكثر من مرة ، هما محمد بن قلاوون الناصر الذي تولّى الحكم ثلاث مرات ،وحسن الناصر الذي تولّى الحكم مرتين، أي أنّ سبعة وعشرين سلطاناً تولّوا سدّة الحكم خلال هذه المدة القصيرة من عمر الزمن ، أي مدة حكم كل سلطان خمس سنوات فقط .

ب) . ثلاثة سلاطين منهم لم يخلعوا ، والباقي خلعوا مرة أو مرتين ، وعشرة منهم خلعوا وقتلوا ، وهذا يدل دلالة واضحة على اضطراب الوضع السياسي للأسباب التالية :

أ. قصر مدة حكم السلطان .

ب. ٨٥٪ منهم خلعوا .

ج. ٤٢٪ منهم قتلوا وخلعوا .

هذا هو الجوّ السياسي الذي عايشه ابن منكلي ، لم يكن مستقراً ولا شبه مستقر ، بل كان مضطربا .

ب. الموقف العسكري .

لاشك في أنّ النّظام العسكري المملوكيّ ، بُنِيَ أساساً على التربية المتقنة في الطّباق(٤٤) الهادفة إلى تطوير العلوم الاجتماعية والدينية للمملوك ، وإتقانه فنون الفروسية ، هذا إذا أُعتق المملوك بقيت تلك العلوم تعمل في نفسه طيلة حياته ، وتغدو رادعاً له عن اقتراف المعاصي ، دافعاً له للولاء والتضحية في سبيل مَنْ يخدم .

ويجري تربية المماليك السُّلطانية بعد أن يَشتري السُّلطان مماليكه ، فيرسلهم إلى الطّباق ، بحيث ينزل كلّ واحد منهم في الطّباق المخصص لبني جنسه ،

(٤٤) الطباق : (ج) : طبقة ، والطباق : هي ثكنات المماليك السلطانية التي يتدربون فيها ويعيشون في غرفها .

لأنّ السُّلطان الأشرف خليل (٦٨٥ — ٦٩٣ هـ = ١٢٩٠ — ١٢٩٣ م) رتّب المماليك السُّلطانية حسب انتماءاتهم العرقية ، وجعلهم فرقا . ولا شك في أنّ هذا الترتيب ، كانت له محاذيره على المدى البعيد ، إذ أوجد نوعاً من العنصريّة والتباعد بين أفراد الجيش . وكل طباق كان موزعاً على عدد من المساكن ، تستوعب مجتمعة حوالي الألف مملوك (٤٥) .

والسُّلطان بيبرس الأول (٦٥٨ — ٦٧٦ = ١٢٦٠ — ١٢٧٢ م) أوّل مَن بنى الطّباق في القلعة ، فبنى طباقين فيها ، ثمّ شيّد برج الزّاوية ، وبنى بقربه طباقاً جديداً (٤٦) .

وكان السّلاطين يجلبون المماليك صغار السنّ ، كي يُصار إلى تربيتهم تربية إسلامية (٤٧) ، فقد كانوا يتعلّمون قراءة القرآن والخط وآداب الشّريعة والصّلوات والأذكار ، وعندما يشبّ المملوك يُعلّمه الفقيه شيئاً من الفقه ، ومتى بلغ سنّ الحلم يتعلّم فنون الفروسية ، ومن ثَمّ يُعتَق ويتدرّج في الإمرة (٤٨) .

وخلال إقامة المملوك في الطّباق ، كان يخضع لنظام قاسٍ ، فقد كانت تُحصى عليه حركاته وسكناته ، من هنا تخرّج المماليك وهم على درجة عالية من الضبط المتين ، طائعين لرؤسائهم وللسُّلطان . وبدت الدولة قويّة في أوّل عهدها بهؤلاء المماليك الذين كان مثلهم الأعلى أن يظلّوا الطبقة الحاكمة المميَّزة ، لأنّهم كانوا أعظم الأجناد شأناً وقدراً ، وأوفرهم إقطاعاً وأقربهم إلى السُّلطان (٤٩) .

ولكنّ جلب المماليك لم يقتصر على الأرقّاء الصِّغار ، إنمّا جيء بالجلبان(٥٠)

(٤٥) صبح الاعشى (٣/٣٧٥ — ٣٧٦) .
(٤٦) النجوم الزاهرة (٧/١٩٠ — ١٩١) .
(٤٧) بدائع الزهور (٢/٧٠ و ٨٧) .
(٤٨) العريني — المماليك (٨٩) .
(٤٩) صبح الاعشى (٢/٣٤٧ — ٣٤٨) .
(٥٠) الجلبان : الارقاء البالغون الذين يدخلون الى اراضي السلطنة بناء على رغبة السلطان ، ويعتبرون من مماليك السلطان .

كبار السنّ ، ومع مرور الزّمن كثر عدد الرجال في الجلبان ، فمنهم مَن ثقل عليه العيش في بلاده ، ومنهم مَنْ كان قد امتهن حرفةً أو مهنة كَمَّلاح أو وقّاد السفينة ، مما أدّى إلى انخفاض مستوى التعليم في صفوف المماليك السُّلطانية في الدين والتدريب (٥١) .

والمماليك السُّلطانية ، كانوا يعتبرون العمود الفقري للجيش المملوكي ، وذلك قبل تطعيمهم بالجلبان الكبار ، فقد تلقّوا أفضل تدريب عسكري ، وأتقنوا فنون الفروسية كلّها ، وكوّنوا القوّة الرئيسة في الحملات الرئيسة (٥٢) . ولكن يبدو أنّ هذا الأمر تغيّر مع تغيّر الزمن ، وذلك ناتج عن قصر المدة التي عاشها المماليك في الطِّباق ، وعن قِصر مدد حكم السّلاطين ، إضافةً إلى اعتلاء السُّلطنة عدد لابأس به من السّلاطين الأطفال ، وإلى تنوّع فئات المماليك السُّلطانية .

إنّ كثرة تغيير السّلاطين ، بعد موت السُّلطان محمد الناصر سنة (٧٤١ هـ = ١٣٤١ م) ، ومارافقها من تعدّد في الفرق المملوكية ، أوجب على السُّلطان أو الوصيّ عليه تخريج عدد من الأجلاب في أقصى سرعة ممكنة ، ليؤازروه في المحن والخطوب .

ولاشكّ في أنّ سرعة تخريج المماليك، انعكس على قِلّة ولائهم ، وفقدت رابطة الأخوة في الجندية (٥٣) جوهرها ، حتى غدت أحزاباً سياسية مُنْقَسِمَة على نفسها . وانعدمت العلاقة بين المملوك الصّغير والمملوك الكبير لجهة التوجيه والارشاد ، وقلّ ولاء المملوك لاستاذه الذي عمل على تربيته وعتقه ، وقلّ احترام

(٥١) صبح الاعشى (٢/٣٤٧ — ٣٤٨) .

(٥٢) Ayalon. "Mamluk", pp. 204 — 205.

(٥٣) كانوا يطلقون عليها في العهد المملوكي : (الخشداشية) ، وهي رابطة الاخوة أو الحزب الواحد ، الذى كان يجمع بين المماليك الذين تربوا في طباق واحد ، انظر :

Ayalon, Mamluk Army, P 220

وانصياع المماليك لطواشيتهم (٥٤) ومُقَدَّميهم (٥٥) .

وفي ذلك الخضَمّ من الفوضى ، ازدادت عدد الفرق المملوكية وتشعبت وتشابكت وتنازعت على النفوذ والبقاء ، ولا أدلّ على ذلك من تعاقب اثنى عشر سلطاناً خلال سني (٧٤١ — ٨٧٣ هـ = ١٣٤١ — ١٣٨٢ م) . زد على ذلك ، أنّ المماليك السُّلطانية في تلك السنين ، قلّت مكانتهم ومهابتهم تجاه طغيان مماليك الأمراء الذين زادت أعدادهم أضعافاً على أعداد المماليك السُّلطانية ، وفتح أساتذتهم أمامهم أبواب الترقية والتّسلّط ، فحقدت الفرقتان كلّ على خصمه . كما اهتم قسم من السّلاطين على تخريج أعداد ضخمة من المماليك السُّلطانية من عرق واحد ، مما أذكى نار الفتن العنصرية في البلاد .

كما تغاضى قسم من السّلاطين عن سكنى قسم من المماليك في القاهرة لا في الثكنات ، والتزوّج من القاهريّات ، مما أدّى إلى إضعاف النظام العسكريّ الذي كان سائداً ، والمتميز بالضبط الشديد والنظام الصّارم ، ومما أدّى إلى خمول الجيش ونسيانه التّقاليد الجيدة التي اتُّبعت في عهد الدولة المملوكيّة الأولى (٥٦) ، هذا فضلاً عن إبطاله التمرينات العسكرية في الميدان السلطاني اعتباراً من سنة (٧٩١ هـ = ١٣٨٩ م) إثر مؤامرة تعرّض لها ، فانحصرت تمرينات الفروسية في الحوش السُّلطاني (٥٧) ، ليكون المتدربون تحت إشراف السُّلطة ، ولكي لايُسمح بالتمرين إلاّ لمن يُعتمد عليه ويوُثق به .

وتفاقمت مساوىء النظام العسكري وازدادت خللاً ، حين شرع السّلاطين والأمراء اعتباراً من النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي باستقدام أقاربهم والبالغين من الرجال ، بعد أن تأصّلت فيهم عادات بلادهم ، مما حدا بالمقريزي

(٥٤) طواشيتهم : طواشي : الخصي (د) ، والطواشي هو الذي يخدم في ثكنة تدريب المماليك (الطباق) ، ويريد بهم هنا : الاداريين على الثكنات ، المسئولين على اقرار الضبط والنظام بين المماليك الذين هم في مرحلة التدريب.

(٥٥) المقدم : القائد ، الآمر .

(٥٦) خطط المقريزي (٢/٢٢٩) .

(٥٧) خطط المقريزي (٢/٢٢٩) .

أن يقول فيهم : « وصارت المماليك أرذل الناس وأدناهم وأخسّهم قدراً ، وأشحهم نفساً . . . ما فيهم إلاّ مَنْ هو أزنى من قرد ، وألصّ من فأر ، وأفسد من ذئب ، ولا جرم أن خربت أرض مصر والشّام . . . بسوء أيالة الحكّام وشدّة عبث الولاة ، وسوء تصرّف الأمراء ، حتى إنه ما من شهر إلاّ ويظهر من الخلل العام مالا يُتَدارك فرطه » (٥٨) . وهؤلاء الأقارب والوافدون مُنحوا الاقطاعات والمناصب، بالرغم من جهلهم للعادات والأصول المتّبعة في المجتمع المملوكي ، فأساءوا استغلالها ، وساهموا إلى حد بعيد في إفساد التنظيم العسكري والإداري المملوكي .

وبدون شك ، فإنّ المساوئ التي تسرّبت إلى النّظام العسكريّ المملوكي ، انعكست سلبياً على التنظيم الإداري ، لأنّ القيّمين على الإدارة المملوكيّة ، كانوا أمراء الجيش ، فضلاً عن قِلّة ضئيلة من أرباب القلم الوطنيين (٥٩) .

إنّ التناقض الداخليّ بين مماليك السُّلطان لتنوّع الأجناس وتفاوت التدريب العسكري والتعليم واختلاف التربية ، ومن جرّاء المطامح الشخصيّة ، والمطامع الذاتيّة ، وتناقض مماليك السُّلطان ومماليك الأمراء الذين كثيراً ما يطمحون إلى اعتلاء سدّة السّلطنة ، لأنّ السّلطان مملوك مثلهم ، أصبح سلطاناً بالوراثة أو بأساليب شتىّ منها المغامرة ، جعل من جيش المماليك ، جيشاً في مظهره ، عصابات في مَخْبَره ، يتناحر في أيام السّلام سرّاً أو علانية ، ويقاتل يداً واحدة في أيام الحرب . وكثيراً ما يتساءل المتسائلون : كيف أحرز هذا الجيش انتصارات باهرة في حروبه ، مثل انتصاره على التتار في عين جالوت ، وعلى الصليبيين في دِمياط ؟ إنّ هذا الجيش يتّحد حين يهدّده خطر خارجيّ ، مثله مثل العائلة الواحدة المتناحرة في داخلها ، والتي تسكن داراً واحدة ، فإذا شبّ الحريق في تلك الدار أو اقتحمها اللصوص هَبّت كلها لإطفاء النار أو لصد اللّصوص ، وتتناسى في وقت الخطر خلافاتهـــا الداخلية ، فإذا زال الخطر المحدق بها ، عاد إليها تناحرها من جديد .

---

(٥٨) خطط المقريزي (٢/٢١٤) . (٥٩) الدولة المملوكية (٧٦ – ٧٩) .

وهكذا هو واقع جيش المماليك ، توحّده الخطوب والأحداث ، وتفرّقه المباهج والأفراح ، وقد بدأ قوياً في تدريبه وتنظيمه وفي معنوياته ، ثم انحدر بالتدريج ، بعكس سُنّة النشوء والارتقاء، يبدأ الطفل صغيراً ضعيفاً ثم يقوى ويشتّد بالتّدريج ، حتى يصبح رجلا ، أما الجيش المملوكي ، فقد بدأ قوياً في معنوياته ومادّياته ، ثم ضعف بالتدريج ، حتى أصبح جيشاً بالاسم ، وعصابات بالفعل .

لا عجب أن نرى ابن منكلي يبدي تذمّره من حالة الجيش ضباطاً ومراتب ومقاتلين ، لأنّ الجيش تخلىّ عن تقاليده العريقة التي أصبح بها جيشاً له مكانته بين الجيوش ، وسنأتي على تفصيل ذلك في نهاية هذا الفصل .

ج . الموقف الإداري :

كان التنظيم الإداري العسكري في بداية العهد المملوكي ، نظاماً فعّالاً صارما ، عندما كان يعتلي سدّة الحكم سلاطين أقوياء ، يضبطون الأمور بحزم وقوة وحكمة ، ولكنه بدأ يفقــد فعّاليته تدريجياً . إنّ الصــلاحيات الواسعة التي منحها السّلاطين للأمراء ضماناً لولائهم ، أساء أولئك الأمراء استعمالها . فالسّلاطين أنفسهم لم يُقيّدوا تلك الصّلاحيات ، باعتمادهم على أسس الأعراف والتقاليد التي تُحدّد أولويّة الترقية ، بل اعتمدوا على ترقية المقرّبين منهم أو الذين يخشون جانبهم ، فأفسحوا المجال أمام المغامرين للخروج عن الطّاعة وإساءة استعمال صلاحيّاتهم (٦٠) .

---

(٦٠) الترقية بالنسبة للعسكريين ، تعتمد على الأقدمية وشروط أخرى ، مثل اجتياز امتحان خاص ، أو تفوق في معركة معينة ، فاذا جرى الالتزام بهذه االأسس في الترقية ، سادت القناعة بين العسكريين . أما اذا غابت هذه الاسس ، وحلت محلها ترقية المقربين الى السلطة أو الذين تخشى السلطة منهم ، فان التذمر يسود بين العسكريين ، وتكون النتيجة وبالا على السلطة . وهذا ما حدث بالضبط على عهد قسم من سلاطين المماليك: أغدقوا الترقية والهبات على المقربين دون غيرهم ، ونسوا أو تناسوا ذوى الكفايات العالية والماضي المجيد ، فأصبح الراغب بالترقية وبالعطايا والهبات ، يتقرب للسلطة بوسائل شتى ، الا المشروعة منها ، كالاقدمية ، والعلم ، والكفاية النظرية والعملية ، والعمل الصالح ، ولماذا هذا العناء ، والجود يفقر والاقدام قتال ، والترقية والهبات تؤخذ بالتقرب والزلفى!! لا بالكفايات . .

وأيّ تهاون في ضبط هذا التنظيم ، الذي حمل في طياته بذور الفساد ، يجعل تلك البذور تنمو وتُفسِّخ أواصره وتماسكه .فإن بدا السُّلطان ضعيفاً ، ولاحت لأمير الإسطبل السُّلطاني الكبير (٦١) مثلا ، بوادر فرصة يستطيع بها إضعاف جانب السُّلطان بمنع الخيل عن مماليكه ، العنصر الرئيس في المعارك ، لأنّ الأمير يسيطر على جميع الخيول السّلطانية . والأمر نفسه ينطبق على أمير السلاح (*) وغيرهما من الأمراء الكبار .

وفي الوضع نفسه ، فإنّ القائد العام للجيش المملوكي (٦٢) الذي خوّله التنظيم الإداري العسكري تنفيذ مهام دون مراجعة السُّلطان . هذه الصّلاحيات كانت تذكي فيه الغرور ، وتوقظ في نفسه الرّغبة الجامحة للسُّلطة ، وعندها لايبقى نفع من قسَم الولاء الذي أدّاه للسُّلطان .

وإنّ التزامات السُّلطان الماديّة والمعنويّة تجاه الأمراء ، لم تكن دافعاً لكسب ولائهم ، بقدر ما كانت سبباً في وثوبهم عليه ، على الأخصّ بعد أن دبّ الفساد في النِّظام العسكريّ المملوكيّ . فدراسة تصرّفات الأمراء خلال العصر المملوكيّ ، توضح تماماً أنّ الأمير كلّما ارتقى درجةً واكتفى مادياً ازدادت طموحاته ، دون أن يأبه لنتائج طموحاته على اقتصاد الدولة ومنعتها العسكرية .

والعرف المملوكيّ الذي جعل العرش من حقّ الجميع ، زاد نشاط الأمراء المغامرين الذين انتهجوا الثورات مسلكاً ، وتدافعوا فيما بينهم للوصول إلى منصب الأتابكية (٦٣) الذي يخوِّلهم إما السَّيطرة التامة على السُّلطان ، أو الإطاحة به ، أو القضاء على الثائر والثورة ، وهي في الوقع ليست ثورات بل فتناً داخلية ، تهدم ولا تبني ، وتقوض ولا ترمِّم ، وهذا الأمر يفسِّر كثرة الثورات والفتن بين طوائف المماليك ، وتعدّد تلك الطّوائف التي أثّرت بالضرورة في مسار النظام العسكري ، فدفعته قُدماً في مهاوي المساوئ والضّعف .

---

(٦١) امرة اخورية : وموضوعها التحدث على اسطبل السلطان وخيوله ، وعادتها مقدم ألف ، انظر صبح الاعشى (١٨/٤ — ١٩) .
(*) أمير السلاح : السلاح خانة ، صبح الاعشى (١٨/١٤) .
(٦٢) القائد العام للجيش المملوكي : أتا بك العسكر .
(٦٣) الاتابك : القائد العام للجيش المملوكي .

وفيما يتعلّق بالنظام الإداري المالي ، فإنّ السّلاطين والأمراء الكبار ، لم يرضوا أبداً أن يسوس البلاد اقتصادياً الوزير ، سواء كان مدنياً أم عسكرياً ، لأنّ وظيفته لم تشكّل في الواقع بيت خدمة سلطانيّ . من هنا عمدوا إلى إضعاف الوزارة ، وتشتيت صلاحيات الوزير ، على عدد من النُّظار أناطوهم بالاستدار (٦٤) الذي جعله النظام الإداري المملوكي خادماً للسُّلطان . أضف إلى ذلك ، أنّ الوزير الصّاحب كان يُشكل حلقة اتّصال مباشرة بين الشّعب والطبقة العسكرية الحاكمة ، بمعنى أنّه كان يسوس البلاد انطلاقاً من مبدأ خدمة الشّعب والحكّام على حدّ سواء ، الأمر الذي لم يرض عنه المماليك . وعندما أصبح الاستدار أرفع رتبة ومنزلة من الوزير (٦٥) ، وانحصرت أكثر السُّلطات به ، نجده يستبيح كلّ محرّم ، بفرضه ضرائب استثنائية ، وبإرغامه الناس على شراء سلع بأسعار قسرية (٦٦) ، وإذا بالوزير الذي غدا دوره ثانوياً وإقطاعات وزارته قليلة وضعيفة المردود ، يسير على خُطا الاستدار (٦٧) ، فارتبك الوضع الإقتصادي في البلاد ، وعمّت الرّشوة وانتشر الفساد . وزاد في سوء التنظيم الإداري سماح السّلاطين للحجّاب بالقضاء بين الناس اعتباراً من سنة ١٣٤٥ م ، فأنزلوا بهم أشد أنواع المظالم ، وتسلّطوا على أرباب الأقتصاد (٦٨) .

والفساد الذي تطرّق إلى النظامين العسكريّ والإداريّ ، انعكس بلا شك على باقي القطاعات في الدولة ، وعلى الأخص القطاع الإقتصادي ، فظهر خلل رهيب بين مصاريف الجهاز العسكريّ والانتاج الإقتصاديّ ، وأثّر ذلك سلباً في رعاية الجهازين الإداري والعسكري لأرباب الاقتصاد ، وعلى العاملين في الميادين الإقتصادية (٦٩) .

---

(٦٤) الاستدار : أستاذ الدار ، انظر صبح الاعشى (٤٥٧/٤) ، وانظر كتاب : الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والاثار (٢٨٤) .
(٦٥) السلوك للمقريزي (٣/ق٣/٩٩٥) .
(٦٦) السلوك للمقريزي (٣/ق٢/٨٢٩) و (٤/ق١/٢٧٤ — ٢٧٥) .
(٦٧) السلوك للمقريزي (٣/ق٢/٤٨٤ — ٤٨٥) .
(٦٨) خطط المقريزي (٢/٢١٩ — ٢٢١) .
(٦٩) الدولة المملوكية (٧٩/٨٢) .

د . ابن منكلي وعصره :

كان ردّ فعل ابن منكلي على مظاهر الإحباط السياسيّ والعسكري والإداري واضحاً جليّاً في مؤلفاته ، ومنها كتابه : (الأدلّة الرسمية) الذي بين يديك .

وابن منكلي ، تدرّب وتعلم في ثكنات تدريب وتعليم المماليك ، ونشأ وترعرع وشبّ على تقاليد الجيش المملوكي الصّارمة ، فهو يدافع عن هذه التقاليد ، ويراها مثله الأعلى في إعداد الجيش للحرب ، ليكون جيشاً منتصراً ، إنّه قويّ في تدريبه ، متين في معلوماته ، قويم في أخلاقياته ، راسخ في تديّنه ، أُسوة حسنة للجيوش الأخرى شرقاً وغرباً .

والذي يمعن النظر بأبحاث كتابه ، يجد فيها ، منهجاً كاملاً لتدريب المقاتل وتعليمه في ثُكنات الجيش المملوكي ، ويبدو أنّ ابن منكلي تخرّج من ثكنات الجيش المملوكي في عهدها الذّهَبيّ ، ثم أخذ هذا الجيش يَضْعُف بالتدريج ، فمـا كان من ابن منكلي إلاّ أن ينتقد الأوضاع السّائدة في الجيش المملوكي التي هي ليست في مصلحته بل في مصلحة أعدائه ، ويريد له مخلصاً أن يعود إلى سيرته الأولى .

ولم يكن الدافع لنقد ابن منكلي لحالة الجيش المملوكي إلاّ من أجل إصلاحه ليعود إلى سابق عهده عزيزاً قويّاً ، وما كان الدافع له في نقده كره الجيش أو كره القائمين عليه ، أو التنكر لقيادته ، أو تشويه سمعة السُّلطان القائم في حينه ، فذلك ضد طبيعة ابن منكلي المؤمن بالضّبط المتين والطّاعة الصارمة ، المخلص قلبياً للسُّلطان والداعي إلى الالتفاف حوله وشدّ أزره ، ومعاونته في إكمال نواقص جيشه ، بالعمل الجاد ، والعلم العسكريّ المفيد ، والتدريب المستمر والتمرين الدائب ، وتوحيد الصفوف ، وجعل الضباط والقادة نماذج يُحتذى بهم في علمهم وعملهم وخلقهم الرّفيع .

إنّ ابن منكلي في نقده ، يريد أن يَبْني لا أن يَهدم ، ويشيِّد لا أن يُحطِّم ، ويرتق الثّغرات ، ويغطّي العورات ، ويحرم أعداء بلده وأُمته وعقيدته من تحقيق أهدافهم ، فهو مع الصّديق على العدو ، ومع الجماعة على التفرقة ، ومع

الطّاعة على العصيان ، إنّه نقد للبناء لا للهدم ، وهذا ما لم يخف على السُّلطان القائم ، فأبقى ابن منكلي في منصبه نقيباً للجيش ، ولم يُعفه من منصبه بعد أن اطّلع على مؤلفات ابن منكلي وشاع أمرها بين الناس ، وبخاصة منهم العسكريين المثقفين ، وتقبل نقده قبولاً حسنا .

ولا يمكن التطرّق إلى كل ما ورد من نقد في كتاب ابن منكلي : (الأدلة الرسميّة) لأنّه كثير ، فلابد من الاقتصار على نماذج منه ، تُعطي فكرةً واضحة عنه ، باختصار الطريق إليه ، بعد الذي عرفناه من بواعثه وأهدافه ومراميه .

قال عن العلوم العسكرية : « وقد وَضع في هذا الفنّ من العلماء كتباً ، فُدرست تلك الكتب بما فيها من الحِكم ، فصارت وهي من الرّمَم ، وقلّ الطّلَبُ لهذا العلم من كثرة اللهو والغفلات ، حتى صار الأمر إلى الحسرات والخسارات ، وصار المتظاهرون بهذا الشأن مسخرة لذوي البطالات ، وتنبّه العدوّ المخذول لتعرّض المسلمين والمسلمات » .

وذكر ابن منكلي سببين لتأليف كتابه هذا ، هما : أن يُعرف أن في المعسكر الإسلامي مَنْ له اهتمام في العلوم العسكرية ، والثاني ، أن يَستَثير هِمَم المسؤولين للاستفادة من طاقات الرجال وكفاياتهم المعطّلة ، لأنّ تلك الطاقات والكفايات مغمورة بالفقر والعوَز ، وهذان السببان في ظاهرهما توجيه وتعليم ، ولكنهما في الواقع نقد مرير ، فالأول يدلّ على أنّ الجهل المطبق في العلوم العسكرية هو السّائد في الوطن الإسلامي ، وأصبح ذلك معروفاً مقرراً ليس بين المسلمين حسب ، بل بين غير المسلمين أيضاً ، مما جرّأ أعداء المسلمين على التعرض بالمسلمين ، وما غُزِيَ قومٌ في عُقر دارهم إلاّ ذلّوا . والثاني يدل على أن الشعب بوادٍ والمسؤولين عنه بوادٍ آخر ، لا يعرفون عنه شيئاً ، ولا يدرون بطاقات رجالهم المعطّلة دون مسوّغ ، إلا جهل الحكام بواقع الشّعب وحقيقته ، وهذا نقد بالصّميم دون مراء .

ويقول عند حديثه في المشورة في الحرب : « أما أهل المشورة في العلوم التفصيلية والإجمالية اليوم ، في وقتنا هذا المبارك ، فقَلَّ أن يوجَدوا كما قيل ، وقد كنّا نعُدُّهم قليلاً ، فصاروا أقل من القليل » ، وهذا نقد صريح جارح ، إذ ما مصير أمة قلّ فيها العلم والعلماء ، وشاع فيها الجهل والجهلاء !

وكانت الخيول عنصراً هاماً من عناصر النّصر ، وكان الفرسان أهم سلاح من أسلحة الجيش على الإطلاق ، ولكن الفرَس المستجد كالجندي المستجد لا يفيد شيئاً في القتال ، إذا لم يكن مضرّاً ضرراً بالغا ، والجيش غير المدرّب تدريباً راقياً ، لا يمكن أن ينتصر في الحرب .

وقد كانت الخيول في أيام تأليف كتاب ابن منكلي غير مدرّبة ، فهو يقول في وصف تلك الخيول : « اتخاذ الفرَس الصحيح المؤدّب ، بأنواع الأدب المتداول بين أهل الفروسيّة .

« أما الأدب المشار إليه في الفرَس ، فهو في عصرنا لا يكاد يوجد ، وإذا وُجد يكون نادرا ، وإذا وُجد مَنْ يؤدِّب ، فلا يساعده الزّمان » . وفي أمثال القدماء : « قتل الفارس فرسُه ، لا عدوُّه » ، يريد أنّ الفرس غير المدرّب ، يقتل فارسه ، لأنه يلقي به في المهالك ، ولا يُسْلِمُه إلى الأمان .

ويقول عن التباهي بالسرُوج المترفَة : « وليتّخذ من السَّرج الصَّحيح القليل الفضّة مالا ترونه اليوم في السُّروج المغرقة، فهي لا تصلح لأحد من الناس .

« أما الرَّجل العاقل ، فلا يستَحْسِن مثلَ ذلك . وأما الشّاب الأمرد ، فيقبح عليه استعماله من وجوه شتىّ منكرة شرعاً ، ولا يصلح استعماله إلاّ مَنْ شاء ذلك من الحَمْقَى — أصلحهم الله » .

وهكذا أصبح الفُرسان يتخذون السُّروج المزوّقة المترفة للتباهي بها لا للحرب ، فهي سروج قد تصلح لأشباه الرجال ، ولكنها لا تصلح للرجال .

وللتباهي أيضاً تعليق القُصَّة في عنق الفرس ، وتعليق ذنب حمار الوحش

قلادة في عنق الفرس ، فيقول : « ولا يُعلّق البَرْجم(٧٠) في عنق فرسه ، إلاّ مَنْ كان قد قتل عدواً للمسلمين ، لا ما ترونه اليوم من فعل مَنْ لا حياء له ولا معرفة ، نسأل الله السِّتر .

« وكذلك لا يُعلّق ذنب حمار الوحش والبقر الوحش في قلادة فرسه ، إلاّ مَنْ رمى أحد الحيوان المذكور » ، ويبدو أنّه رأى فُرساناً يعلّقون البراجم في أعناق أفراسهم ، وهم لم يقتلوا عدواً للمسلمين ، بل لم يقتلوا فأرة ! ورأى مَنْ يعلّق في قلادة فرسه ذنب حمار الوحش أو ذنب بقر الوحش ، وهو لم يَرْم ذبابةً ، وبذلك تظاهر بالكذب ، وهدفه السُّمعة لا الجهاد والأجر.

ويوصي بالتدريب المستمر راجلاً وراكباً ، ويحذّر من الغفلة ، أي ترك التدريب المستمر ، فيقول : « وعليك أيّها المجاهد بالرِّياضة ما أمكنك فارساً وراجلا ، وإذا رأيت الغافلين ، قل : الله ، ثم ذَرْهُمْ ، وادْعُ لهم سِراً وجهراً ، ولا تكن من القانطين ولا من المتكبِّرين ، ولا من المعجبين ، فتكون من الخاسرين . واشتغل بما ينفعك وما أنت مطلوب به ، واشتغل بالعلوم الحربية ما أمكنك تعليمه من غير ازدراء أحد من المسلمين ، فهذه وصايا أشياخنا رحمة الله عليهم » .

ثم يجد المقاتلين الذي عرفهم من قبل ، غير المقاتلين اليوم ، في معنوياتهم وسجاياهم وسماتهم ، فيقول لهم مذَكِّراً : « وليُعلم أنّ الجندّ هم زهرة المملكة وبهجتها ، فينبغي أن يكونوا كما ذكر : (فرساناً بالنهار ، رهباناً بالليل) ، وحينئذٍ يكونون من أهل الحروب ومن رجال التّعابي » ، هكذا ينبغي أن يكون المقاتلون حقّاً ، وإلا فلا ، وينبغي أن يجعل المقاتل الارتزاق من الجيش ، (وسيلة) لا (غاية) ، وشتّان بين الغرَضَيْن .

ويستنكر إشاعة الترف في الجيش ، فيقول : « ولا يكون هؤلاء المقاتلة ممّن تربىّ مُسْرِفاً بالتنعيم وأكل الطيبات مُسْرِفاً ، وصقل السرّوال الملذوذات

(٧٠) ابراجم : (ج) : برجم ، وهو القصة من الشعر على الناصية .

وصقل لفَّافة الخُفّ ، وصقل القميص مطرّزاً ، ولبس الحرير ، والتوسدّ بالوسائد النّاعمة والفُرُش الوطيئة ، والطُرُز المذهّبة ، التي لا تليق إلاّ بالنّسوان ، فما يستحي فاعله من الله تعالى . اللهم تُب علينا وعليهم » ..

« فيا سيدي ! مَنْ كانت هذه معيشته ، كيف يختار الموتَ ، أو يحبّ القتال مع المصابرة وشظف العيش ؟ فأحوال المصابرين على المحاصَرة غير ذلك».

وهذا نقد جارح جداً ، للترف السائد في تلك الأيام ، بين المقاتلين ، مما حَمل ابن منكلي على استنكاره بشدة ، وتحذير المقاتلين من ممارسته .

ويستنكر تفشيّ القمار بين المقاتلين ، فيقول ناصحاً مرشداً موجّهاً : «وقد عَمّت البلوى في أصحابنا برميهم على ... (يذكر أنواع القمار) ....

« هذا من عموم البلوى ..... وقد اتّفق لنا نصائح في مثل ذلك لهم ، فموفّقهم يسمع ويعترف ، والجَهَلَة يُحاجّون بلا علم ، أرشدهم الله » ...

« ووجدتُ الموفّقين أقلّ من القليل ، ويفعلون في الرّهان قماراً فاحشاً » .

ورأى المقاتلين يهتمّون بجيوبهم أكثر من اهتمامهم بقلوبهم ، فيستنكر ذلك ، وينصح بما ينبغي أن يكون عليه المقاتل الحقّ : « والواجب على الجندي أن يهتبل بالعُدَد والسلاح مع القُدْرة لذلك ، أكثر من اهتباله بالقُوت ، لأنّه إذا فُقِدَ يمكن أن يمتار من أرض العدوّ ، وإذا عُدِم السّلاح لم يقدر على وجوده ، والقتال بغير ذلك لا يمكن .

« والواجب على الجندي ، أن يكون متأهّباً لقهر عدّوه ، وامتثال وليّ أمره .... وهكذا رأينا آباءنا يفعلون كلّ يوم ، ولا يقطعهم عن ذلك عيد ولا مطر ولا سبب من الأسباب ، ولا يُفرز عندهم يوم الحرب من يوم السّلم ، ونحن الآن ممنوعون من ذلك التأهّب ، لوجوه نشكوها إلى الله ، لا إلى سواه ، إذ ليس لها من دون الله كاشفة » .

وجملة : « ونحن ممنوعون من ذلك التأهّب » ، قاسية في نقدها ، صريحة في توجيه الاتهام إلى قِمّة السُّلطة ، وهي تستحق الدراسة والتفكير العميق ،

والموقف العسكري الذي فصّلناه ، يفسِّر ما خفي في هذه العبارة الصريحة القاسية ، على الذين لم يعيشوا تلك الأيام الصعبة على الجيش والجنود .

ثم يقول في سمات الجندي الحقّ ، الذي جرى التّخليّ عنها بالتدريج : « والواجب على الجندي ، مع الاستطاعة لذلك ، أن يقتني الخيل الصِّحاح المؤدَّبة ، لينتفع بها مَنْ احتاج إليها في المهمّات السُّلطانية ، ولا يتخذها للزينة والتفاخر » ، فالخيل السّليمة المدرّبة ، هي للجهاد ، لا للتفاخر والزينة .

وحين يتحدّث عن سمات المقدّم ، يقول : « ومن أحوال المقدّم ،ألاّ يقف في الأسواق التي لا يليق بمثله الوقوف بها ، كأسواق العطّارين ، وأسواق قماش النِّساء ، وسوق الصّاغة . ولا يليق برتبته أن يقف إلاّ في سوق الخيل ، وسوق السِّلاح ، وسوق الكتب — إن كان ممّن يُحسن القراءة والكتابة ، وهما من كمال صناعة الجنديّة » ، ومن الواضح أنّ ابن منكلي أمَضَّهُ وقوف المقدّمين وقد ارتدوا بزّاتهم العسكرية ، في الأسواق التي تزدحم فيها النِّساء ، فرفض أن يفعل المقدم ذلك رفضاً قاطعا ، وحدّد الأسواق التي يستطيع المقدّم الوقوف فيها ، دون أن يكون ملوماً ولا مُقَصِّرا .

ومن الواضح أيضاً ، أنّه وجد المُقَدَّمين لا يُحسنون القراءة والكتابة ، بل (أغوات) جهّالاً ، فقال قولته مرتفعاً ينقده ارتفاعاً سامقا : « إن كان ممن يُحسن القراءة والكتابة ، وهما من كمال صناعة الجنديّة » .

وكان ابن منكلي على علم بالقيود المفروضة على التدريب العسكري ، للظروف العسكرية في هبوطها الذي تحدثنا عنه ، ولكنه وهو الحريص على طاعة أولى الأمر ، المتمسِّك بأهداب تطبيق الأوامر نصاً وروحاً ، يقول علناً : « ومن أحوال المقدّم ، ألاّ يقطع الرِّياضة (يريد التدريب والتمرين) كالرِّماية ، وأن يتفقّد لبس جَوْشَنِهِ كلّ جُمُعَة ، ويجري به وهو لابسه خفيةً ، لئلا يتّهم بأمن » ، ومعنى وصية ابن منكلي هذه واضحة ، وفيها نقد عنيف ، يأمر بالخروج عن الطاعة ، وعدم تنفيذ الأمر الذي يقضي بمنع التدريب العسكري

لمصلحة البلاد والأمة والعقيدة التي تقتضي بل تحتّم الاستعداد في التدريب للقتال . إذ أوامر السّلطنة في حينه ، هو منع التدريب العسكري إلا ما كان بإشراف السلطة الحاكمة في حينه وبموافقتها .

ثم يقول ، وكأنه يعرف أنه سيكون ملوماً من أهل التكاسل والتبطّل من المقدّمين ، الذين اتّخذوا من مهنة الجندية وسيلة من وسائل العيش المضمونة ، والانتفاع بمظاهرها الخلاّبة للمصلحة الشخصية دون المصلحة العامة ، فهي جنديّة للدنيا والناس ، لا للاخرة ولما عند الله من أجر ، فيقول بصراحة ووضوح ، واصفاً مقدمي زمانه : « ولو ذكر أحوال المقدم ، وما هو المطلوب منه ، ووقف عليه بعض أهل التكاسل – أرشدهم الله – لحصل لنا السّب منهم ، بسبب ذكر ما يليق بالمقدّمين » .

ومثل هذا النّقد في الكتاب كثير ، وقد أطلقت عليه تعبير : النّقد البنّاء، وربما يطلق عليه غيري تعبير : التذمّر المشروع ، ولن نختلف في التعبير ، فسواء أكان ابن منكلي ناقداً أم متذمّرا ، فما أراد بنقده او تذمّره إلاّ الإصلاح والصّلاح ، ما استطاع ، وخير البلد ومصلحة الأمة ومستقبل العقيدة ، وكان سبيله إلى ذلك قلمه ، فقد جاهد بسيفه حق الجهاد ، كما جاهد بقلمه ، فلم يسكت عن الانحراف ، وهاجم المنحرفين ، وشخّص الداء ، ووصف الدّواء .

إنّه قال علناً ما (يجب) أن يسمعه السُّلطان ، لا ما (يحبّ) أن يسمعه السُّلطان ، فأدّى الأمانة حقّ الأداء ، وبقي بقلمه حاضراً في سمع الزّمن ، مرموق المكانة والمكان ، لأنّه أدّى واجبه مجاهداً ومعلماً بأمانة وإخلاص وصدق.

أدعو الله عزّت قدرته أن ينفع بهذا الكتاب وبهذا التحقيق ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم .

والحمد لله كثيراً على فضله ، وصلّى الله على سيّدي ومولاي رسول الله ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

بغداد في ٩ ذو الحجة ١٤٠٨هـ
٢٣ حزيران ١٩٨٨م

الأدلّة الرسمية في التعابي الحربيــة

تأليف

نقيب الجيش محمد بن منكلي

(ت ٧٨٤هـ = ١٣٨٢م)

حققه وعلّق عليه

محمــود شيت خطاب

اللواء الركن

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة المؤلّف

الحمدُ للهُ ، ناصرِ الغُزاةِ ، وكاسِي العُراةِ ، ومُخَذِّلِ البُغاةِ ؛ المختار لقُرْبِه مَنْ جاهدَ ولم يقصد بذلك سواه ، المانِّ بفضله على خواصّ جُنْدِه ، بجعلهم خيرَ الرُّماةِ ، وعلّمهم كلَّ فنٍّ لنِكاية عِداه ، وباهَى بهم خواصَّ ملائكة سماه .

وصلّى اللهُ على أكمل البشر ، سيّدنا مُحَمَّد ما نَطَقَ ناطِقٌ وفَتَحَ فاه ، وعلى آله وأصحابِه ماناحَ قُمْرِيٌّ (١) بأرضٍ فاه (٢) .

أما بعد ، فقد استخرتُ اللهَ تعالى ، في تأليف هذا الكتاب ، المسمّى : بـ (الأَدِلَّة الرَّسْمِيَّة في التّعابي (٣) الحَرْبِيَّة) ، وأرجو أن يكون تأليفي له خالصاً لوجهه ، مع فوز قُربه .

وقد وضع في هذا الفَنِّ [نَفَر] (٤) من العلماء كُتُباً ، فدَرَسَت (٥)

---

(١) قمري : ضرب من الحمام ، مطوق حسن الصوت . (ج) : قمر . والانثى : قمرية . (ج) : قماري . .

(٢) فاه : رجل فاه ، يبوح بكل ما في نفسه . وقمري فاه : يبوح بكل ما في نفسه ، أي يطلق طاقاته كافة في نوحه في أي مكان وجد فيه .

(٣) التعابي : جمع تعبئة . والتعبئة : تهيئة موارد الدولة ، واعدادها عند الحرب . والخطة التعبوية : خطة معركة واحدة من معارك الحرب ، وهي : Tactics وكان يعبر عنها في قسم من الجيوش العربية بـ «تكتيك» ، مع أن كلمة : التعبئة ، قديمة في (تراثنا اللغوي) ، وقد استعملها محمد بن منكلي في كتابه هذا سنة (٧٧٠هـ = ١٣٦٨م) ، وقد عاد اليوم استعمال الكلمة : (تعبئة) في الجيوش العربية كافة .

(٤) نفر : اضيفت الى النص لاستكمال المعنى في سياقه .

(٥) درس : عفا وذهب أثره . وتقادم عهده . درس الثوب : خلق وبلى .

تلك الكُتُب بما فيها من الحكَم ، فصارت وهي من الرِّمم (٦) ، وقلَّ الطّلَب لهذا العلم من كثرة اللّهو والغفلات ، حتى آل الأمر ، إلى الحسرات والخسارات ، وصار المتظاهرون بهذا الشأن مسخرةً لذوي البَطالات (٧) ، وتنبَّهَ العدوُّ المخذول لِتَعَرُّض (٨) المسلمين والمسلمات ، ونحن نسأل اللهَ أن يُهلكهم بأسواء (٩) الهلكات .

والسَّبب الداعي لهذا التأليف أمور : أحدُها ليُعْلَمَ أنَّ في العسكر الإسلامي مَنْ له عِناية من ربِّه تعالى بخدمة أولى الجدّ والاجتهاد ، ممّن مضى من الأولياء الأجنادِ .

والأمر الآخر ، لعلَّ أن يقف عليه أحد من وُلاة أُمورنا أهل البصائر والتبصرة ، ليجد قلوباً (١٠) مُنْكَسِرَة ، يمنعها قِلَّة الأرزاق التمرّنَ لقتال الكفرة ، وليُعلم أنّ في العسكر الإسلامي رجالاً (١١) يُقاس أحدهم برجالٍ ليس لهم كفاية ، ولا يُشْعَر بهم ، كأنَّ لسان حالهم يقول : (لَيْسَ على الضُّعَفاءِ ، ولا على المرضى ، ولا على الذين لا يَجِدُوْن ما يُنْفِقُوْنَ ،

(٦) الرمم : (ج) : الرمة ، وهى العظام البالية .
(٧) البطالات : بطـل العامل : عطله . وبطل العمـل : قطعة (محدثة) . والبطالات : (ج) : بطال أو متبطل عن العمل . ويقصد هنا : الذين لا عمل لهم ، الكسالى ، الذين لا ينهضون بما ينفع بلدهم وأمتهم ، الذين لا فائدة فيهم .
(٨) تعرض : تصدى . يقال : تعرض المعروف ، وتعرض له . وتعرض فلان لكذا : صار عرضة وهدفاً له .
ويريد هنا : أن العدو ، انتهز فرصة غياب العلوم العسكرية عن المسلمين وجيوشهم ، وجهلهم بها ، واستخفافهم بفوائدها ، لمهاجمة المسلمين في عقر دارهم واذلالهم .
ومبدأ التعرض : مبدأ من مبادىء الحرب المهمة ، وهو المبادرة بمهاجمة العدو .
(٩) أسواء : (ج) : سوء . والسوء : كل ما يسوء الانسان ، وكل ما يَقبح .
(١٠) في الأصل : قلوب .
(١١) في الأصل : رجال .

حَرَجٌ إذا نَصَحُوا لله وَرَسُوْلِه ، ما على المُحْسِنِيْنَ مِنْ سَبِيْلٍ)(١٢) طائعين لولاةِ أمورهم ، أيّدهم اللهُ تعالى .

ويلزم أمراء جيوشنا ، أيدّهُم الله بنصره ، التأسّي بفعل النبيّ عليه السَّلام(*) بتعاهده (١٣) الرّجال والخيل، فما لم يصلح منها للحرب ، مُنِعَ من دخول الحرب ، لأنَّه تَغْرِيْرٌ (١٤) من غير فائدة ، ولا يأْذنُ لمُخَذِّلٍ (١٥) ولا لمن يُرْجِفُ (١٦) للمسلمين ، ولا يجاهد أَحداً من أحرار المسلمين عن أحدٍ بعوض أو غير عوض ، لأنّه فرض على الكفاية (١٧) ، ويجب عليه ردّ العوض .

(١٢) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩١/٩) .
(*) والصحيح أن يقال : عليه الصلاة والسلام ، كما أمر الله تعالى في الآية الكريمة : (... يا أيها الذيـن آمنوا صلوا عليه وسلموا تسـليماً) ، الأحزاب (٣٣ : ٥٦) .
(١٣) تعاهده : تفقده وتردد اليه يجدد العهد به .
(١٤) يغرر به تغريراً : عرضه للهلكة .
(١٥) المخذل : الذى يحمل أصحابه على الفشل وترك القتال .
(١٦) يرجف : يخوض بالاخبار السيئة وذكر الفتن ، وفي التنزيل : (والمرجفون في المدينـة) .
(١٧) الفريضة أو الفرض : في الشرع ما يثبت بدليل مقطوع كالكتاب والسنة والاجماع ، وهو على نوعين : الأول : فرض عين : يعمله الجميع ، واذا قام به البعض لم يسقط عن الاخرين ، خلاف فرض الكفاية . وفرض العين يلزم كل مسلم باقامته ، ولا يسقط عن البعض باقامة البعض له ، كالايمان ونحوه . ونطلق عليه في المصطلحات العسكرية الحديثة ـ فيما يخص الجهاد ـ النفير العام ، وذلك في حالة مهاجمة أعداء المسلمين بلاد المسلمين ، وحينذاك يصبح الجهاد فرضا عينيا . والثاني : فرض الكفاية، ما يلزم جميع المسلمين اقامته ، ويسقط باقامة البعض عن الباقين ، كالجهاد وصلاة الجنازة ، وتطلق عليه في المصطلحات العسكرية الحديثة ـ فيما يخص الجهاد ـ النفير الخاص ، يكفى أن ينفر قسم من المسلمين ، وذلك في حالة مهاجمة المسلمين بلاد اعداء المسلمين للفتح . انظر سفرة الزاد لسفرة الجهاد ـ أبو الثناء شهابالدين محمود الالوسي ـ بغداد ـ ١٢٣٣هـ ، وانظـر كتاب التعريفـات ـ السيد الشريف الجرجاني ـ القاهرة ـ ١٣٥٧هـ .

وَلْتَعْلَمْ ، حفظك الله تعالى ، أنّ ذوي العلوم الرّاسخة، والعقول الرّاجحة ، عالمة بأنّ علم التّعابي الحربيّة ، مطلوب لأهله شرعاً وعقلاً ، وذلك أنّ النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، والأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين قبله ، كلّهم قد رتّبَ في حروبه التّعابي ، قال الله تعالى ، مُمْتَنّاً به على طالوت (١٨) بقوله تعالى : (وزادَهُ بَسْطَةً في العِلْمِ والجِسْمِ) (١٩) ، وقال أهل التفسير : كان من بعض علمه علم التّعابي ، والسياسة فيها .

وأما القدماء من الأُمم ، فلهم الموانع الرّصديّة على اختلاف تنوّعها ، بأفعالٍ خياليّة وحقيقيّة هندسيّة ، يقصدون بها إيهام عدوّهم وغلبهم .

أما علماؤنا المبصرون مواقع الحروب ، إذا رأوا في وقتنا مثل ذلك أبطلوه في طَرْفَةِ عَيْنٍ ، بعون الله تعالى ، بعلمٍ علّمها لهم العليم جلّ جلاله ،

---

(١٨) طالوت : من الاعلام الواردة في القرآن الكريم ، وهو شاؤول أو (شاول) الوارد ذكره في التوراة . جاء اسم طالوت مرتين في سورة البقرة في سياق قصة داود ، قال تعالى : (وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ، قالوا : أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه) ، وقوله بعد ذلك : (فلما فصل طالوت بالجنود ، قال : ان الله مبتليكم بنهر، فمن شرب منه فليس مني) .

تمهد قصة طالوت لظهور النبي داود . ذلك أن جماعة من بنى اسرائيل طلبوا من نبيهم (وهو صموئيل أو صمويل) في التوراة ، أن يعين عليهم ملكاً يقودهم في قتال أعدائهم العمالقة ، فاختار لهم طالوت ، فتذمروا واحتجوا لانه فقير ، وقالوا : (نحن أحق بالملك منه ، ولم يؤت سعة من المال) ، فرد عليهم نبيهم بقوله : « ان الله هو الذى اصطفاه » . (وزاده بسطة في العلم والجسم) ، وجعل له آية أن يأتيهم بالتابوت ، فلما خرج طالوت ببنى اسرائيل لقتال عدوهم ، جبنوا عندما رأوا كثرتهم وعلى رأسهم جالوت ، وكان من بينهم داود الذى تمكن من قتل جالوت ، انظر التفاصيل في : القاموس الاسلامي ـ أحمد عطيةالله ـ (٤/٤٣٣ ـ ٤٣٤) ـ القاهرة ـ ١٣٩٦هـ .

(١٩) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٢٢٧) ، والبسطة : الزيادة ، انظر تفسير الآية في : تفسير مجاهد (١١٣) وتفسير القرطبي (٣/٢٥٠ ـ ٢٥٨) وتفسير الزمخشري (١/٣٧٤ ـ ٣٧٦) وتفسير البيضاوي (١/٢٥٢ ـ ٢٥٦) ، وتفسير في ظلال القرآن ٢/٢١٦ ـ ٢٣٤) .

وتقدّسَت أسماؤه ، كما اتفق في وقتٍ ببلاد المغرب ، أنّ المسلمين تراصّوا للقتال مع المشركين ، فخرج راهب من المشركين ، ووضع أُكْسَرَةً (٢٠) ، وأراد أن يضربها بصَوْلَجَانٍ (٢١) كان معه ، فصارت يده مغلولةً لايستطيع ردّها ، فانهزم المشركون منهم خَلْقٌ كثير (٢٢) .

وكان من عادة هذا الرّاهب ، إذا ضرب تلك الكُرَة ، وصارت (٢٣) نحو المسلمين ، ينهزم (٢٤) المسلمون .

وهذه الحكاية ، ينقلها (٢٥) ثقات (٢٦) المغاربة . ولا يظنّ ظانّ ، أنّ هذه الأحوال ، لاتوجد في عصرنا في المسلمين ، فيقع في المحظور ، وكأنه يُعطّل الاسم الوهّاب والفعّال ، فهذا من أجهل الجاهلين (٢٧) .

---

(٢٠) أكرة : الكرة .

(٢١) الصولجان : عصا معكوف طرفها ، يضرب بها الفارس الكرة ، وهى كلمة (معربة) ، استعملت على العهد العباسي الاول : لعبة الكرة والصولجان، وكان الفرسان يمارسون هذه اللعبة ، ومنهم قسم من الفرسان الخلفاء ، كما يمارسها الفرسان اليوم شرقاً وغرباً ، ويطلق عليها عند فرسان العرب في الجيوش العربية ، لعبة الكرة والصولجان ، ويطلق عليها فرسان الانكليز لعبة : (Polo) انظر المعجم العسكري الموحد (انكليزى ـ عربى) ـ ص (٦٣٥) ـ القاهرة ـ ١٩٧٠م .

(٢٢) في الأصل : خلقاً كثيرا .

(٢٣) هكذا في الاصل ، وأرى أنها سارت ، بالسين لا بالصاد .

(٢٤) في الأصل : تنهزم .

(٢٥) في الاصل : تنقلها .

(٢٦) في الأصل : ثقاة .

(٢٧) تبدو هذه القصة غريبة لا تصدق بالنسبة لهذا العصر ، ولكنها وأمثالها ليست غريبة بالنسبة لعصر المؤلف ، كما كانت شائعة مصدقة في القرن الثامن الهجرى والرابع عشر الميلادي ، ليس في نطاق المشرق حسب ، بل في نطاق الغرب أيضاً ، بل كانت في الغرب أكثر شيوعاً كما كانت مصدقة معمولا بها ، فكان لكل جيش أجنبي ولكل ملك أجنبي عراف خاص وساحر رسمي ومبطل سحر أعدائه .

ومهما قيل في هذه الامور وأمثالها ، فالعراف والساحر يعملان على تقوية معنويات من يكونون معهم ، ومادامت الجيوش غربية وشرقية تصدق بها تصديقا كاملا ، فان وجودهما يقوى المعنويات ويشد أزرها ، =

وقد جرى لكثير من النـّاس مثل هذا ، ولو ذكرتُ مثل ذلك ، لخرجنا عن المقصود ، وما كلُّ مايُعْلَم يُقال . وذلك أنّ العلوم لاتُفشى إلاّ لأهلها : (وما تُغْـني الآياتُ والنُّذُرُ عن قَوْمٍ لايُؤمِنُونَ) (٢٨) .

وقد صحّ عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، أدعية مأثورة ، سُمعت منه حين القتال ، كقوله عليه الصّلاة والسّلام : « اللّهم ، إنّا نجعلك في نحورهم ، ونعوذ بك من شُرورهم » (٢٩) ، وكقوله عليه الصّلاة والسّلام : « حم ، لايُنْصَرون » (٣٠) ، و : « شاهَتِ الوجوه » (٣١) ، وتكبيره على الكفّار حين القتال ، وأخذه الحَصْباء ووضْعِهـا ورميها في وجوه القوم ، ولتعلم أنّ دعاءه (٣٢) وأفعاله ، صلّى الله عليه وسلّم ، في الحروب وغيرها ، له الشأن العظيم ، وينبغي لنا التأسّي بهذه الامور والتِماس بركتها ، وتحقيق

= والجيوش في العالم القديم (مؤلفة من ٧٥٪ من المعنويات و ٢٥٪ من الماديات ، واثر المعنويات في احراز النصر أثر حاسم بلا مراء .
أما في نظر العسكرية الحديثة ، فان مثل هذه التهويمات أصبحت خزعبلات ، وهي حديث خرافة ، لا يصدقها احد ، ولا يعمل بها أحد ، على الرغم من لجوء شخصيات عسكرية وسياسية عظيمة ، حتى في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) الى السحر والعرافين ، كما جاء ذلك في مذكرات ونستن تشرشل ، حيث كان يلجأ الى عراف مصري ، حين يزور القاهرة في أثناء الحرب العالمية الثانية ، حيث يزوره قبل أن يزور سياسي البلد والعسكريين البريطانيين الكبار الذين جاء من اجلهم .

(٢٨) الآية الكريمة من سورة يونس (١٠ : ١٠١) .

(٢٩) رواه أبو داود والترمذي ومسند الامام أحمد بن حنبل ، انظر التفاصيل في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث (٦/٣٣٧) ، وانظر : رياض الصالحين كتاب الجهاد .

(٣٠) ورد في حديث رواه الترمذي وأبو داود ، انظر تفسير ابن كثير (٤/٦٩) في أول سورة غافر (المؤمن) .

(٣١) ورد في حديث رواه الترمذى وأبو داود ، انظر تفسير ابن كثير (٤/٦٩) واسناده صحيح ، وانظر التاج (٤/٣٧٢) .

(٣٢) في الأصل : دعاؤه .

تأثيراتها في أعداء الدِّيْن . ومن دعائه ، صلّى الله عليه وسلّم ، يوم بَدْرٍ(٣٣) : « اللّهم مُنْزِلَ الكتاب ، ومجْري السَّحَاب ، وهازِمَ الأحزاب ، إهزمهم وانصرنا عليهم » (٣٤) .

رُوي عن عليّ ، كرّمَ الله وجهه قال : « رأيتُ الخَضِر (٣٥) ، فقلت له : علّمني شيئاً ، أنتصر به على الأعداء ، فقال : « قُلْ : بسم الله الرّحْمَن الرّحيم . اللّهم بحقّ : آلم (٣٦) ، وآلم (٣٧) ، وآلمص (٣٨) ، والر (٣٩) ، والر (٤٠) ، وآلمر (٤١) وآلمر (٤٢) ، وآلر (٤٣) ، وآلر (٤٤) ، و كهيعص (٤٥) ، وطه (٤٦) ، وطسم (٤٧) ، وطس (٤٨) ، وطسم (٤٩) ،

---

(٣٣) كان هذا الدعاء ، في غزوة الاحزاب (الخندق) ، وليس في غزوة بدر ، كما سيتضح ذلك في المادة التالية ، التي ترد مباشرة بعد هذه المادة .

(٣٤) رواه البخارى في كتاب الجهاد ، ومسلم في كتاب الجهاد ، وابو داود في كتاب الجهاد أيضا ، واحمد بن حنبل في (٤/٣٥٣ و ٣٥٥ و ٣٨١) . دعا رسول الله صلم الله عليه وسلم به في يوم الاحزاب (الخندق) ، ونصه كما جاء في : ارشاد السارى لشرح البخارى للقسطلاني (٥/١٠٨) وفي صحيح مسلم ، في حاشية : ارشاد السارى (٧/٣٠٥) : « اللهم ، منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اللهم اهزم الاحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم » . وفي اللؤلؤ والمرجان فيما أتفق عليه الشيخان (٤٣٨) ورد بالنص التالي : « اللهم منزل الكتاب ، ومجرى السحاب ، وهازم الاحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم » .

(٣٥) الخضر : صاحب موسى ، عليه السلام ، اختلف في نسبه ، وفي كونه نبيا ، وفي طول عمره ، وفي بقائه على قيد الحياة ، انظر التفاصيل في الاصابة (٢/١١٤) ، وانظر ما جاء على الخضر في الاصابة (٢/١١٤ ـ ١٣٧) .

(٣٦) سورة البقرة ، مدنية .
(٣٧) سورة آل عمران ، مدنية .
(٣٨) سورة الاعراف ، مكية .
(٣٩) سورة يونس ، مكية .
(٤٠) سورة هود ـ مكية .
(٤١) سورة يوسف ـ مكية .
(٤٢) سورة الرعد ـ مدنية .
(٤٣) سور ابراهيم ـ مكية .
(٤٤) سورة الحجر ـ مكية .
(٤٥) سورة مريم ـ مكية .
(٤٦) سورة طه ـ مكية .
(٤٧) سورة الشعراء ـ مكية .
(٤٨) سورة النمل ـ مكية .
(٤٩) سورة القصص ـ مكية .

وآلم (٥٠)، وآلم (٥١) ، وآلم (٥٢)، ويس (٥٣) و ص (٥٤) ، وحم (٥٥)، و حم (٥٦) ، وحمعسق (٥٣) ، و حم (٥٨) وحم (٥٩) ، و حم (٥٩) ، وحم (٦٠) ، و ق (٦١) ، و ن (٦٢) ، وياهُوْ ، يامَنْ لاهُوَ إلاّ هُوْ ، أغثني ، واحفظني وانظُرْني » ، فحقّقت بركتها ، ونُصرتْ بها ، وقتلت بها يوم بدرٍ جمعاً ، وفيها أمور غريبة لايُحصى نفعها (٦٣) .

وقد قيل : إنّ مَنْ قرأ سورة هُوْد ، عليه السّلام ، وجد في نفسه من القوة ما يخيِّلُهُ إنه لو حاربَه أهل الأرض قَوِيَ عليهم ، وليس إلاّ تكرار هذا الاسم ، هو : (قَوِيّ عَزِيز) ، ولم تذكر العِزّة على شئ إلاّ خضع وذلّ .

---

(٥٠) سورة العنكبوت ــ مكية .
(٥١) سورة الروم ــ مكية .
(٥٢) سورة لقمان ــ مكية .
(٥٣) سورة يس ــ مكية .
(٥٤) سورة ص ــ مكية .
(٥٥) سورة غافر ــ مكية .
(٥٦) سورة فصلت ــ مكية .
(٥٧) سورة الشورى ــ مكية .
(٥٨) سورة الزخرف ــ مكية .
(٥٩) سورة الدخان ــ مكية .
(٦٠) سورة الجاثية ــ مكية . والاحقاف ــ مكيه .
(٦١) سورة ق ــ مكية .
(٦٢) سورة القلم ــ مكية .
(٦٣) لا وجود له في مسند على بن أبى طالب ، انظر مسند الامام أحمد بن حنبل (١/٧٥ ــ ١٦٠) ولا ذكر له في المعجم المفهرس لالفاظ الحديث (٢/٩ ــ ١٠) ، ولا اصل له في نهج البلاغة ، وأري أن هذا النص مدسوس على الامام علي . رضى الله عنه ،وربما كان شائعا مقبولاً على عهد المؤلف .

الفصل الأول

تقوى المقاتل (١)

وصيّة مُطلقة ، في الحَضَر والسَّفر : قال الله تعالى : (ولقد وصَّيْنا الذين أوتُوا الكتابَ من قَبْلِكم وإيّاكُمْ أن اتّقُوا الله)(٢) ، فعلّمنا أنّ التّقوى (٣)

---

(١) العنوان : تقوى المقاتل ، ليس في الأصل ، ولكنّنا وضعناه في هذا المكان ، لابراز أهمية التقوى للمقاتِل المسلم الذى يتوخّى احراز النّصر ، ولتقسيم مواد هذا الكتاب ، الى مواده المتميّزة ، ولتبسيط مواده للقارىء جهد الامكان .

(٢) الآية الكريمة من سورة النساء (٣ : ١٣١) ، وانظر ماجاء في تفسيرها في : تفسير القرطبى (٥/٤٠٨) .

(٣) التَّقوى : الخشية والخوف . وتقوى الله : خشيته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه . وقد ودّع ابن عَوْن (عبدالله الفقيه) رجلاً ، فقال : « عليك بتقوى الله ، فانّ المتّقى ليست عليه وحشة » . وقال زيد بن أسلم (زيد بن أَسلَم العَدَوِى العُمَرِىّ الفقيه المفسّر الذى عمل مع عمر بن عبدالعزيز) ، « كان يقال مَنْ اتّقى الله أحبّه الناس وان كَرِهُوا » . وقال الثَّوْرِيّ (سفيان بن سعيد بن مسروق الثوريّ أمير المؤمنين في الحديث) : « ان اتقيت الله كفاك الناس ، وان اتقيت الناس لن يغنوا عنك من الله شيئا » . وجمع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بين تقوى الله وحسن الخُلق ، لأنّ تقوى الله تُصلِح مابين العبد وربّه ، وحسن الخلق يصلح مابينه وبين خلفه ، فتقوى الله توجب له محبة الله ، وحُسن الخلق يدعو الناس الى محبّته . وكان عمر بن الخطّاب رضى الله عنه يقول لجيوشه قادةً وجنودا : « أخوفُ ماأخافُ عليكم

هي العُمدة العظمى ، والفوزُ الأكبرُ الأعلى (٤) .
والمُتَّقون على طبقات (٥) .

★ ★ ★

ذنوبكم » . ومن التقوى العدل والتسامح مع المغلوب ، وقد أعان الأقباط المصريون الذين كانوا مسيحيين ، العرب المسلمين الفاتحين ، على الروم ـ حكَام مصر ـ المسيحيين ، لأنّ الأقباط وجدوا أنّ العرب المسلمين الفاتحين مُتَسامحون عادلون ، ففضّلوهم على الروم المسيحيين ، لأنهم لم يكونوا متسامحين ولا عادلين ، وقد انتصر العرب المسلمون الفاتحون بأخلاقهم المحاربة لابعددهم وعددهم ـ كما هو معروف ، والتسامح والعدل وحُسْن الخُلق ، ثمرات من ثمرات تقوى الله سبحانه وتعالى . انظر كتاب : الفوائد لابن قيِّم الجوزية ص(٧١) .

(٤) هى العمدة العظمى والفوز الأكبر الأعلى : يريد هى أهمّ أسباب احراز النصر على الأعداء في الحرب ، فالجيش الذى يتّسم بالتقوى ، تكون فرصة انتصاره أكبر من فرصة انتصار الجيش الذى لايتّسم بالتّقوى ، وهذا ما أثبتته نتائج الحروب قديماً وحديثاً ، وشواهد تاريخ الحروب على ذلك كثيرة جداً ، لاتعد ولا تحصى .

(٥) طبقات : بحسب درجة تقواهم وخشيتهم لله ، وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه .

الفصل الثاني

من واجب القائد
معرفة سِمات المقاتلين بقيادته[١]
رجلاً رجلاً

(مزايا المقاتل)

قال أهل التّبصرة بالحرب :

كُنّا نُحِبّ أن يعرف الرئيس (٢) ، مَنْ استطاع معرفته من أصحابه وجنده رجلاً رجلاً ، بخاصّته في الشّجاعة والجُبْن ، مع سائر (٣) أحواله ، ليضع كلّ رجلٍ منهم موضعه ، .

ذُكر عن بعض زعماء الجيوش ، أنّه كان يعرف أصحابه في الحرب ، وخواص كلّ واحدٍ منهم ، وهم أربعة آلافِ رجلٍ ، كلّ رجل منهم

(١) العنوان : من واجب القائد معرفة سمات المقاتلين بقيادته رجلاً رجلاً ، ليس في الأصل موجوداً في نَص الكتاب ، ولكننا وضعناه في هذا المكان ، لاِبراز أهمية هذه المعرفة ، لغرس تبادل الثقة الكاملة بين القائد ورجاله ، والثقة المتبادلة من عوامل اِحراز النصر ، كما أنّ هذه المعرفة تساعد القائد على وضع الرجل المناسب في المكان المناسب ، ليستطيع هذا الرجل القيام بواجبه بكفاية كاملة ونجاح . كما أنّ وضع العنوان يُعين على تقسيم مواد الكتاب اِلى أقسامه المتّميزة الواضحة ، دون تداخل لامسوّغ له ، ويُعين على تبسيط مواد الكتا بللقارىء جهد الاِمكان .

(٢) الرئيس : في الأصل الريّس ، ويريد به القائد أو الآمِر أو الأمير .

(٣) سائِر : في الأصل ساير .

باسمه ، ونسبه ، وبلده ، حتى يعرف سيفه ، ومِنْطَقَتَه (٤) ، ودابّته ، ورفيقه ، مع مقدار عمله في الحرب (٥) .

---

(٤) المنطقة : الحزام ، ويريد بذلك ، أنّ من واجب القائد أن يعرف عن كلّ رجل من رجاله ، أدق التفاصيل عن سماته ، حتى البستهم بتفاصيلها ، لايغيب عليه شيء من تلك السمات صفيراً كان أو كبيراً ، مهماً كان أو تافها .

(٥) جاء في مزايا القائد المثالية ، كما تنصّ عليها ماجاء في كتاب : (الخِدمة السّفريّة) ، وهو من أوثق المصادر العسكرية الحديثة في الجيوش الغربية الحديثة : « ينحصر أهمّ واجب للقائد ، في اِصدار القرارات . ولكي تكون قراراته صحيحة ، لاتكفيه الشّجاعة الشّخصيّة ، ولا الاِرادة القوية الثابتة ، ولاتحمّل المسئولية بلا تردّد ، بل فضلاً عن ذلك عليه أن يكون واقفاً وقوفاً تاماً على مبادىء الحرب ، وقادراً على اِبداء الحكم السريع الواضح ، وذا مخيله مقرونة بمزاج لاتأخذه نشوة الفوز ، ولا تثبّط عزيمته كارثة الخيبة ، وأن يكون سابراً غور الطّبع البشري .

« فالشخصيّة القوية ، ومعرفة الطبع البشري ، وأصالة الراي الموزون ، والتّفاهم مع المرؤوسين ، عوامل معنوية جوهرية في تنشئة الكفاية العسكرية ، فعلى القائد أن يغتنم كلّ فرصة سانحة للاتصال بمرءوسيه ورجاله ، للوقوف على صفاتهم وما فيهم من جدارة » .

وهكذا تنطبق تعاليم هذا الكتاب لابن منكلي ، الذى كتب في القرن الثامن الهجرى ، بكتاب الخدمة السفرية التى كتبه المع القادة في القرن الخامس عشر الهجرى (القرن العشرين الميلادى) .

الفصل الثالث

وصيّة خِصِّيْصَة(١)

قالوا : إنّ صاحب الحرب ، مُحتاج فيما يُعاني منها ، إلى أصناف أكثر الناس ، وهو إلى بعضهم أحوج منه إلى بعض ، فينبغي له أن يعرف ثقاته وخواصه وأعوانه بخواصّهم ، وحالاتهم ، ليستعين بكلّ رجل منهم فيما يصلح له ، ويضعه للموضع الذي يستحقّه (٢) .

وليعرف مُتحقّقاً الحافظ للسرّ ، يعرف المساعد للأمر ، يعرف ذا الرأي الأصيل ، يعرف الصّدوق اللّهجة ، يعرف سليم الناحية (٣) ، يعرف النّاصح الشّفيق ، يعرف السّامع المطيع ، يعرف الوادّ المحبّ ، يعرف الصّبور على

---

(١) الخصّيصة : الصفة التى تميز الشيء وتحدّده . (ج) : خصائص .

(٢) ويضعه للموضع الذى يستحقه : مايعبَّر عنه اليوم ، وضع الرجل المناسب في العمل المناسب .

(٣) سليم الناحية : المؤتمن الذى لايخون ، أو صاحب الماضى الناصع والسّجل النظيف ، الذى لم يلطخ بأعمال مشينة ، كالأفعال المخلة بالشرف ، بموجب تعبير هذه الأيام .

الشِدّة ، يعرف الدّائم (٤) الطريقة (٥) ، يعرف المضاد لكل خصلة (٦) .

---

(٤) في الأصل الدايم .

(٥) الدائم الطريقة : المستقيم في سلوكه وخُلقه ، غير المتلوّن ، لاينافس الحرباء في تغير اسمات وجهه ، فيرتدى لكل حالة لبوسها ، فهو ثابت على سـلوكه الرّضيّ ، لايتبدّل ولا يتغيرّ حسـب تبدّل الظروف والأحوال ، يوثق به ويعتمد عليه .

(٦) يعرف المبتلى بالمضاد من الخصال الحميدة التى عددها المؤلف الفاضل ، ليكون على بينة من أمره ، فيحذره ، ويراقب سلوكه ، ويرده الى الطريق السوِيّ اِذا انحرف عنه .

والمزايا التى عدّدها المؤلّف ، هى ألوان من الخلق الكريم التى ينبغى أن يتحلى بها المقاتل الجيد ، الذى يمكن الاعتماد عليه والوثوق به ، توكل اليـه المهمّات الصّعبة ، في أصعب الظروف والأحوال ، التى هى ظروف الحرب ، فينهض بها بكفاية وأمانة وحرص ، ويبذل جهده في تحقيق النجاح مااستطاع اِلى ذلك سبيلا .

ومعرفة القائد أو المسئول لهذه الخصال الحميدة في المقاتل الذى يعمل بقيادته أو اِمرته ، هى لاستخدام الرجل المناسب للعمل المناسب ، على هدىً وبصيرة ، وبذلك يمكن توقع نجاح المقاتل في مهمته ، وتوقع اِحراز النّصر ، نتيجة لاستفادة القائد أو المسئول من الكفايات المتيسّرة في رجاله ، ووضع كلّ كفاية في العمل الذى تستحقه وتستطيع اِنجازه ، وعدم اِغفال الكفايات أو التّغافل عنها ، لسبب أو لآخر .

الفصل الرابع

عيُوب المقاتِل[١]
التى يُعاقب عليها

ينبغي لزعيم الجيوش ، أن يؤدِّب كلّ مَنْ تصدر عنه هذه الأفعال التي يستحقّ بها فاعلها (٢) من القتل أو القطع أو النّفي أو السُّخط أو الضرّب أو الحبس أو الحرمان (٣) ، وهذه هي :

المُكَبِّر (٤) بدون إِذْنٍ ، المُطَبِّل (٥) بدون إِذنٍ ، المقاتِل بغير إِذْنٍ ، التّارك للموافاة يوم الحرب ، المتقاعس عن الخروج إلى الحرب ، المُخِلّ (٦) بمَصافّه (٧) ، النّائم (٨) عن مَحْرَسه (٩) ، السّالِك في

---

(١) العنوان : عيوب المقاتل التى يعاقب عليها ، غير موجود في الأصل ، وقد وضعناه لأهمية الموضوع الذى يعرضه المؤلف الفاضل ، فـلا ينبغى دمجه مع غيره ، لأنّ دمجه قد يقلّل من أهميته ، ولا يلفت النظر اِليه كما ينبغى . وقد وضَعْنا هذا العنوان لاِبـراز أهمّية هذه الدراسة القيمّة التى لايستطيع كاتب عسكريّ مُحْدَث أن يأتى بمثلها .

(٢) الأصل : فاعله .

(٣) الحرمان : من الترقية ، أو الحوافز ، أو الهبات ، أو الاِجازة .

(٤) المكبر : التكبير هى الاشارة المتعارف عليها لبدء الهجوم ، فاذا كبر أحدهم بدون اِذن ، جرى الهجوم دون استعداد ، والأمر بالتكبير من صلاحية القائد وحده ، أو من صلاحية مَنْ يخوّله القائد هذا الحقّ ، ويعرف بهذا التخويل المقاتلون جميعاً دون استثناء .

(٥) المطبِّل : الذى يدقّ الطّبل ، بدون اِذن ، والضّرب على الطبل اِشارة لعملية قتالية : هجوم ، دفاع ، تجمّع ، اِنسحاب ، مسير ، تعسكر ، .. الخ ... من صلاحية القائد وحده أو مَن يخوّله القائد هذه الصّلاحية .

(٦) المخلّ : اخلّ بالمكان وبمركزه : غاب عنه وتركه . والمخلّ : الغائب التارك

(٧) المصاف : (ج) : مَصَفّ ، وهو موضع الصف في الحرب ، تقف فيه الصفوف .

(٨) في الأصل : النايم .

(٩) المحرس : الكوخ الخشبي الصغير ، يُعدّ لاِقامة الخفراء وقوفاً للحراسة.

غير موضعه ، الواقف في غير موقفه ، المجاوز لما يُحدّ له ، المقصّر لما يُحدّ له ، التّارك لما يُوكّل به (إليه) (١٠) ، التّارك إنهاء ما ينبغي إنهاؤه ، المانع معونته فيما يُحتاج به (إليه) (١١) ، صاحب الغُلول (١٢) ، مواري الأمير الهارب من الزّحف ، النّاقم على رئيسه ، الطّاعِنُ على رئيسه ، الواصف للعدوّ بالقوّة ، الساتر عورة العدوّ عن أصحابه ، المُجبّن لأصحابه عن العدوّ ، الدّال للعدوّ (١٣) على عورة أصحابه (١٤) .

قال المؤلّف محمد بن مَنْكَلِي :

يجب على كلّ مَنْ دنا من السّلطان بمرتبة ، أن يعرف هذه الخِصالَ المذمومة ، ليتجنبها ، وإلاّ فقد ألقى بنفسه في ما لا يحلّ له .

نسأل اللهَ السّلامة من شرور أنفسنا ، ومن سيّئات أعمالنا .

وتسميه العامة : المخفرَ ، وهو مكان وقوف الحارس لأداء واجبه في الحراسة ليلاً أو نهاراً ، ولا ينبغى للحارس والحرَس ترك محرسه دون اذن من المسئول عنه ، لأن تركه قد يؤدى الى تغلغل العدو من ناحيته ، فيصيب جندنا بالخسائر المادية والمعنوية ، وقد يؤدى الِى كارثة تؤدى الِى الهزيمة .

(١٠) أضيفت على جملة المؤلّف ، ليستقيم المعنى .

(١١) ليست في الأصل ، وقد أضيفت ليستقيم المعنى .

(١٢) الغلول : الخيانة في المغنم وغيره ، وفي التنزيل العزيز : (وماكان لنبي ان يغل ، ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) آل عمران (٣ : ١٦١) .

(١٣) الدال للعدو (على العدو) على عورة أصحابه : هذا هو نص العبارة ، فحذفنا مابين القوسين (على العدو) ، لتكرار المعنى والمبنى ، فاستقامت الجملة كما هى في أعلاه ، لتؤدى المعنى المطلوب الذى أراده المؤلّف بالضبط .

(١٤) هذه هى عيوب المقاتل ، التى تخلّ بالضبط العسكري والنظام ، فيستحقّ عليها المقاتل أن يتلقى العقاب من قائده جزاء ماقدّمت يداه في حقّ جيشه واِخوته في السّلاح وبلاده وأمّته ، وتكاد هذه العيوب ، هى العيوب المنصوص عليها في القوانين العسكرية الحديثة (قوانين العقوبات العسكرية) وفي المؤلفات العسكرية الحديثة المعتمدة ، مع أن مؤلف هذا الكتاب نصّ عليها في كتابه قبل ثمانية قرون خلت ، مما يدل على تميز الفكر العسكري العربي الاسلامي ، المحفوظ في التراث العربي الاِسلامى العريق ، ومنه هذا الكتاب .

الفصل الخامس (أ)

وصيّة[١] في المشورة في الحرب

قال الله تعالى لنبيّه محمد ، صلّى الله عليه وسلّم : (وشَاوِرْهُمْ في الأَمْرِ) (٢) ، وقال تعالى : (وأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) (٢) ، هذا مع ما أمدّه الله به من التّوفيق ، وأعانه من التأييد .

وقال ، صلّى الله عليه وسلّم : « ما تشاورَ قومٌ إلاّ هُدُوا لأرشدِ أمورهم » (٣) .

وما أمر الله تعالى نبيّه ، صلى الله عليه وسلم بالمشورة ، إلاّ ليستنّ بذلك المسلمون ويتبعه فيه المؤمنون .

وينبغي أخذ الرأي السّديد ممّن رُزقَ ذلك ، وذلك أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، استعان بِصفْوان بن أُميّة (٤) في حال شِرْكه ، لأنّه كان حسن الرأي في المسلمين .

---

(١) وصية : ليست في الاصل ، وضعناها ، لتوضيح المعنى المقصود للقارىء الكريم .

(٢) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٥٩) .

(٢أ) الآية الكريمة من سورة الشورى (٤٢ : ٣٨) .

(٣) رواه الطبري ، انظر مختصر الجامع الصغير للمناوى (٤٦٩/٢) ، ونصه في الطبري « ما تشاور قوم الا هدوا » .

(٤) صفوان بن أمية : هو صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي ، وأمه صفية بنت معمر الجمحي . يكنى أبا وهب ، قتل أبوه أمية بن خلف يوم بدر كافراً ، ولما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، هرب صفوان بن أمية الى جدة فأتى عمير بن وهب بن خلف ، وهو ابن عم صفوان ، الى رسول الله صلم الله عليه وسلم ومعه ابنه وهب بن عمير ، فطلبا أماناً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمنه وبعث اليه بردائه أو ببردة له ، وقيل : بعمامته التى دخل بها مكة ، أماناً له ، فأدركه وهب بن عمير ، فرجع معه . وسار مع رسول الله صلى=

قال محمد بن مَنْكَـلِي غفر الله له :

كان رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم واثقاً بصَفْوان بن أُمَيَّة ، وأما اليوم فلا ينبغي أن يُستشار مُشرك ، سواء أظهر الإِسلام أو هو باقٍ على شركه . إنّ المتظاهرين منهم بالإِسلام ، أكثر غشّاً ممّن هو باقٍ على كفره ، وإنّ اللّعين (الطُنّ) (٥) أظهر لِيَلْبُغا (٦) أموراً ، اعتقد صحتّها ، فأطلقه ، وكلّ ما دبّره المسلمون في هذه البلاد ، فلهم – أعني الإفرنج – أعيُنٌ

= الله عليه وسلم الى حنين ، واستعار منه رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاحاً ، وشهد حنيناً كافرا . ولما ظفر المسلمون أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، فقال صفوان : « أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، وانه لابغض الناس الى ، فمازال يعطيني حتى انه لاحب الناس الى » . فأسلم ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، وحسن اسلامه ، وأقام بمكة ، فقيل له : من لم يهاجر هلك ، ولا اسلام لمن لاهجرة له ، فقدم المدينة مهاجراً ، فنزل على العباس بن عبدالمطلب ، فذكر ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال : « لا هجرة بعد الفتح » : وقال : « على من نزلت ؟ » ، قال : « على العباس » ، فقال : « نزلت على أشد قريش لقريش حباً » . ثم قال : « ارجع أبا وهب الى أباطح مكة ، فقروا على سكناكم » ، فرجع اليها ، وأقام بها ، حتى مات . وكان أحد أشراف قريش في الجاهلية ، وكان أحد المطعمين ، فكان يقال له : سداد البطحاء ، وكان من افصح قريش . ومات صفوان بمكة سنة اثنتين وأربعين الهجرية ، أول خلافة معاوية بن أبي سفيان ، وقيل : توفى مقتل عثمان ابن عفان رضى الله عنه ، وقيل : مات وقت مسيرة الناس الى البصرة لوقعة الجمل .

انظر التفاصيل في : طبقات ابن سعد (٥/٤٤٩) والاصابة (٣/٢٤٦) والاستيعاب (٢/٧١٨ – ٧٢٢) وأسد الغابة (٣/٢٢ – ٢٣) وتهذيب الاسماء واللغات (١/٢٤٩) .

(٥) الطن : أحد الافرنج الذين أسروا وتظاهروا بالاسلام ، وحصل على ثقة يلبغا ، فلما استطاع معاونة الصليبيين ، كشف لهم عورات المسلمين ، وأعانهم على الاستيلاء على طرابلس الغرب ، انظر التفاصيل في : كتاب المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب (١/١٧٨ – ١٧٩) ، وليبيا بين الحاضر والماضي (١٥٦) .

(٦) هو يلبغا العمري الناصري الخاصكي ، وهو اتا بك السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين ، قتله مماليكه ليلة الأحد ، عاشر شهر ربيع الآخر =

بيننا ، وهذا (الطُنّ) هو الذي علّم الإفرنج حيلة دخلوا بها طرابلس الغرب (٧) ، قاتله الله .



= سنة أربع وستين وسبع مئة الهجرية ، انظر النجوم الزاهرة (١١/٣٩ – ٤٠) .

(٧) طرابلس الغرب : عاصمة الجماهيرية العربية الليبية في الوقت الحاضر ، وهي مدينة اطرابلس : مدينة في آخر ارض برقة وأول ارض أفريقية ، وهي مدينة كبيرة على البحر الابيض المتوسط ، واسمها اليوم : طرابلس ، انظر التفاصيل في : معجم البلدان (١/٢٨٥) و (٦/٣٤) .

وكان تجار جنوة يترددون الى طرابلس ، فاطلعوا على عوراتها واضمروا غزوها ، فوافوا مرساها سنة (٧٥٥هـ) وانتشروا بالبلد في حاجاتهم ، ثم بيتوها ذات ليلة ، فصعدوا أسوارها وملكوها ، انظر المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب (١٧٩) .

ويبدو أن (الطان) أو (الطن) ، المنوه عنه في الفقرة (١) من الهامش أعلاه ، هو الذى أشار على الجنويين بهذه الخطة الماكرة ، وبخاصة وهو قد كان مسلماً ، أو قد اسلم كذباً ولم يحسن اسلامه ، فاختلط بالمسلمين ، واطلع على عوراتهم وعلى أساليبهم القتالية ، فلما عاد الى قومه الافرنج مرتداً عن الاسلام ، كشف عورات المسلمين لاعداء المسلمين ، فأراد المؤلف أن يضرب ما جاء به من كيد ومكر ، للعبرة ، وحتى يكون المسلمون من امثاله على حذر عظيم .

الفصل الخامس (ب)

المشورة في الحرب
وصفة أهل المشـــورة

ولنرجع الى ما نحن بصـــدده ، في الكلام على المشـــورة

قال علماء هذا الشأن : إنّ كلّ فعل صدر بعد رأيٍ ومشورة ، بعُدَ عن الخطأ ، وكلّما تُهُجِّم فيه قبل إنعام النظر فيه والمشورة ، بَعُدَ عن الصواب ، وإن وافق ذلك صوابا ، فنادر ؛ فلا ينبغي التّفاخر بذلك ، ولا الاعتداد به .

(نُكْتَة) ، يذكر فيها الرأي وأنواعه ، وكيف يكون إكماله من غير زلل .

والرأي : هو إجادة الفكر فيما يُراد فعله ، وهل يتهيّأ ذلك الفعل أم لا ، فما لم يتهيّأ فعله ولم يُعَوّل عليه ، وما يتهيّأ فعله أنعم الفكر في : كيف يُفْعَل ؟ ولا يجوز أن يُشرك معه في الرأي غير أهل التجربة والخِبرة ، بالذي يُقصد الرأي فيه ، ومَنْ له حَدْس من ذوي الشّفقة ، وحادّي الأفهام المتثبّتين ، الذين هم غير راكبين هَوىً ، ولا عاملين بالوجوه (١) ، بل ناطقين بحقائق ما يظهر لهم ، من غير مَيْل ولا حِقْدٍ ولا تبطين غشّ ، وينطقون وقت المشورة ، غير مؤخّرين ذلك إلى غيره من الأوقات – بأبلغ ما امتحنته أذهانهم . وقد رُئِي (٢) أقوام لئام (٣) ، يُستشارون في أمورٍ يعرفون وجه المنفعة فيها ، فيُميّلهم عن النّطق بذلك قبح طويّاتهم وأنفسهم

---

(١) له عدة وجوه ، يلبس لكل موقف لبوسه ، يقول للمسئول ما يحب ان يسمع لا ما يجب أن يسمع .

(٢) في الأصل : رأى .

(٣) في الاصل : ليام .

الخبيثة ، ولو سمعوا قوله ، عليه الصّلاة والسّلام : « المستشار مُؤْتَمن »(٤) ، لما فعلوا ذلك .

قال مؤلّف هذا الكتاب محمد بن منكلي أخذ الله بيده : أما أهل المشورة في العلوم التفصيليّة والإجماليّة اليوم ، في وقتنا هذا المبارك ، فقَلَّ أن يُوجَدوا كما قيل ، وقد كنّا نعدُّهم قليلاً ، فصاروا أقلّ من القليل .

وقد قيل : وا أسفي على (٥) فراق قومٍ ، هم المصابيح والحصون والمزُن ، والمدن والرواسي ، والخير والأمن والسُّكون ، لم تتغير لنا اللّيالي حتى توفّتهم المنون ، فكل جَمْرٍ لنا قلوب ، وكلّ ماء لنا عيون .

قال محمد بن منكلي : والعبد يذكر طرفاً مختصراً في صفة أهل المشورة : أوّل ذلك ؛ أن يكون مُتّقياً لله عزّ وَجلّ .

الثاني : لا يستفزّه الطمع ، فيُسْتَمال .

الثالث : أن يكون محبّاً صادقاً لمن استشاره .

الرابع : أن تكون محبّتُه خالصةً لله ، صادقةً ، باذلاً نفسه (٦) للذي استشاره .

الخامس : لا يذيع سِرّ مَنْ استشاره ، ولو جُبِرَ .

السّادس : لا يحدّث نفسه بإعجاب ، كونه صار ممّن يُستشار ، وظنّ لنفسه تمييزاً ، فهذا رجل مغرور بنفسه ، أحمق .

السّابع : لا يُدِلّ على مَنْ استشاره ، وكلّما قَرُبَ منه ازداد احتشاماً ، واعتقد فيمن استشاره المِنّةَ له في ذلك ، لاختياره له في هذه المِنْحَة .

---

(٤) حديث حسن ، رواه الطبراني في الاوسط ، ونص الحديث الشريف كما رواه الطبراني : « المستشار مؤتمن ، فاذا استشير فليشر بما هو صانع لنفسه » ، انظر مختصر الجامع الصغير للمناوي (٣٢٦/٢) .

(٥) في الاصل : من .

(٦) في الاصل : باذل لنفسه .

الثامن : ألاَّ يذيع السِرَّ ، ولو ماتَ من استسرَّه بسِرٍّ ، فهذا يُعُدُّ عند أهل المروءة (٧) من الخائنين (٨) .

التّاسع : أن تكون عنده خبرة فيما يُستشار به ، جملةً وتفصيلا .

العاشر : وهو البُغَـية العزيزة الغريبة ، التي لا تكاد توجد إلاَّ في بعض الأمصار . وسبب ذكري لها ، لأنّه ممكن وجودها في الأنفس المُجَوْهَرَة (٩) بنور الله عزَّ وجلَّ . وصاحب هذه الطَّريقة إذا استُشير فيما يعلمه ، ربما استمع هاتفاً ، إمَّا من داخل صفاءِ باطنه النَّزيه ، أو من خارجٍ — من أحد الجهات — ، يرشده لوجه الصّواب في المسألة ، أو يرى مناماً (١٠) يدُلّه على مقصوده (١١).

---

(٧) في الاصل : المروة .

(٨) يريد ، أن الذى يفشى سر من ائتمنه ، حتى في حالة موت الذى ائتمنه على السر ، يعتبر عند ذوى المروءات — وينبغى أن يكون المستشار منهم — خيانة لا تغتفر ، ويعتبر مقترفها خائناً ، لانه خان الامانة .
والمستشار في المصطلحات العسكرية القديمة ، هو ضابط الركن ، في المصطلحات الحديثة . ولا أعرف مصدراً عسكرياً حديثاً ، في أرقى كليات الاركان والقيادة ، ينص على احتفاظ ضابط الركن ، بسر قائده ، حتى بعد انتقال قائده الى جوار الله .
ان هذه المزية الفذة ، من سمات المستشار أو ضابط الركن ، كما نسميه اليوم ، من المزايا النادرة التى ينفرد بها العرب المسلمون في عسكريتهم الاخلاقية ، التى تلتزم بالخلق الكريم قبل كل شيء ، وهذا مما يرفع رأس العربي المسلم ويجعل حربه التى يخوضها حرباً عادلة بكل المقاييس .

(٩) المجوهرة : المنورة بنور الله عز وجل .

(١٠) المنام : الرؤيا .

(١١) ذلك معروف في الكتب العسكرية الحديثة ، هو وجود قادة لهم تصور وخيال مصيب ، يتوقعون به ما يحدث ، أو يجدون بها الحلول لمعضلاتهم ، وذلك بأنهم يضعون أنفسهم في مكان قادة أعدائهم ، ويتوقعون ما عسى أن يفعله قادة الاعداء ، فيعدون الخطط لاحباط ما يريده قادة الاعداء بهم .
لقد نشرت في جريدة العرب البغدادية يوم ١٩٦٧/٥/٣٠ ، أن الحرب بين العرب والعدو الصهيوني ، ستنشب يوم ١٩٦٧/٦/٥ ، فتحقق ذلك . وقد ذكر الامام الاكبر الشيخ الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الازهر ، أن توقعي الذى صدق ، كشف ، وما كان كشفاً ، ولكننى وضعت =

الحادي عشر (١٢) : إن كان من أهل الكَشْفِ ، أو من أصحاب الأحوال الصَّادقة ، ممّن قد صَحِبَ الأشياخ ، وتربىّ (١٣) بصحبتهم ، لاحتِمال أن نَفَحَهُ خاطِر شيطاني ، فيظنّه مَلَكيّاً (١٤) ، أو العكس . وهذه مَزَلَّةُ أقدامٍ لم تَثْبُت . نسأل الله الخلاص من ظُلمة حُجُب البَشَرِيّة ، بفضله ومَنِّه ، ولا قُوَّة إلاَّ به .

= نفسي في موضع قائد العدو ، وفكرت ما عسى أن يفعل ، وكتبت تفاصيل ذلك في البحث المنشور في جريدة العرب يوم ١٩٦٧/٥/٣٠ ، فكان تقديرى للموقف المعادي صائباً . ولكن اذكر للتاريخ ، أننى بعد كتابة البحث ، وعرضه على قسم من أصحابي وتقديمه للجريدة ، نصحنى أصحابي بدون استثناء ونصحنى صاحب الجريدة ، بأن أشطب يوم هجوم العدو ، ولكن هاجساً داخلياً كان يحملنى بشدة على ابقاء يوم الهجوم المتوقع ، فأبقيت الموعد ولم اشطبه ، وقد ذكر سفير مصر في بغداد أنه أبرق بعد قراءة مقالى . الى حكومته عن موعد هجوم العدو ، فلم يسمع قوله .
وفي حرب ١٩٧٣ ، كنت مدعواً لالقاء خطاب عن : غزوة بدر الكبرى في احتفال جمعية الاداب الاسلامية المقام في جامع الشيخ عبدالقادر الكيلانى — رضى الله عنه ، يوم ١٧ رمضان ، فسألنى الحاضرون بالحاح شديد : ماذا تتوقع ؟ فشرحت المسالك المفتوحة أمام العدو الصهيوني ، ثم قلت : أتوقع ان يعبر العدو قناة السويس الى الجانب المصري ، فعلى مصر أن تفعل كذا وكذا لاحباط العبور . وحدث هذا العبور بعد عشرين يوماً من القاء الخطاب ، والمهم أن سفير مصر أخبر دولته بمجمل هذا الخطاب ، وتوقعاتي ، لانه نشر في الصحف ، فلم تسمع للسفير نصائحه .
وقد تحققت توقعاتي في مواقف لا تعد ولا تحصى ، يعرفها الذين لهم صلة وثيقة بى ، ولكن لم يستفد أحد من توقعاتي ، فصدق الخبير الصهيوني في أحد كتبه بقوله : لا يستفيد منه أحد ، كنبي في الصحراء .
تلك أمثلة تثبت اشارة المؤلف الفاضل ، وهي للعبرة وليست شخصية في حال من الاحوال ، لانها معروفة مشهورة ، فليس لصاحبها حاجة شخصية في ذكرها ، ولكنها عبرة من العبر ، ودرس من الدروس التفت اليها المؤلف بالبيان والتبيان .

(١٢) الحادى عشر : في الاصل الحادية عشر .

(١٣) في الاصل : ترقى .

(١٤) في الاصل : ملكي .

ولأجل ذلك ، قال الفاروق ، رضي الله عنه : « اقتربوا من المطيعين لله » .
قال العبد الحقير محمد بن منكلي غفر الله له :

هذه الخصال المذكورة ، كلّها اجتمع الداعي بأصحابها وصحبهم ، وكلّهم تواصّوا بالحقّ وتواصّوا بالصّبر . لكن بقي التّخلقُ بهم ، وأخشى (١٥) أن تكون (١٦) صحبتي لهم ، حجّة عليّ ، لقوله تعالى : (كَبُرَ مَقْتاً عندَ اللهِ أنْ تَقُوْلُوا مالا تَفْعَلُون) (١٧) ، وكلّ مَنْ صَحِبَ قوماً ولم يتخلّق بأخلاقهم الحميدة ، فهو محروم (١٨) .

---

(١٥) في الاصل : وأختشى .
(١٦) في الاصل : يكون .
(١٧) الاية الكريمة من سورة الصف (٦١ : ٣) .
(١٨) هـذا الاسلوب ، في التواضـع العلمي ، كان يتبعه العلماء الصالحون ويلتزمون به ، « قال العبد الحقير ... » ، ويحمل هذا التعبير محمل التواضع الجم . كما أن المؤلف الفاضل لتواضعه أيضاً ، يضرب الامثال في عمله الشخصي ، لكى يعلـم القارىء ما ينبغي لمن يصـاحب العلماء الصالحين من وجوب الاقتداء بهم ، واتخاذهم أسوة حسنة ، والتعلم من سيرتهم كما يتلقى منهم العلم ، أى يتلقى عنهم الخلق الكريم ، كما يتلقى عنهم العلـم .

الفصل السادس

وصية لأمراء الجيوش ـ نصرهم الله تعالى ـ في السفر

قال العلماء :

والإمارة على الجهاد ، مُخْتَصَّة بقتال المشركين ، وهي أن تكون (١) مقصورة على سياسة (٢) الجيش وتدبير (٣) الحروب ، والذي يتعلّقُ به من الأحكام ، إذا عمّت ، تنقسم إلى ستة أقسام :

الأول : في السَّيْر بالجيش ، وعليه من التَّيْسير بهم سبعة حقوق :

أحدها : الرِّفق بهم في السَّيْر الذي يقدر عليه أضعفهم ، ويحفظ به قوّة أقواهم ، ولا يَجِدُّ السَّيْر ، فيهلك الضعيف ، ويستفرغ جَلَد القويّ (٤) .

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « إنّ هذا الدِّين مَتِيْنٌ ، فأوغلوا (٥) فيه بِرِفْقٍ (٦) ، فإنَّ المُنْبَتَّ (٧) لا أرضاً قَطَعَ ، ولا ظَهْراً أبقى » (٨) .

---

(١) في الأصل : يكون .
(٢) سياسة الجيش : ادارته ، بموجب المصطلحات العسكرية القديمة .
(٣) تدبير الحروب : ادارته تعبوياً وسوقياً ، ووضع الخطط العسـكرية للعمليات في معاركها . وهذا هو المعنى المقصود بموجب المصطلحات العسكرية القديمة ، التى كانت شائعة في أيام المؤلف الفاضل .
(٤) هذا مبدأ في المسير ، يطابق بالضبط أحدث المبادىء المعترف بها في المسير ، في أحدث الكتب العسكرية المعمول بها في أحدث الجيوش .
(٥) أوغلوا : ذهبوا وبالغوا وأبعدوا ، ويريد : أوغلوا في السير بدون تكلف ولا تكليف .
(٦) الحديث صحيح ، عن أنس ، رواه أحمد في مسنده بهذا النص : « ان هذا الدين متين ، فأوغلوا فيه برفق » ، وهذا هو نصه المروي .
(٧) المنبت : المنقطع ، يقال : انبت : انقطع ، وانبت الرجل في السير : جهد دابته حتى أعيت .
(٨) رواه البزار ، وهو حديث ضعيف ، انظر مختصر الجامع الصغير للمناوي (١٧٢/١) ، والحديث يقال لمن يبالغ في طلب الشيء ويفرط ، حتى ربما يفوته على نفسه .

وروى عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « الضعيف أمير الرُّفقة »(٩) ، يريد : أنّ مَنْ ضعفت دابته ، كان على القوم أن يسيروا بسيره .

الثاني : أن يتفقّد خيلهم التي يُجاهدون عليها ، فلا يُدخل في خيل الجهاد ، ما لم يصلح ، كما تقدّم ، وقد ذكرنا في الباب في مواضعه .

قال محمد بنَ مَنكَـلِي ، ختم الله له بالحُسْنَى :

ويجب على أمير الجيش اختيار المقابلة (١٠) ، وعرض عُدَدهم وريش سهامهم (١١) ، ونصولها (١٢) . فما كان من النُّصول مثلوماً (١٣) ، أمره ببرده وإصلاحه مع التّوبيخ أو المَسامحة سِرّاً . وكذلك القِسِيّ (١٤) وأوتارها (١٥) ، فما كان طويلا قُصِّر ، وما كان قصيراً طُوِّل .

---

(٩) لم اعثر على ذكر هذا الحديث في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ، انظر (٣/٥١٠ – ٥١٣) ، ولا ذكر له في مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي ، انظر (٢/٨٥ – ٨٧) و (٢/٤٣٩) ، ويبدو انه قول مأثور وليس حديثا ، ولكن معناه معقول ومناسب بالنسبة لدراسة المؤلف .

(١٠) المقابلة : الذين تجرى مقابلتهم من الرجال . واختيار المقابلة : فحصهم . والمقابلة : جمع مقابل : مقاتل .

(١١) السهام : جمع سهم : وهو عود من الخشب يسوى ، وفي طرف السهم نصل يرمى به عن القوس .

(١٢) النصل : حديدة الرمح او السهم والسكين . (ج) : نصل ، وانصل ، ونصول

وانظر شكله في أشكال الأسلحة الواردة في مقدمة هذا الكتاب التى كتبها المحقق .

السهام

النصل

(١٣) في الأصل : مثلوم .

(١٤) في الأصل قبق ، وهى كلمة تركية معناها هنا : القوس ، وهو آلة على هيئة هلال ، ترمى بها السهام (تذكر وتؤنث) .

(١٥) الوتر : مايتخذ من خيوط مفتولة او شراك جلد ، ثم صار يتخذ من عصب عنق البعير المسن ، أو من وضيف الساق ، وكانوا يسمونه : العقب . والمقصود هنا : وتر القوس .

ووتر المصران ، لا يُستعمل إلاّ للعجز (١٦) ، وكذلك الوتر الجلْد ، كأوتار التاتار وغيرهم ، فيه مفاسد شتّى ، ليس مقصودنا ذكره (١٧) .

ويلزم أمير الجيش ، أن يتفقد جميع سلاح رفقته من حيث الحُلَّة (١٨) ، حتى يأمرهم بتفقّد حُزُم السّروج (١٩) .

ويلزم أمير الجيش ، أن يؤلّف بين قلوب رفقائه ، ومَنْ كان بينهم مُتَشاحِن أزال ذلك وأصلح ، وكم من جَمْع فَرّقَه شخص واحد . هذا رأيناه عياناً ، وأما تواريخ الناس ، ففيها مثل ذلك كثير .

قال بعضهم : ويكون بين المقاتلة ، مَنْ حرّضهم على القتال (٢٠) .

وينبغي أن يكون لكلّ طائفة شعار (٢١) يُعرفون به ، ليصيروا به مُتَميزِّين وبالاجتماع به من المتضافرين . وإنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم جعل شعار المهاجرين : يا بني عبدالرحمن ، وشعار الخزرج : يا بني عبدالله ، وشعار الأَوْسِ : يا بني عُبيْدالله .

---

(١٦) العجز : مؤخر الشيء (يذكر ويؤنث) ، ويريد هنا ، مؤخـر القوس ، أو القسم الخلفى من القوس .

(١٧) افضل الأوتار : مايتخذ من عصب عنق البعير المسن .

(١٨) الحلة : السلاح ، وهنا يريد التجهيزات الخاصة بالمقاتل وفرسه .

(١٩) يقصد تفقد كل شيء في المقاتل ، حتى ثيابه وتجهيزات فرسه : حزام السرج ، اقسامه ، اللجام ، الشكيمة ... الخ .

(٢٠) حرضهم على القتال : حثهم عليه . وفي التنزيل : (يأيها النبي حرض المؤمنين على القتال) .

(٢١) الشعار : ككتاب ، العلامة في الحرب والسفر يتعارفون بها ، أو هى كلمة السر عند المسلمين في الحرب . عن سمرة رضي الله عنه ، قال : « كان شعار المهاجرين : عبدالله ، وشعار الأنصار : عبدالرحمن » ، رواه أبو داود ، انظر التاج (٤/٣٧٢) ، أما كما جاء نصه في أعلاه ، فانظر مغازي الواقدي (١/٧١) .

ويجب على كلّ أمير جيش ، أن يُراعي في جيشه ما أوجبه الله من حقوقه ، وأمر به من حدوده . روى الحارث بن سَهْل (٢٢) ، عن أَبَان (٢٣)، عن عثمان رضي الله عنه ، عن النبي صلّى الله عليه وسلّم ، أنّه قال : « أنهوا جيوشكم عن الفساد ، فإنّه ما أفسدَ جيش قطّ ، إلاّ سسلّط الله عليهم الرِّجْلة (٢٤) » ، وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « انهوا جيوشكم عن الزِّنَى(٢٥) ، فإنّه مازنى(٢٦) جيش قَطُّ ، إلاّ سلّط الله عليهم المُوْتان(٢٧)»(٢٨) .

(٢٢) الحارث بن سهل : لاذكر له الا في أسد الغابة (٣٣١/١) ، وفيه مانصه : لاتعرف له رواية .
(٢٣) أبان بن عثمان : انظر ماجاء عنه في ميزان الاعتدال في نقد الرجال — للذهبى — (٦/١) .
(٢٤) ليس بحديث ، اذ لم أجده في مادة (جاش) في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي (٤٠٥/١) ومادة (رجل) ، انظر المعجم المفهرس (٤/ ٣٣٤ — ٣٣٨) ، ومادة (فسد) انظر المعجم المفهرس (١٤٢/٥ — ١٤٥) ، كما لم اجده في مسند عثمان بن عفان ، انظر مسند الامام احمد بن حنبل الخاص بعثمان (٥٧/١ — ٧٥) ولا في مختصر الجامع الصغير للمناوي في مادة (ج) ، انظر (٢٤٥/١ — ٢٥٠) وحرف (ف) انظر (١٢٢/٢ — ١٣٣) وحرف (ر) انظر (٣٢/٢ — ٤٣) ، كما اتصلت بالمحدثين من الشيوخ ، فلم يجدوا لهذا الحديث أثراً . والرجلة : مسيل الماء من الحرة الى السهلة ، والبقلة الحمقاء ، وهى بقلة سنوية عشبية لحمية ، لها بزور دقاق ، يؤكل ورقها مطبوخاً ونيئاً . (ج) : رجل . ويبدو أنه نوع من الأمراض المعدية التى تنتشر فتغدو وباءً .
(٢٥) في الأصل : الزنا .
(٢٦) في الأصل : زنا .
(٢٧) الموتان : موت يقع في الماشية . ورجل موتان الفؤاد : غير ذكي ولا فهم . والموتان : مرض يقع في الماشية ، كالوباء ، فيقضى بالموت على كثير منها .
(٢٨) ليس حديثاً ، اذ لم أجده في مادة (زنى) ، انظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث (٣٤٥/٢ — ٣٤٨) ومادة (جاش) في هذا المعجم ، انظر (١/ ٤٠٥) ، ولا في مادة (مات) ، انظر (٢٨٢/٦ — ٣٠٢) ، ولم أجده في مختصر الجامع الصغير للمناوي في مادة الحرف (ز) ، انظر (٤٥/٢) ولا في مادة الحرف (ج) ، انظر (٢٤٥/١ — ٢٥٠) ، ومادة الحرف (م) ، انظر (٣٢٩/٢) . كما اتصلت بالمحدثين من الشيوخ وأهل العلم في هذا البلد ، فذكروا أنه ليس حديثاً ، بل قد يكون قولاً من اقوال بعض الحكماء .

قال أبو الدَّرْداء (٢٩) : « أيها الناس ، عمل صالح قبل الغَرور (٣٠) ، فإنما تقاتلون بأعمالكم » .

ولا يُمَكِّن أحداً من جيشه ، أن يَتَشَاغَلَ بتجارة أو زراعة يصرفه(٣١) الاهتمام بها ، عن مصابرة العدوّ ، وصِدْق الجهاد . روي عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، أنّه قال : « لم أبعث تاجراً ولا زرّاعاً ، وإنّ شرّ هذه الأُمَّة التُّجار والزرّاعون ، إلا مَنْ شَحَّ (٣٢) على دينه » (٣٣) .

وغزا (٣٤) نبيّ من الأنبياء ، فقال : « لا يغزو معي رجل (٣٥) بَنَى(٣٦) بيتاً لم يُكْمِلْهُ ، ولا رجل تزوّج امرأة ولم يدخل بها ، ولا رجل زرع زَرْعاً ولم يحصده » ، ولا يجوز للمقاتلة أن يتنازعوا في المغانم ، فكم من عسكر هُزِم بسبب ذلك .

(٢٩) أبو الدرداء : هو عويمر بن مالك بن زيد بن قيس بن أمية بن عامر بن عدى ابن كعب بن الخزرج ، تأخر اسلامه ، قليلاً ، وحسن اسلامه ، وكان فقيهاً عاقلاً حكيما . آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سلمان الفارسي ، وقال عنه : عويمر حكيم أمتى ، شهد مابعد أحد ، ولي قضاء دمشق في خلافة عثمان ، وتوفى قبل أن يقتل عثمان بسنتين ، انظر التفاصيل في : أسد الغابة (١٥٩/٤) و (١٨٥/٥) والاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار (١٢٥ — ١٢٧) .
(٣٠) الغرور : كل ماغر الانسان من مال أو جاه أو شهرة ، أو انسان ، أو شيطان . وفي التنزيل : (وغركم بالله الغرور) ، والظاهر أنه يقصد بالغرور هنا ، قبل نهاية العمر بالموت .
(٣١) في الأصل : يصرفها .
(٣٢) شح على دينه : حرص على دينه ، فلم يقترف مايخل بتعاليمه .
(٣٣) ليس حديثاً ، ولم أجده في مادة (تجر) في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث (٢٦٤/١ — ٢٦٦) ولا في مادة (زرع) ، انظر (٣٣١/٢ — ٣٣٤) ، كما لم أجده في مختصر الجامع الصغير للمناوى في مادة الحرف (ت) ، انظر (٢٢٠/١ — ٢٣١) ولا في مادة الحرف (ز) انظر (٤٤/١ — ٤٦)، كما ذكر لى قسم من الشيوخ المحدثين أنه ليس حديثاً .
(٣٤) في الأصل : عزى .
(٣٥) في الأصل : رجلاً .
(٣٦) في الأصل : بنا .

الفصل السابع

المصابرة في القتال(١)

أما المصابرة (٢) في القتال ، فإنّها من حقوق الجهاد ، فهي لازمة .

ولو أسلم في معركة الحرب منهم طائفة قلّت أو كثرت ، أحرزوا بإسلامهم ما ملكوا في : (دار الحرب) (٣) ، من أرضٍ ومالٍ ، فإن ظَهَرَ (٤) عن دار الحرب ، لم تُغْنَمْ أموال مَنْ أسلمَ (٥) .

قال أبو حَنِيْفَة ، رضي الله عنه : « تُغْنَم ما لا يُنْقَل من أرضٍ ودارٍ ، ولا يُغْنَم مالا يُنْقَل من مالٍ ومتاعٍ » (٦) .

وقال أبو حنيفة رضي الله عنه : « إذا أسلم الكافر في : (دار الإسلام) (٧)

---

(١) وضعنا هذا العنوان ، ولم يكن في الأصل ، توضيحاً لمواد الكتاب وتفصيلا .

(٢) المصابرة : صابره مصابرة وصبارا : غالبه في الصبر ، وفي التنزيل العزيز : (اصبروا وصابروا ورابطوا) .

(٣) دار الحرب : هى البلاد التى لاتخضع لحكم المسلمين ، ولا تدين لهم بالولاء والطاعة ، وهى مادون دار الاسلام أو دار العهد ، من بلاد أو أمصار . وتعتبر بلاد (دار الحرب) بلاداً أجنبية بالمعنى المقصود في العرف الشرعي الراهن . انظر التفاصيل في كتاب أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية (٢/٥١٧) والعلاقات الدولية في الاسلام لأبى زهرة (٥٣) وشريعة الحرب في الاسلام للمعراوي (٢٤٧) .

(٤) ظهر عن : زال ، وانتقل عن دار الحرب .

(٥) انظر شرح السير الكبير للسرخسي (١/٣٥٥) .

(٦) انظر الاحكام السلطانية للماوردى (١٤٨ ــ ١٤٩) .

(٧) دار الاسلام : دار الهجرة في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام هى دار الاسلام ، ودار الاسلام : هى التى نزلها المسلمون وجرت عليها أحكام الاسلام ، انظر احكام اهل الذمة (١/٣٦٥ ــ ٣٦٦) والعلاقات الدولية في الاسلام (٥٣) وشريعة الحرب في الاسلام (١٩٥) .

لم يكن إسلاماً لصغار ولده ، ولا يكون إسلاماً للحمل (٨) ، ويكون زوجته وولده فَيْئاً » (٩) .

وقال الماوردي رحمة الله عليه : « يكون إسلامه لصغاره (١٠) ولكلّ حملٍ كان لهم ، ولو دخل مسلم (دار الحرب) واشترى فيها أرضاً او متاعاً ، لم يُملك عليه إذا ظهر المسلمون عليها ، وكان بها » (١١) .

وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه : « يكون ما يملكه من أرضٍ فيئاً » ، قوله تعالى : (حتى إذا أثخَنْتُمُوهُمْ (١٢) فَشُدُّوا الوَثَاق)(١٣)(١٤) يعني بالإثخان : الطّعن . وبشدّ الوثاق : الأسر . (فإمّا مَنّاً بَعْدُ وإمّا فداء) ، وفي المن قولان : أحدهما أنّه العفو والاطلاق ، والثاني : أنّه العتق بعد الرقّ .

وأما الفداء ، ففيه ههنا قولان : أحدهما أنه المفاداة (١٥) على مالٍ يُؤخذ ، أو أسيرٍ يُطلق .

قال أبو حنيفة رضي الله عنه : « يكون مُخَيَّراً بين اثنين : القتل أو الاسترقاق ، وليس له المَنّ أو المُفاداة » (١٦) .

---

(٨) الحمل : ماكان في البطن من ولد ذكراً أو أنثى .

(٩) الفيء : الخراج ، والغنيمة ، تنال بلا قتال ، انظر الخراج (٢٨) .

(١٠) لصغاره : في الأصل لصغار .

(١١) انظر التفاصيل في ذلك في كتاب : اختلاف الفقهاء للطبري . وللماوردي (ت ٤٥٠هـ = ١٠٥٨م) كتابه القيم : الأحكام السلطانية ، والاراء الفقهية التى ذكرها المؤلف ، هي في جملتها من كتاب : الأحكام السلطانية للماوردي .

(١٢) الاثخان : أثخن في الأمر ، بالغ فيه . يقال : أثخن في العدو : بالغ في قتاله ، وبالغ في قتل أعدائه .

(١٣) الوثاق : اسم من الايثاق ، وما يشد به كالحبل وغيره .

(١٤) الآية الكريمة من سورة محمد (٤٧ : ٤) .

(١٥) في الأصل : المفادات .

(١٦) في الأصل : المفادات ، وانظر ماجاء في ذلك في : الأحكام السلطانية للماوردى (١٤٩) .

وقال مالك رضي الله عنه : « يكون مُخَيّراً بين ثلاثة أشياء : القتل ، أو الاسترقاق ، أو المفاداة » (١٧) ، (حتى تَضَعَ الحربُ أوزارها) ، وفيه تأويلان : أحدهما ، أوزار الكفر بالإسلام ، والثاني : أثقال الحرب ، وهو السِّلاح . وفي المقصود بهذا السِّلاح وجهان : أحدهما سلاح المسلمين بالنّصر ، والثاني سلاح المشركين بالهزيمة .

★ ★ ★

(١٧) في الأصل : المفادات ، وانظر ماجاء في ذلك في : الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردى (١٤٩) .

الفصل الثامن

وصِيَّة مختصرة تختصّ بالأجناد
(أيّدهم الله تعالى)

الأول : وصيّة بعد تقوى الله تعالى ، اتّخاذ الفَرَس الصَّحيح المؤدّب بأنواع الأدب (١) ، المتداول بين أهل الفُروسيّة .

أما الأدب المشار إليه في الفَرَس ، فهو في عصرنا لا يكاد يوجد ، وإذا وُجد يكون نادراً ، وإذا وُجد مَنْ يؤدبه ، فلا يساعده الزّمان ، وأقلّ ما يمكن من أدب الفَرَس ، دخوله في البُرْجاس (٢) ، وحين الطِّعان بالرُّمح ، وعلى

(١) المؤدب بأنواع الأدب : المدرب بأنواع التدريب . المؤدب : المدرب . الأدب : التدريب ، وكانت مصطلحات العسكريين في زمن المؤلف على هذا النحو ، فأصبحت اليوم تعنى : التدريب . وتدريب الركائب : تدريب خاص للخيول المستجدة ، لتخريجها مدربة على فنون الفروسية ، ومن مهمات الفرسان : تدريب خيولهم الركائب ، لتصبح خيولاً مدربة .

(٢) البرجاس : هدف ينصب على رمح أو سارية (يونانية) ، ومعناها عندهم : رمح أو سارية في أعلاه كرة من ذهب أو فضة ، يرميها الحذاق وهم على الجياد . (ج) . براجيس ، انظر المعجم الوسيط (١/٤٦) .
وجاء في مختار الصحاح ، مادة (برجس) ، البرجاس : غرض في الهواء ، يرمي فيه ، أظنه مولداً . والغرض هنا : الهدف .
وفي لسان العرب لابن منظور ، مادة (برجس) . البرجاس : غرض في الهواء ، يرمي به . قال الجوهري : وأظنه مولداً .
وفي الصفحة التى تسبق مخطوطة : (كتاب المناصب الحربية في علم الفروسية) ـ لمؤلف مجهول : وتركض فرسك ، فاذا دنوت منها أخذت الرمح من وسطه ، فأدره على رأسك دورتين ، حتى اذا صار على ذراعك الأيمن ، طعنتها فحملتها على آلة البرجاس ، وهذه صورتها ، والله أعلم .
وفي النفحات المسكية في صناعة الفروسية ص (٦٨) : « وأما تعليم رمي الصيد ، فتتخذ برجاساً ، ارتفاع عموده من الارض قيد ذراع ، ثم ترمى عليه ، فترميه في الركض ، ثم تنصب خمساً على هذه الصفحة وترميها » .
انه هدف في الهواء ، على رأس رمح أو نحوه . مولد : القاموس .

القبق (٣) والقيقج (٤) ، فكلّ فَرَس أخلى (٥) وقت رمي الأغراض (٦) ، فيصير صاحبه مطمعةً ومضحكة .

وليُتَّخَذ من آلات السَّرج الصَّحيح ، القليل الفِضَّة ، ما لاترونه (٧) اليوم في السُّروج (٨) المُغْـرِقة (٩) ، فهي لاتصلح لأحدٍ من الناس .

أما الرَّجل العاقل(١٠)، فلا يستحسن مثل ذلك. وأما الشّاب الأَمرد(١١)، فيقبح عليه استعماله من وجوه شتىً منكرة شرعاً (١٢) ، ولا يصحّ استعماله إلاّ مَنْ شاء ذلك من الحَـمْقَى (١٣) ، أصلحهم الله .

---

(٣) القبق : هى كلمة تركية : أصلها : (قابوق) بمعنى : قشر . وهى خشبة طويلة تنصب وسط ميدان السبق ، وفي نهايتها حلقة من الذهب أو الفضة ، والفارس الذى يستطيع تناولها براس رمحه وهو مسرع ، تكون له ، انظر المعجم الذهبي (٤٣٩) .
والمادتان (٢ و ٣) استعنت لتحقيقهما بالأخ الأستاذ عبدالقادر زينل التحافى ، فحققهما مشكورا .

(٤) القيقج : محرفة من كلمة (قبجاق) التركية : خطاف ، كلاب ، مربوط بعصا أو حبل ، يناله الفارس برمحه ، وانظر المعجمات التركية ، وقد دلني على الكلمة الاستاذ شاكر صابر الضابط مشكوراً .

(٥) أخلى ، تخلف ، قصر .

(٦) الأغراض : (ج) : غرض ، أى هدف ، والمعنى أن الفرس الذى يقصر في وقت رمي الأهداف ، يصبح فارسه موضع سخرية الناس ممن حوله ، ومن المدربين على الفروسية والماهرين فيها .

(٧) في الأصل : تروه .

(٨) في الأصل : السرج .

(٩) المغرقة : المبالغة فيه ، أى السروج المبالغة في تزيينها بالفضة ، مما يجعلها صالحة للمباهاة لاللقتال ، والمطلوب هو العكس تماماً ، أى أن تكون صالحة للقتال حسب .

(١٠) الرجل العاقل : يريد الذى تجاوز سن الشباب ، فأصبح كهلاً مجرباً ، ولم يبق شاباً حدثاً لاتجربة له ، أو قليل التجربة .

(١١) الشاب الأمرد : الشاب الذى طر شاربه ولم تنبت لحيته بعد . يريد : الشاب الحدث قليل التجربة .

(١٢) منكرة شرعاً : لما فيها من الاسراف ، والاسراف من النكرات شرعاً .

(١٣) في الأصل : الحمقاء ، وهو خطأ .

وليُتَّخَذ رِكابان (١٤) حاكمان (١٨) على مقدار قوّة فرسه ، لئلا يحصل الضرر وقت المهم (١٦) من الأمور ، اللهَ اللهَ في ذلك .

وليُتَّخذ لِجَام (١٧) معتدلان (١٨) بِسَيْرٍ صحيح ، يكون سيره فيه طول . ففي ذلك السَّيْر إذا طال أمور صالحة ، ويكون الإِبْزِيم (١٩) على قدر طول ساق الفارس ، لابالقصير ولا بالطويل . ومقدار وضع سَيْر الرِّكاب وتطويله وتقصيره ، له ضابط ليس هنا موضعه .

وليكن في طرف اللجام مُسْتَعان (٢٠) مُمَكَّنٌ في طرف اللّجام قصير .

ولا يُعلّق البرجم (٢١) في عُنق فرسـه ، إلاّ مَنْ كان قد قتل عدواً

---

(١٤) الركاب : للسرج ، ماتوضع فيه الرجل ، وهما ركابان .

(١٥) في الأصل : حاكم . والحاكم : من نصب نفسه للحكم بين الناس . وهنا يريد : مسيطر ، اى ركابان مسيطران .

(١٦) وقت المهم من الامور : يبدو انه يريـد القتال ، فهو اهم امر بالنسبة للعسكري ، وله يستعد ويستحضر .

(١٧) اللجام : الحديدة في فم الفرس ، ثم سموها مع مايتصل بها من سيور وآلة لجاماً .

(١٨) عدل الشيء : أقامه وسواه ، يقال عدل اللجام بالسير ، وفي كل لجام حلقتان ، حلقة في اليمين ، وحلقة في جانبه الايسر ، وهما يعدلان ، أو يعتدلان بموازنة السيور ، ليصبح اللجام على الفرس مسيطراً بشكل متوازن ، وهو المطلوب .

(١٩) الابزيم : عروة معدنية في احد طرفيها لسان ، توصل بالحزام ونحوه لتثبيت طرف الحزام الاخر على الوسط . (مع) .

(٢٠) مستعان : الذى يستعان به ، (والله المستعان) ، اى استعينه ، انظر تفسير الكشاف للزمخشري (١٠٣/٢) ، وهو سير في طرفي اللجام ، يستعان به لضبط الفرس والسيطرة عليها سيطرة كاملة ، اذ بـدون سيطرة تصبح الفرس كالسيارة بدون كابح .

(٢١) البرجم : كلمة تركية ، بالأصل : (برجن) ، وهى قصة الشعر في مقدم الرأس ، وبرجم الفرس : مقدم شعره في رأسه . ولا تزال كلمة : البرجم مستعملة في العامية ، وهى ، (الكصة) كما يعبر عنها في اللغة العامية الدارجة ، والكاف محرفة عن القاف ، أى هى القصة . وكان الفارس يعلق خصلة من الشعر على جبين فرسه ، علامة على انه قتل أحد أعداء المسلمين ، انظر المعجم التركي (٤٧٧) .

للمسلمين ، ما لاترونه (٢٢) اليوم من فعل مَنْ لاحياء له ولا معرفة ، نسأل الله السَّتْرَ .

وكذلك لا يعلّق ذنب حمار الوحش والبقر الوحش في قلادة فرسه ، إلاّ من قد رمي أحد الحيوانات المذكورة .

وينبغي اتّخاذ القِسِيّ الكثيرة ، والسِّهام الكثيرة ، والأوتار العربية (٢٣) والخطّائية (٢٤) ، ولا يقتني من الأوتار غير ذلك ، ويكون عنده قوس لرمي القَبق (٢٥) وللرمي على الأبراج ، فإنّ القوس المرمي عنها إلى فوق يكون بيتها الأعلى طويلاً (٢٦) ، فافْهَمْ ! ويكون سائر ماعنده من السِّهام مفتحة الأفواق (٢٧) على قدر الوتر ، وكم من قتيل قُتل وأسير أُسِر بتفريط ذلك .

وأما صفة النُّصول فكثيرة (٢٨) ، والمربع للقوس الصُّلبة جيِّد ، وكلّ أحد من الرُّماة له غرض في اتخاذ النُّصول ، ليس هذا الكتاب موضع التَّطويل لذلك .

---

(٢٢) في الأصل : تروه .

(٢٣) الأوتار العربية : هو الذي يتخذ من عصب عنق البعير المسن ، أو من وظيف الساق ، وكانوا يسمونه : (العقب) ، ولذا يقال : عقب القوس ، أى لوى شيئاً من العقب عليها ، المخصص لابن سيده (٥٥) والقاموس المحيط ، مادة (عقب) ، وأوتار التاتار من الجلد ومن عصب الماشية ، والاوتار العربية افضل من الاوتار التاتارية ، لمرونة الاوتار العربية .

(٢٤) الأوتار الخطائية :

(٢٥) انظر الهامش رقم (٣)

(٢٦) في الأصل : طويل .

(٢٧) الأفواق : (ج) : فوق . والفوق من السهم : حيث يثبت الوتر منه ، وهما فوقان ، وهو مشق رأس السهم ، حيث يقع الوتر . والفوقة : (ج) : فوق ، وهو موضع الوتر من رأس السهم .

(٢٨) في الأصل : فكثير .

ولا بدّ أن تكون نُصول السِّهام ، عليها العُقُب (٢٩) الكثير بمقدار معلوم .

وعليك أيها المجاهد بالرياضة (٣٠) ما أمكنك فارساً وراجلا . وإذا رأيت الغافلين ، قل اللهَ ثُم ذرهم ، وادْعُ لهم سِرّاً وجهراً ، ولاتكن من القانطين ولا من المتكبرّين ، ولا من المعجبين ، فتكون من الخاسرين ، واشتغل بما ينفعك وما أنت مطلوب به . واشتغل بالعلوم الحربيّة ما أمكنك تعليمه من غير ازدراء أحد من المسلمين ، فهذه وصايا أشياخنا ، رحمة الله عليهم .

★ ★ ★

---

(٢٩) العقب : (ج) : عقب : العصب الذى تعمل منه الأوتار ، والأوتار تعمل من عشرة أشياء : سبعة منها من الجلود ، وثلاثة من العقب والابريسم وقشورالقنا . والتى تعمل من العقب ، تصلح لبلد حار الصيف .

(٣٠) الرياضة : يريد بها هنا : التدريب والتدريب على الرمي المستمر ، يجعل الرامي ماهراً في الرمي ، والتماهل في التدريب يضعف قدرة الرامي على الرمي . قال عليه الصلاة والسلام : « ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة : صانعه محتسباً ، والمعين به ، والرامي به في سبيل الله عز وجل » ، انظر الجامع الصغير (٧٦/١) والفتح الكبير (٣٥٧/١) وسنن ابن ماجة (١٣٥/٧) والمعجم الكبير (٣٤٠/١٧) .
وعن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم : « نعم لهو المؤمن الرمي ، ومن ترك الرمي بعدما علمه ، فهو نعمة تركها » . انظر المعجم الكبير (٣٤٢/١٧) وسنن أبى داود (٣٩٤/١) ومجمع الزوائد (٢٧٠/٥) مع اختلاف في النص .
وقال عليه الصلاة والسلام : « من تعلم الرمي ثم تركه ، فقد عصانى » ، انظر صحيح مسلم (٦٥/١٣) وسنن ابن ماجة (١٨٩/٢) .
وقال عقبة بن عامر الجهنى ، انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول : « وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة » ، ألا ان القوة الرمي ، ألا ان القوة الرمي ، الا ان القوة الرمي « قال النووى في شرح صحيح مسلم في قوله صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) ، الا ان القوة الرمي ثلاثاً . انظر صحيح مسلم بشرح النووى (٦٤/١٣) وسنن ابن ماجة (١٨٨/٢) وسنن أبي داود (٣٩٤/١) .

الفصل التاسع

التَّعابي المنصـورة(١)

وليُشرع الآن ، فيما يسّره الله تعالى ، من ذكر التّعابي المنصورة ، من الله تعالى يستمدّ المعونة ، ولا قوّة إلاّ به ، فنِعْمَ المولى ونِعْمَ النَّصِير .

قال مؤلّف هذه الرِّسالة : ينبغي أن يكون رجال هذه التّعابي عندهم دُرْبة(١) وحَمِيَّة (٣) ، ولايكون بينهم أحد من جنس العدوّ ، الذي يقاتِلون ، فيقع الخلل . واتَّفق لكثير (٤) مثل ذلك ليس هذه الرِّسالة تحتمل كثرة الكلام ، لأنني لا أذكر فيها إلاّ ما هو ضروري ، وما شذّ عني ذكره .

وليعلم أنّ الجند هم زهرة المملكة وبهجتها ، فينبغي أن يكونوا كما ذُكِرَ : « فرسان بالنَّهار ، رهبان بالليلُ » (٥) ، وحينئذ يكونون (٦) من أهل الحروب ومن رجال التّعابي .

ومن لوازم التَعابي في الحروب ، أن يكون القِصار من الرِّجال ، أمام

(١) لم يكن هذا العنوان في أصل الكتاب ، بل وضعناه ، لتحديد موضوعات الكتاب وفصوله بوضوح ، يعين القارىء على تفهم ما ورد فيه من مواد عسكرية .

(٢) دربة : درب به ـ درباً ، ودربة ، اعتاده وأولع به . وعلى الشىء : مرن وحذق . ويريد المؤلف : ينبغي أن يـكون رجال التعابي مدربين على واجباتهم .

(٣) حمية : أنفة . وفي التنزيل العزيز : (اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية ، حمية الجاهليـة) ، والحمية : المحافظة على المحرم والديـن من التهمة .

(٤) في الأصل لكثيرة .

(٥) صفة المجاهدين الصادقـين : فرسان في النهار ، متقون ليلاً ، وهذا الوصف قيل في رجال الفتوح الأولين قادة وجنودا .

(٦) في الأصل : يكونوا .

الطِوّال ، ليتمكّن القِصار من النّظر ، ولئلا تسترهم الطِوّال عن ذلك ، وهذه من النُّكت (٧) .

وصيَّة يجب بها العمل ، ولا يُعْدَل عنها ، وذلك أن يكون حين التّعبية كل قبيلة مع أختها ، وكلّ جنس مع جنسه ، لئلا يحصل التنازع (٨) . وكذلك فليكن مقدَّم كلّ طائفة منها ، ومَنْ فعل غير ذلك في التّعابي من زعماء الجيوش ، فقد أتعب نفسه ، وأضعف عسكره فيما لا فائدة فيه .

ولْتَعْلَمْ ، أرشدك الله لما يُرضيه ، أنّه لافعل إلاَّ بحركةٍ ، ولا علم إلاَّ بحدود ، ولن يزال لأمر القوم نظام ، مادامت لهم أحكام .

والأصل في ثبوت الأحكام ، حسن انتظام التّعابي ، وقد أجرى الله سبحانه وتعالى أنّ كل عسكر مرتب التعابي منصـورٌ . وليحذر التَفريط في الأمور اتِّكالاً على المقادير ، فإنَّ لكلّ قَدَرٍ سـبباً (٩) يجري عليه ، فسـبب النّجيح (١٠) : العمل ، وسبب الخيبة : التفريط ، وليس المغترّ بمحمودٍ ولو سَلِمَ . كان رسول الله صلّى الله عليه وسلم يحْذرُ الناسَ ، حتى أنزل الله تعالى : (واللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس) (١١) .

(٧) النكت : (ج) : نكتة ، وهى العلامة الخفية ، والفكرة اللطيفة المؤثرة في النفس ، والمسألة العلمية الدقيقة يتوصل اليها بدقة وانعام فكر . ويريد بها الفكرة اللطيفة المؤثرة في النفس .

(٨) ليحصل التعاون ولئـلا يحصل التنازع ، لأن القبائـل ذات القربي ، والجنس القريب للجنس الاخر ، يسود فيها التعاون ، ويقل التنازع ، وبخاصة أن النسب والجنس كان الرابطة الاولى قديماً ، في التعاون ونبذ التنازع ، وفي الوئام بعيداً عن الخصام .

(٩) في الأصل : سبب .

(١٠) النجيح : يقال رأي نجيح : صواب . ورجل نجيح : صابر . ويبدو أن المؤلف يريد بكلمة النجيح : النجاح ، أى أن العمل هو سبب النجاح ، والتفريط سبب الاخفاق .

(١١) الآية الكريمة من سورة المائدة (٥ : ٦٧) . وعصم الله فلاناً من الشر أو الخطأ : حفظه ووقاه . وعصمه من الناس : حفظه ووقاه وحماه .

الفصل العاشر

أشكال التّعابي[1]

قال الله تعالى : (إنَّ الله يُحِبُّ الذّيْنَ يُقاتِلُونَ في سَبِيْلِه صَفّاً ، كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوْص) (٢) ، فهذا أقوى دليل على استحباب استنباط ترتيب التّعابي الهندسيّة .

قال القدماء : والصفّ المستوي الأطراف في حملته(٣) ، هو أوثقُ الصُّفوف وهذا شكله :

قال محمد بن مَنْكَلِي ، لطف الله به : ويجب حين الحملة (٤) ، أن يكون هذا الصفّ ، كهيئة السُّور (٥) ، لو كان السُّوْر مُتَحَرِّكا ، يحفظون أعِنّة (٦) الخيل ، حتى لو ضُرب على أقمام (٧) خيولهم بخيطٍ ،

(١) العنوان ليس موجوداً في الأصل ، وضعناه لتحديد موضوعات الكتاب وفصوله بوضوح ، ليعين القارىء على تفهم ماورد فيه بسهولة ويسر .

(٢) الآية الكريمة من سورة الصف (٦١ : ٤) .

(٣) في حملته : في انقضاضه على العدو . والحملة : هي نهاية الهجوم ، بعد التماس به ، والانقضاض عليه لطرده من مواضعه .

(٤) الحملة : الكرة في الحرب . وفي المصطلحات العسكرية ، هي قمة الكرة على العدو ، لطرده من مواضعه .

(٥) في الأصل السوران ، وارى الصواب افراده : السور ، لانه صف واحد وليس صفتين .

(٦) أعنة : (ج) : عنان ، وهو سير اللجام الذى تمسك به الدابة ، وهو طاقان مستويان .

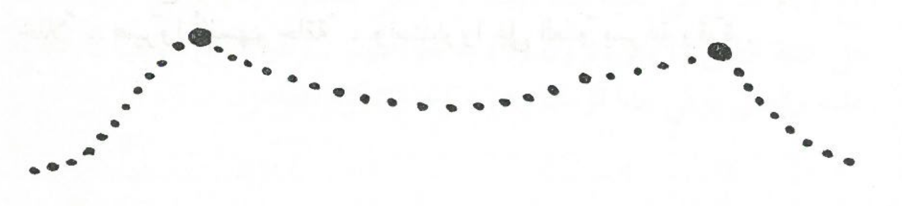
(٧) اقمام : (ج) : قمة ، وهي من كل شىء أعلاه . والقمة : القامة ، يريد انهم يكونون في صف مستقيم كأنه خط مستقيم .

لما اختلّ تصافُفُهم ، يفرُّون معاً ويكرُّون (٨) معاً ، وهذا نظام حسن عجيب ، فليحتفظ به إن شاء (٩) الله تعالى .

وأقول : حتى لو كان مئة (١٠) فارس ، قد رتَّبوا هذا النظام ، وحملوا على ما شاء الله من الجُموع ، أثَّروا فيهم ، بقوة الله تعالى ، فاللهَ اللهَ في الاهتمام بهذا النظام .

ولأجل ذلك اختاروا اللّجام حاكماً (١١) على قوّة الفرس ، ومَنْ ركب فرساً في الحرب ، أو في الأعمال الرياضيّة ، ولم يكن لجام فرسه حاكماً (١٢) على قُوَّة فرسه ، فهو خاسر .

شكل آخر ، الصفّ الخارج الصّدر ، أوثق للقلب(١٣) ، وهو للجناحين(١٤) أضعف ، فإذا كان هذا الشّكل كذلك ، صُيِّرَ مع كلّ طرفٍ من الجناحين



(٨) الكر والفر : أسلوب قتالي يمارسه العرب والبربر بصورة خاصة ، كما جاء في مقدمة ابن خلدون ، وهو أن يهجم المقاتلون بكل قوتهم على العدو ، فان ثبت لهم العدو او احسوا بالضعف نكصوا ، ثم أعادوا تنظيمهم ، وكروا ، وهكذا يكرون ويفرون حتى يكتب لهم النصر او الفشل ، انظر الرسول القائد (١٠٤) ـ القاهرة ـ ١٩٦٤ ـ ط ٣ .

(٩) في الأصل : انشاء الله .

(١٠) في الأصل : مأية .

(١١) في الأصل : حاكم .

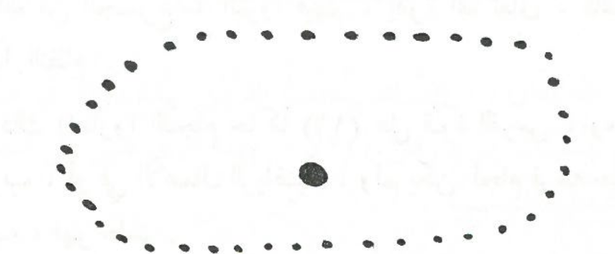
(١٢) في الأصل : حاكم .

(١٣) القلب : يريد قلب القوة المعنية ، وهو القسم الرئيس من القوة .

(١٤) الجناحان : الميمنة التى تكون يمين القلب ، والميسرة التى تكون يساره ، وهما قوتان تناسبان الموقف الحربي الراهن ،وواجبهما الأصلي ، حماية القلب من العدو .

كُرْدُوْساً (١٥) من الخيل المقوِّيَة ، أعني فرساناً أقوياء .

وهذا شكل آخر ، وهو الصَفّ المعطوف ، الدّاخل الجناحين ، الخارج الصّدر ، مكروه ، وهو ضعيف ، وهذا شكله :



وهو ضعيف عن القلب ، قويّ الجناحين.

قال واضع هذا الكتاب : إذا رأى (١٦) أصحاب هذا الترتيب في أنفسهم خللاً ، صيرّوا أنفسهم حلقةً ، واستداروا على العدوّ بسرعة وقوّة .

★ ★ ★

(١٥) الكردوس : كتلة من الجنود الخيالة أو المشــاة ، وفي الاصل يتألف الكردوس من الف مقاتل ، ولعل كلمة كردوس معربة من كلمة (كورتيس) الرومانية ، انظر كتاب الجندية في الدولة العباسية (٢٥٤) .

(١٦) في الأصل : رأوا .

الفصل الحادى عشر

ذِكْر تعبية العَدَد القليل

في المحاربة ، أقلّ ما يلقى الحرب ، تسعة نفر ، ليكون : قلب ، وميمنة ، وميسرة . فيكون في القلب ثلاثة نفر ، والميمنة كذلك ، والميسرة كذلك .

قال المؤلّف : ومن شرط هذه التسعة نفر ، أن يكونوا فُرساناً على الحقيقة (١) ، عاملين (٢) بمواقع الفُرص ، يكرّون معاً ، ويفرّون كذلك ، لا يفترقون ما لم يجدوا فرصة (٣) ، ثم يلتئمون بسرعة إذا هم افترقوا .

قال واضع هذا الكتاب : وكان للعلماء من الملوك الإسلاميين وغيرهم باع (٤) طويل في تعبية هذا العدد ، وكانوا يضنُّون (٥) به في وقت السّلم على عامة الناس (٦) ويؤثرون (٧) به خواصّهم . وهو شكل غريب قد أُضيع علمه والعمل به في هذا الزّمان (٨) ، وهذا شكله الظّاهر .

(١) على الحقيقة : في الواقع وليس على سبيل الفرض أو التسمية حسب .

(٢) عاملين بمواقع الفرص : عالمين بمواقها ، لاتفوتهم فرصة من الفرص تقودهم الى النصر ، او تقوي من شوكتهم ، متسمين باليقظة والحذر .

(٣) لايفترقون مالم يجدوا فرصة : يبقون ملتئمين لايتفرقون ، الا في حالة انتهاز فرصة سانحة تقودهم الى النصر ، أو تقربهم من تحقيقه .

(٤) باع : الأصل ملطخ بالسواد ، فوضعنا هذه الكلمة ، لأنها تناسب سياق الجملة .

(٥) يضنون : يبخلون ، وفي الأصل : يظنون ، والسياق يأباه .

(٦) على عامة الناس : حتى لايشيع سره لحسن نياتهم .

(٧) الأصل ملطخ بالسواد ، لايقرا ، فوضعنا هذه الكلمة ، لأنها تناسب سياق الجملة .

(٨) هذا الزمان : زمان المؤلف (٧٧٠هـ = ١٣٦٨م) .

في هذا الشكل علوم جمة

في هذا الشّكل علوم جمّة .

جملة عَدَد رجاله(٩) خمسة وأربعون ، إما رجال(١٠) أو رُكْبان(١١) ، وأنه لابدّ للأجساد (١٢) [من] (١٣) أرواح (١٤) ، فإذا حلّت الأرواح بالأجساد (١٥) حصلت الحياة .

قال محمد بن منكلي : فالرجال كالأجساد ، والتّعابي كالأرواح (١٦) .

وبُسِط هذا العَدَد ، فجاء مئة وأربعة وستين (١٧) . ويتّفق أن يُثار ثائر حميّة إيمانية أو طبيعيّة في رجل ، فيحمل (١٨) بمفرده في عسكر . وللعلماء في هذا المسألة (١٩) كلام طويل شرعيّ .

---

(٩) في الأصل : خمساً .
(١٠) في الأصل : رجالاً ، ويريد رجالة ، اى مشاة .
(١١) في الأصل : ركباناً ، ويريد بهم الفرسان ، اى الخيالة .
(١٢) في الأصل : اجناد ، وهو تصحيف لأجساد .
(١٣) أضيف ليستقيم سياق الجملة والمعنى .
(١٤) في الأصل : ارواحاً .
(١٥) في الأصل : الأجناد ، وهو تصحيف للأجساد .
(١٦) اى أن التعابي مهمة جداً للأجناد ، كأهمية الأرواح للأجساد ، فالجسد دون روح موت ، والجسد بالروح حياة ، كذلك الأجناد بالتعابي نصر ، والأجناد بدونها هزيمة ، فالأرواح والأجساد متكاملان ، فلا فائدة للروح بدون جسد ، كما لافائدة للجسد بدون روح ، ولا اهمية لأحدهما من دون الاخر . وكذلك الأجناد والتعابي متكاملان ، يكمل بعضها بعضاً ، ولا اهمية لأحدهما من دون الآخر ايضاً .
(١٧) في الأصل : فجاء مأية واربعاً وستون .
(١٨) في الأصل : فحمل ، وهى معطوفة على يثار ، فتكون فيحمل .
(١٩) في الأصل : المسئلة .

روي أنّ عمر بن الخطّاب ، رضي الله عنه ، أرسل سريةً أو جيشاً ، فقاتل رجل منهم وحده ، حتى قُتِل ، فقال الناس : ألقى بيديه إلى التّهلكة. فلما بلغ عُمَرَ ذلك ، قال : « كذبوا ، أليس الله تعالى يقول : (ومِنَ النّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابتغاء مرضاة (٢٠) الله) (٢١) .

قال العلماء : ولا ينبغي أن يفعل ذلك إلاّ لمن يعلم من نفسه بلاءً في الحرب :

إنْ يبتدر غايةً يوماً لمَكْرُمَــةٍ   تَلْقَ السَّوابق مِنّا والمُصَلِّينا(٢٢)

قال بعض السّادة ، رضي الله عنهم : « مَنْ هاله ما هو من جنسه ، فهو جهول ضلّ عن نفسه ، ولو أنّه يعرف أوصافه ما هاله ما هو من جنسه » .

طريقة في التّعابي :

هذه صورة البطين ، وهو شاي

قال المؤلّف غفر الله له : ويجب الإمعان بالنظر في هذا العَدَد المخصوص أعني التسعة ؛ لأنّ أمره عجيب ، وفتْحه قريب . وإن أردتَ أن ترتّب خمسة نفر ، فعلى هذا الترتيب ، وهذا شكله الهندسيّ السّماويّ :

---

(٢٠) في الأصل : مرضات ، ولم يكن المؤلف عليه رحمة الله على خطأ ، لأنه نقل الآية من رسم المصحف . ولكن كتابة الكلمة بموجب قواعد الاملاء المتعارف عليها هو : مرضاة لامرضات .
(٢١) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢٠٧/٢) .
(٢٢) السوابق : (ج) : سابق ، وهو المتقدم في الخير ، وفي التنزيل العزيز : (والسابقون السابقون ، أولئك المقربون) ، أو هي جمع سابقة : السبق في الجري وغيره ، الى سبق الناس اليه . يقال : له في الأمر سابقة . ويريد به هنا : السابق هو الأول في ترتيب الخيل في السباق .
والمصلينا : (ج) مصلي . والمصلي من خيل السباق : الذى يتلو السابق ؛ ويستعار للانسان اذا كان تالياً للأول في اى عمل كان .
ويريد الشاعر : أن الأول والثانى يكون من رجالنا : السابق والمصلى .

وهذا العَدَد منسوب لحرف (خ) ، وهو بستّ مئة (٢٣) ، وإن أردتَ أن ترتّب ثلاثة نفر ، فلتمدّهم بستّة نفرٍ ، ليصيروا تِسْعة ، وهو منسوب لحرف (ط) ، وهذا شكلهم :

المدد }

الأصل }

والنقط السود حيث تراهم ، يكونون هم أصحاب المدد ، لأنّ السواد يُشعر بالثبوت ، لأنه أصليّ لا يقبل التّغيّر ، والإفرنج ، خذلهم الله تعالى ، أكثر طوائفهم ، يشمئزون من رؤية السَّواد ، وكذلك الآص (٢٤) إذا رأوا الدم ، تضعف قواهم . هذا نقل العقلاء من أهل التجربة .

وسأبيّن إن شاء الله (٢٥) تعالى ، في هذا التأليف فوائد مختصرة تخصّ بالألوان ،وفي تأثير الحواس البشرية عند رؤية كلّ لون على حِدَة .

ثُم (٢٦) ترتيب أربعة نفرٍ ، وهو في العَدَد منسوب إلى حرف (د) ، ويمدّهم عشرة (٢٧) نفرٍ ، وهو عدد ذو رتبة منتسب لحرف (ي) ، صارت، جملته أربع عشرة (٢٨) .

(٢٣) في الأصل : بست ماية . (٢٤) الاص : فرع من الأرمن .
(٢٥) في الأصل : انشاء الله . (٢٦) في الأصل : وثم .
(٢٧) في الأصل عشر . (٢٨) في الأصل : أربع عشر .

وهذا العَدَد جمع الطبائع الأربع (٢٩) .

ثُمّ ترتّب خمسة نفرٍ ، على هذه الصورة ، وهي تنجيم العق (٣٠) .

ويمدّهم بخمسة عشر رجلاً (٣١) ، يكونون عالمين بمواقع القتال ، كما تقدّم ، بخيول جياد وآلة محكمة .

وعَدَد الخمسة ، منتسب لحرف (هـ) ، وهو حرف قطبيّ ، مؤلف كما يُعلم ، وحرف (ي) قد استبان عدده أيضاً ، فصاروا خمسة عشر رجلا ، وهذا شكله :

ثمّ تتقدّم ستة نفرٍ ، وعدد الستة منتسب لحرف (و) ، والواو من الحروف الدّوريّة ، وأخواته حرفا (م) و (ن) ، فافهم ؛ لأنّ مدد السِّتة نفر تسعون شخصاً ، وبالله التوفيق .

ولا يُقرب (الأبكم) ، فكم زلّت بصحبته قدم ، ولم يُفد النَّدم ، وأعني بـ (الأبكم) صاحبَ الغفلات ، المصرّ على الشّهوات المباحة لا المحرّمات، إذْ ذِكْرُ المحرّمات تشبه في التّلَفُّظ كالنجاسات .

ومَدَد الستة نفر واحد (٣٢) وعشرون رجلاً أيضاً ، فالواحد واحد ،

(٢٩) كتب في الحاشية الأصلية عن الطبائع الأربع التى عناها : حاد : ـ
بارد : ٠ [
يابس : ته
رطب : P

(٣٠) العق : كتب في حاشية الاصل : وهى شامية ، فافهم .
(٣١) في الأصل ويمدهم خمسة عشر رجال .
(٣٢) في الأصل : احدى وعشرون .

والعشرون (٣٣) لحرف (ك) ، ثمّ ترتّب سبعة نفرٍ على الصّفة المذكورة ، وهو الدُّبَران :

وعددهم لحرف (ز) ، ويمدّهم ثمانية وعشرون رجلاً ، فالثمانية منتسب لحرف (ح) والعشرون لحرف) (ك) ، وهذه صورهم :

أما عدد الشمالية خمسة عشر ، وهذه تكون من جهة السماء

وعدد الجنوبية اثنا عشر[٣] ، وهذه تكون من جهة الجنوب

وهذا التقدير ، قدّره العزيز العليم .

وكان قديماً الجنوبية أربع (٣٥) عشرة ، والشمالية أربع عشرة (٣٦) ، وهم اليوم الشمالية ست عشرة (٣٧) ، والجنوبية اثنتا عشرة (٣٨) ، قال تعالى : (والقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنَازِلَ ، حتى عادَ كالعُرْجُون (٣٩) القديم)(٤٠)، فإذا أردتَ أيّدك الله بتوفيقه وعزمت بعد الاستخارة والمشورة ، إرسال (٤١) سرية أو جيش فليكن ذلك والقمر في منزلة (الغَفْر) أومنزلة (القلب او منزلة (النّعائم) (٤٢) أو منزلة (سعد الأخبية) أو منزلة (الرِّشاء)(٤٣).

---

(٣٣) في الأصل : والعشرين . (٣٤) في الأصل : اثنى عشر .

(٣٥) المنازل هنا منازل القمر ، جمع منزلة ، كما ذكر في السطر الأخير ، فيجب أن يقال : ست عشرة ، وثنتا عشرة .

(٣٦) في الأصل : أربع عشر . (٣٧) في الأصل : ست عشر .

(٣٨) في الأصل : أثنا عشر .

(٣٩) العرجون : مايحمل التمر ، والعذق ، وهو من النخل كالعنقود من العنب . (ج) . عراجين .

(٤٠) الآية الكريمة من سورة يس (٣٦ : ١٩) .

(٤١) في الأصل : بارسال . (٤٢) في الأصل : النعايم .

(٤٣) في الأصل : الرشا (مقصوراً) ، وهو ممدود .

والحذر من منزلة (الإكليل) ، فإنه لايصلح الحركة فيها بتّة . فلمنزلة (الغَفْر) حرف (س) ، ولمنزلة القلب حرف (ص) ، ولمنزلة (النعائم)(٤٤) حرف (ر) ، ولمنزلة (سعد الأخبية) حرف (خ) ، ولمنزلة (الرِّشاء) حرف (غ) (٤٥) .

ثم ترتّب من صفّ ثمانية نفرٍ ، وعدّتهم منتسب لحرف (ح) (٤٦) ، ويمدّهم ستة وثلاثون : حرفا (٤٧) (و) – (ل) ، وهذا شكلهم :

ثمّ رتّب تسعة نفر ، وقد تبيّن ما لحرف (ط) من العدد ، وهو تسعة ، وهذا الشّكل حسن التدبير للمحاربة :

ويكونون على الصّفة المذكورة بالمعرفة بأنواع القتال ، ويمدّهم خمسة وأربعون ، وللخمسة حرف (هـ) ، وللأربعين حرف (م) ، وهو دوريّ كما تقدّم ، وإذا نطقت بهم ، قلتَ : (هُم) ، ففي ذلك إشارة لهذا العَدَد العجيب .

---

(٤٤) في الأصل : النعايم .

(٤٥) في الأصل : ست .

(٤٦) في الحاشية الأصل : « وهي صورة الهقعة .... ، وهى من أظرف التعابي » .

(٤٧) في الأصل : لحرفا .

يا سيِّدي ، رتِّب المَدَد ، فسوف إن شاء (٤٨) الله تعالى يغني عن كثرة العَدَد ، بشرطٍ مُعْتَبَر واضح ، حين سماع قولٍ مِن (٤٩) محِبٍّ ناصح .

وما وضعتُ هذا الكتاب ، إلاّ لأولي الألباب .

قال الإمام محمد بن إدريس الشّافعي رضي الله عنه ، في قصيدة له :

عَلَيَّ مَجْمَعُهُمْ في كلّ مُعْتَرَكٍ
وما عَلَيَّ بهـم عارٌ إذا هَرَبُوا

★ ★ ★

(٤٨) في الأصل : انشاء الله .
(٤٩) في الأصل : فن .

الفصل الثاني عشر

ذكر طبائع[١] الأمم واختلاف أحوالهم في الحروب

أمّا سواد أهل الشّام وفلاّحوهم (٢) ، فلهم في الحروب حِيَل ومخاتلة لطيفة ، ولهم الصّبر والوفاء والذِّمّة .

وأما الإفرنج – خذلهم الله – فبأسهم شديد ، وحربهم عن فكرةٍ ورويّة ، لا يبرمون أمراً إلاّ عن مشورة طَويلة ، حتى ترجع كلمتهم واحدة . وإذا جلسوا مجلساً للشّورى ، كان عامّاً بينهم ، ليستوي فيه الموالي والعبيد . وإذا جاء أصغرهم ، وذكر أنّ عنده رأياً ، سمعوه منه ، [و](٣) فحصوا عنه ، فإن وجدوه صواباً ، اتّبعوه . فإذا تفرّقوا على أمْرٍ مبرمٍ قاموا عليه ، وثبتوا ، وعملوا به ، ولم يختلفوا .

ولهم تعبية في الحروب مُحكمة ، وما داموا على تعبيتهم لا يُقدر عليهم . فإذا اختلّت وتفرّقت ، ذلّوا سريعاً ، وانقادوا للأسر . وهم يعتمدون على تعبية شهروان (٤) ، وشهروان هذا قديماً كان من أكابر فرسانهم ، وهذه صورتها .

(١) في الأصل : طبايع .
(٢) في الأصل : فلاحيهم .
(٣) أضيف ليستقيم المعنى .
(٤) لم اجد لهذا الاسم ذكرا ، والفرنج تذكر في تاريخها : شارل مارتل (٦٨٨م – ٧٤١م) ، حاجب للقصر عند الفرنجة ، (٧١٤م – ٧٤١) ، وحد جميع الممالك الافرنجية تحت حكمه ، وأوقف فتوح المسلمين في فرنسا في معركة (تورز) أو (بواتيه) (٧٣٢م) وهى (بلاط الشهداء) ، وهى من معارك التاريخ الحاسمة . وهو والد ببين القصير ، وجد شرلمان ، انظر الموسوعة العربية الميسرة (١٠٦٨) ، ولعل المؤلف اراده ، لأنه اشتهر من جملة مااشتهر به ، أساليبه التعبوية ، التى كان الافرنج يعتمدونها في حروبهم .

وهيئة تعبيتهم ، أن تجتمع الفرسان ، وتستدير الرجال (٥) عليهم بالطّوارق (٦) الكبار ، حتى تكوّن دائرة (٧) عليهم كالسّور مُحْدِقاً بهم وبين كل طارقتين رمح مصوّب تجاه العدو ، ووراءه (٨) قوس الرّجل ، ويسمى : (الزّبورك) (٩) ، ويمشون إلى العدوّ خطوة خطوة ، فإذا لم يجدوا مجالاً ، وقفوا . وإذا وجدوا فرصة ، صاحوا بعلامة بينهم ، ففتح لهم الرّجالة باباً ، فخرج منه الفُرسان سراعاً ، وحملوا حملةً قلّما يثبت العدوّ لها ، والرّجالة خلفهم تهرول ، فإن نالوا البغية ، وإلاّ رجعوا ، فدخلوا من الباب الذي خرجوا منه ، وأغلق عليهم كما كان أولا .

وتعبيتهم (١٠) هذه ، كأنّها مدينَة تسير (١١) على وجه الأرض ، وهم — خذلهم الله — صبورون على الحروب ، لا يملّون ، ولا يضجرون من شظف العيش ، ولا يفلّ عزمهم إن ينكبوا ، ولا يؤثّر فيهم إن يُقتل كبيرهم ، وآخر حربهم خير من أوّله ، وقتالهم دينيّ وذبّ عن شريعتهم .

---

(٥) الرجال : يريد المشاة ، الرجالة .
(٦) الطوارق : (ج) طارق ، وهو الدبوس الكبير الذي ستأتي صفته وشيكا ، ويسمى : المطرقة ، وجمعه : المطارق ، والعامة تجمعه على طوارق . يريد الدبابيس الكبيرة .
(٧) في الأصل : دايرة .
(٨) في الأصل : وراه .
(٩) الزبورك : هو الزنبورك ، كان نوعاً من السهام ، بسمك الابهام وطول الذراع ، ذو أوجه أربعة وطرف حديد ، وتطور مع الزمن ، حتى صار يطلق على نوع من المدافع التى تملأ من المؤخرة ، انظر اغلاط اللغويين الأقدمين (١٢٤٠) وما بعدها ، وفيه تفصيل .
(١٠) في الأصل : وبقيتهم . (١١) في الأصل : تسيروا .

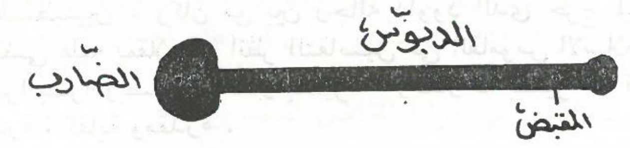
قال محمد بن منكلي أخذ الله بيده :

أما إفساد تعبيتهم ، فقريب التّدبير لمن أهّلَ لذلك (١٢) ، وعَلِمَ وجهَ الصّواب ، مُتَبَرِّئاً (١٣) عن قوّته وعلمه . ولو ذكر الدّاعي إفساد كلّ تعبية ، لم يكن ذلك بجميل ، لئلا يتعلّمه أهل غير مِلّتنا (١٤) .

قال أضعف خلق الله محمد بن منكلي : أمّا تعابي الإفرنج ، إذا كانوا خيالة مواجهين لنا ، فنرميهم بالسّهام الناريّة والمدافع ، فإنّ خيولهم تنفر من مثل ذلك ، فإذا ولّوا وتفرّقت تعبيتهم ، يُتْبَعون حينئذٍ ، وترمى (١٥) خيولهم بالنّشاب في أرجلها ، ويُضربون على رؤوسهم بالدبابيس (١٦) الثقال او العمد إن شاء الله (١٧) . ولا يُضربون إلاّ بالدبابيس ، لا بالسيوف ، إلاّ بَعْجاً في وجوههم وأعينهم ، لأنّهم يبالغون في لبس الحديد . ولا بأس باستصحاب الحجارة في شيء ، لرشق الإفرنجيّ على رأسه أو وجهه ، ويكون الرّاشق لذلك الحجر إذا رشق بالحجر ، قد تناول دبوّسه من يده اليسرى وضرب به ، ليكون رشقه وضربه معاً ، وهذا من المهم [من] (١٨) الأمور ، فليحتُفظ بذلك إن شاء الله (١٩) تعالى . ولو لم يكن باستصحاب الحجارة حين المبارزة إلاّ التأسي بنبي الله داوود عليه السّلام ، وعلى الأنبياء

---

(١٢) في الأصل : ذلك . (١٣) متبرئاً : في الأصل متبريا .
(١٤) ملتنا : ديننا . (١٥) في الأصل : يرمي .
(١٦) الدبابيس : (ج) دبوس ، وبعضهم يسميها : (المطرقة) ، وهي عصا قصيرة من الحديد ، لها رأس حديدية مربعة أو مستديرة ، وهي في العادة للفرسان ، يحملونها في سروجهم ، ويتقاتلون بها عند الاقتراب . ويستعملها المشاة أيضاً ، في القتال القريب ، وجهاً لوجه .



(١٧) في الأصل : انشاء الله . (١٨) (من) : اضيفت ليستقيم المعنى .
(١٩) في الأصل : انشاء الله .

السّلام والصّلاة ، لكفى بذلك افتخارا ، وقد قيل : إنّ نبيّ الله داوود عليه السّلام ، قتل جالوتَ (٢٠) بحجرٍ كان معه .

وأما الرّوم ، فهم يشبهون الإفرنج في تبعيتهم ، لكنّ الإفرنج أصبر على الحرب منهم . والرّوم أصحاب فكَرٍ صحيحة وآراء سديدة وعقول راجحة ، فينالون بعقولهم ما يدركه غيرهم بشدّة بأسه ، وآخر حربهم خير من أوّله ، وكلّما تطاولت بهم الحرب ، ازدادوا شجاعة وبَصارة (٢١) وضراوة ، وحربهم في بلادهم خير من حربهم في بلاد عدوّهم ، ولهم قُدْرة (٢٢) على فتح المعاقل ومحاصرة الحصون .

وليس لأحدٍ من الأمم مثل مجانيقهم ، وقصدهم في حروبهم إقامة دينهم وتقويم شريعتهم ، وليس لهم ثبات على رأي ولا عزم ، وربما غدروا بصاحبهم (٢٣) فقتلوه ، أو فارقوه وخذلوه .

وأما التُّرْك ، فإنّهم لا يقاتلون إلاّ لمجرد الغلب والاستيلاء ، لاعن دين ولا عن شريعة ، كأنّهم يلتذّون بإراقة الدّماء والخراب ، كما يلتذّ العقلاء بحقن الدّماء وعمارة (٢٤) البلاد . ولكنّهم إذا نقلوا إلى بلاد الاعتدال ، وأخذوا بالشّريعة المحمديّة ، حسنت سيرتهم ، وصَلَحَتْ طباعهم .

وأما العرب ، فلهم أحساب (٢٥) يحامون عنها ، وأنساب يرجعون إليها ،

---

(٢٠) جالوت : اسم ملك الفلسطينيين الوثنى ابان نبوة داوود ، وقد جاء ذكره ثلاث مرات في سورة البقرة . وجالوت هو مايعرف باسم (جليات) في التوراة ، وكان رجلاً قوياً شديد البأس . ثم ان الله سبحانه وتعالى اختار طالوت ، وهو شاول بن قيس من سبط بنيامين ملكاً على الفلسطينيين ، وكان من بين رجاله داوود الذى خرج لمبارزة جالوت ، وقضى عليه بمقلاعه ، انظر التفاصيل في القاموس الاسلامي (١/٥٥٨) .

(٢١) بصرا بصراً وبصارة : صار بصيراً ، وصار ذا بصيرة ، فهو بصير .

(٢٢) قدرة : كفاية ومقدرة .

(٢٣) صاحبهم : يريد قائدهم أو ملكهم أو رئيسهم .

(٢٤) عمارة : نقيض الخراب .

(٢٥) احساب : جمع حسب ، وهو مايعده المرء من مناقبه وشرف آبائه .

وأصول يراعونها ، وفيهم عِرْق من النبوّة ضارب ، ولهم الخُطب البليغة ، والشِعر الرائق (٢٦) ، ويأنسون إلى الكلام المزخرف ، وهم يفوقون الأمم في البأس والشجاعة والإقدام والجرأة (٢٧) ، ولولا اختلاف بينهم وتحاسد ، لملكوا الأرض ».

ولهم مخاتلة عجيبة في الحروب ، وصناعة في الكَرّ والفَرّ ، يعينهم على ذلك خيولهم السِّراع ورماحهم الطِّوال .

وقلوبهم في الحرب ثابتة ، وقدمهم راسخة (٢٨) ينهزمون حتى يُقال : إنهّم لايرجعون ، ثمّ يرجعون ، حتى يقال : إنهّم لاينهزمون ، فهم كالعِقبان يحومون على الصّيد . فإذا لاحت لهم فرصة ، انتهزوها ، وظفرهم أغلب من الظّفر بهم . لكنّ رَجْلَتَهم(٢٩) ضعيفة ، وإنمّا قتالهم على سِراع الخيل .

وأما الأكراد ، فهم يشبهون العرب ، إذْ هم منهم (٣٠) ، لهم أحساب وأنساب ، ولَهُم جَلَدٌ وقوّة في الأبدان ليست للعرب ، ويقاتلون رجّالة وخيّالة ، ولهم قدرة على قتال اللّيل والفتك في العدوّ ، والتّلصّص (٣١) ، وليس ذلك لغيرهم من الأمم ، وأجود قتال فرسانهم بالرِّماح الغلاظ واللتوت(٣٢)

---

(٢٦) في الأصل : الرايق . (٢٧) في الأصل : الجرءة .

(٢٨) في الأصل : راسخ ، والقدم مؤنثة ، فهى راسخة ، لأن الصفة تتبع الموصوف .

(٢٩) الراجل : خلاف الراكب . (ج) : رجال ، ورجلة ، ورجلتهم جمع الجمع ، أي : مشاتهم ، خلاف الخيالة .

(٣٠) هكذا في الأصل : « هم منهم » ، وأرى أن الأصل هو : مثلهم ، فجرى تصحيف هذه الكلمة ، فأصبحت منهم ، ولخطأ من الناقل لامن المؤلف .

(٣١) التلصص : تلصص فلان : تكررت سرقته ، وتكلف اللصوصية ، وتجسس . ويريد هنا : تجسس ، أي استطلع أحوال العدو ، لمعرفة أحواله ونياته وخططه ، واستكشاف المعلومات الضرورية لقواتنا . ومزية الاستطلاع : من مزايا المقاتلين المتميزين .

(٣٢) اللت : بالفتح والتشديد هى القدوم ، والفأس العظيمة ، وهي كلمة فارسية . (ج) : لتوت . والعامة تكسره ، فتقول : لت ، انظر الأداة والآلة (٣١٣) .

الثِّقال . وأجود قتال رجّالتهم (٣٣) بالعِصِيِّ التي هي أنكى (٣٤) من السيوف . وإذا قربوا ، فلهم الخناجر . ولهم قُدرة على سرقة العدوّ في اللّيل ، ويقتلون مَنْ وجدوا من الناس وما وجدوا من الدّواب وكأنّ السَّرقة صنعة جوهريّة لهم .

قال واضع هذا الكتاب المختصر : ولستُ أحبّ أن أحشو فيما ألّفته (٣٥) من كلام الغير ، وأشمئز (٣٦) من ذلك .

كان سيدنا القطب أبو مَدْيَن (٣٧) ، رضي الله عنه ، يقول لأصحابه : « إلى كم تطعموننا (٣٨) لحماً قَدِيْداً (٣٩) ، هاتوا لنا لحماً طَرِيّاً » ، يريد ، رضي الله عنه ، بذلك : رفع هِمّة أصحابه وتوجيههم إلى حضرة مولاهم الحقّ جلّ جلاله ، لينيلهم ما أنال (٤٠) غيرهم من فضله الشّامل .

والسَّبب الموجب لذكر هذه الحكاية : أنّه ينبغي أن تكون (٤١) له هِمّة

---

(٣٣) رجالتهم : مشاتهم .

(٣٤) أنكى : نكى العدو ، وفيه ـ نكاية : أوقع به ، وهزمه وغلبه . أنكى : أشد فتكاً وأكثر وقعاً به .

(٣٥) في الأصل : اللفته . (٣٦) في الأصل : واسمأز .

(٣٧) أبو مدين : ... ـ ٥٩٤ هـ
... ـ ١١٩٨ م
شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني ، أبو مدين : صوفي ، من مشاهيرهم . أصله من الأندلس . أقام بفاس ، وسكن (بجاية) وكثر أتباعه ، حتى خافه السلطان يعقوب المنصور . وتوفى بتلمسان وقد قارب الثمانين ، انظر الأعلام للزركلي (٣/٢٤٤) ، وانظر تعريف الخلف (٢/١٧٢ ـ ٧١٨) والبستان (١٠٨) وجذوة الاقتباس (٣٣٢) ونيل الابتهاج ، طبعة هامش الديباج (١٢٧) وشجرة النور (١٦٤) وعنوان الدراية (٥) وشذرات الذهب (٤/٣٠٣) ودائرة المعارف الاسلامية (١/٣٩٩) وجامع كرامات الاولياء (٢/٣٩) .

(٣٨) في الأصل : تطعمونا .

(٣٩) القديد من اللحم : ماقطع طولاً وملح وجفف في الهواء والشمس .

(٤٠) في الأصل . نول .

(٤١) في الأصل : يكون .

لطلب صنائع الحروب ، أن يسأل الله عزّ وجلّ الإخلاص لذلك ، والتلمذة لمن هو أعلى (٤٢) منه ، بهذه الصناعة الشّريفة ، ثمّ ليستنبط من فضل ربّه من الحِكَمِ الحربيَّة ما وُهب له .

قال الأشياخ لأصحابهم : «لاتكونوا وصّافين ، بل كونوا مَوْصُوفين» . (٤٣)

★ ★ ★

---

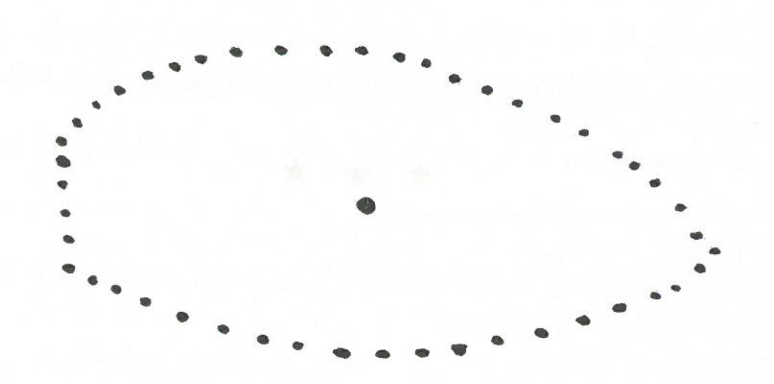
(٤٢) في الأصل : أعلا .

(٤٣) يريد : أن تكونوا رءوساً لا أذنابا ، يصفكم الناس ولاتصفونهم ، لأنكم في القمة مكانة ومزايا .

الفصل الثالث عشر

ذكر تعبية تسمّى : ذات الدّوائر (١)

وينبغي لأصحابها أن يكونوا على خيول خِفاف ، لاحتمال أن يكون عدوّهم عنده دُرْبَة بالجولان الهندسيّ ، فيفسدها . وهذه صورتها .



ولو بسط القول في إنشاء الدّوائر (٢) الحربيّة ، لطال الكلام ، وعسر على السّامِع المتكاسل فهمُ الكلام . وهذا الكتاب قُصد في تأليفه الاختصار . ولتعلم ، حفظك الله ، أنّه لكلّ تعبية إفساد ، كما أنّ لكلّ كلام جوابا (٣) ، ولكل مقام مَقالا (٤) .

(١) في الأصل : الدواير .
(٢) في الأصل : الدواير .
(٣) في الأصل : جواب ، وصوابه ماأثبت ، لأن جواباً اسم ان ، وهو منصوب .
(٤) في الأصل : مقال ، وصوابه ماأثبت ، لأن مقالاً اسم ان ، وهو منصوب .

الفصل الرابع عشر

تعبية تسمّى : حوض النّجاة

وهذا شكلها المنصور :

وينبغي لكلّ تعبية على الإطلاق ، أن يكون (١) أصحابنا عالمين بترتيبها أدْهام (٢) العدوّ ، والفائدة من هذه التعبية إذا واجه أصحابنا خيل العدوّ ، فتحوا الباب ، ونكسوا (٣) إلى داخل ، كما رأيت ، ليعتقد العدوّ أنّهم هزموا ، فإذا دخلوا وراءهم سدّوا الباب عليهم ، وضايقوهم بالسيوف وبالخناجر والدّبابيس .

(١) في الأصل : يكون .
(٢) ادهامه : ساءه وارغمه .
(٣) في الأصل : وتكسكوا .

الفصل الخامس عشر

شكل تعبية تسمى : المتماطرة[1]

وهذه صورتها :

إنْ قلّوا أو كثُروا . ومن شرط أصحاب هذه التعبية أن يتباعدوا عند تصافقهم ، لتخليص(٢) رماحهم ، ولتكون(٣) الشّجعان الكهول أماماً وخلفاً(٥) والشبّان في الوسط ، لئلا يحصل للشبّان وهَن (٦) أو ذهول ، فيتقهقروا ، فيحصل الخلل ، العياذ بالله من ذلك .

ومن كمال تعبيتهم أن يكون في المقدّمة رماة ذوو (٧) خبرة ، لاحتمال قِلّة النّكاية (٨) في العدوّ ، ثم يلي الرُّماةَ الرمّاحون (٩) وأصحاب السّيوف بعدهم ، ففي ذلك هندسة حربيّة .

---

(١) تماطر السحاب : مطر ساعة وكف اخرى . والمتماطرة : المطر تهطل تارة وتكف أخرى . ومعناها هنا : هى التعبية المرنة التى تيسر المرونة للمقاتلين ، حسب ظروف القتال وأحواله .

(٢) لتخليص : اعطاء الساحة الكافية لاستعمال الرماح بالنسبة الى طولها .

(٣) في الأصل : لتكن .
(٤) في الأصل : أمام .

(٥) في الأصل : خلف .
(٦) الوهن : الضعف وقلة الحيوية .

(٧) في الأصل : ذو بالمفرد .

(٨) النكاية : نكي العدو وفيه ـ نكاية : أوقع به ، وهزمه وغلبه .

(٩) الرماحون : المسلحون بالرماح .

الفصل السادس عشر

الكَمِيْن[1]

وأما هيئة أصحاب الكَمِيْن ، فيجب أن يكونوا على خيول صِحاح ، شاكّين (٢) في سلاحهم ، بِدَرَقِهِم (٣) وآلاتهم وطبولهم ، فإذا خرجوا من الكمين بالعلامة التي تواصّوا بها ، وضربوا بالطبول بغير صياح ، وهو عندي أحسن وأستر .

وينبغي لأصحـــاب الكمين ، إذا خرجوا ، أن يكونوا أربعةً أربعةً على هذه الصورة :

مع تخليص رماحهم ، وهو معنى قوله تعالى : (فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أو انفِروا جميعاً) (٤) ، وثُبات : أي جماعات ، وانفروا جميعا . وقد ذكرت ذلك في تأليفي : (المَنْهَل العَذب ، لورود أهل الحرب) ، ومَنْ رزقه الله فهماً في سرّ أشكال الحروف الرَّقميَّة ، رتّب التّعابي الهائلة (٥) ، وكان قصدي أن أضع أشكال الحروف كلّها في هذا المختصر ، مع ذكر التّعابي

---

(١) الكمين : القوم يكمنون في الحرب حيلة ، أي يتوارون عن الأنظار لمباغتة عدوهم في المكان والزمان . والكمين : خطة عسكريـة ، تتوخى ضرب العدو في وقت لايتوقعه ، أو في مكان لايتوقعه . وقد وضعنا العنوان ، لفصله عما سبقه من معلومات عسكرية ، لأنه يختلف عنها .

(٢) شاك السلاح : ما يلبس أو يحمل من السلاح ، مسلحون لاعزلا .

(٣) الدرق : (ج) : الدرقة ، وهو الترس من جلد ليس فيه خشب ولاعقب .

(٤) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٧١) .

(٥) في الأصل : الهايلة .

الحربيّة اللائقة (٦) لسرّ كلّ حرف ، فامتنعتُ من ذلك لأجل المنكرين : لا يعلمون فينكرون ، وهم معذورون ، وذلك لتدقيق ما فيه من العجائب (٧) ، ويحتاج ذلك لرجال خفاف ، منقادين (٨) لكل ما فيه قيل لهم أن يفعلوه ، وإن لم يمتثلوا لما يرشدون (٩) إليه ، فالكَسْرَة (١٠) عليهم .

★ ★ ★

(٦) في الأصل : اللايقة .
(٧) في الأصل : العجايب .
(٨) في الأصل : منقادون ، فأصبحت منقادين ، لأنها صفة .
(٩) في الأصل : وان لم يمتثلون لما يرشدوا اليه .
(١٠) الكسرة : الهزيمة الانحدار .

الفصل السابع عشر

طبائع(١) الجهات

وينبغي لزعيم الجيوش أن يعرف طبائع (٢) الجهات الأربع : المشرق ، والمغرب ، والشمال ، والجنوب .

فالمشرق ، حار رطب .

والمغرب ، بارد رطب .

والشمال ، بارد يابس .

والجنوب ، حار يابس .

ففي معرفة طبائع (٣) الجهات فوائد (٤) لا تُحصى ، وأمور قدّرها العزيز العليم . وأهل الهند ، لهم مجال في هذا الشأن دون غيرهم .

★ ★ ★

(١) وضعنا له هذا العنوان ، ولم يكن في الأصل ، لاختلاف مادة الموضوع السابق عن مادة هذا الموضوع ، فاقتضى الفصل بينهما ، لاعانة القارىء على تتبع هذه الدراسة بيسر ، وتفهمها بسهولة .
(٢) في الأصل : طبايع .
(٣) في الأصل : طبايع .
(٤) في الأصل : فوايد .

الفصل الثامن عشر (أ)

ذكر تعبية عجيبة

وسمات الألوان والحركات الكتابية

ذكر تعبية عجيبة مُستخرجة مُستلحقة من تصانيف الشّيخ أبى (٢) العبّاس البُوني (٣) ، وهو ستّة (٤) صفوف ، في كلّ صف مئة (٥) وأحد(٦) عشر رجلا (٧) ، أو فُرساناً ، جملة ذلك ست مئة (٨) وستّة (٩) وستّون .

(١) وضعنا هذا العنوان ، ولم يكن في الأصل ، لاختلاف هذه المادة عن سابقتها ، فلا يجوز دمجهما بل ينبغى فصلهما ، لسهولة الدراسة والتفهم .

(٢) في الأصل : ابو .

(٣) أبو العباس البوني : ... ـ ٦٢٢ هـ
... ـ ١٢٢٥م

هو أحمد بن علي بن يوسف ، أبو العباس البوني ، صاحب المصنفات في علم (الحروف) ، متصوف مغربي الأصل ، نسبته الى (بونة) ـ (بافريقية على الساحل) ، توفي بالقاهرة . له (شمس المعارف الكبرى ـ ط) ويسمي : (شمس المعارف ، ولطائف العوارف ، في علم الحروف والخواص) أربعة أجزاء . ورسالة في (شرح اسم الله الأعظم ـ ط) ، وثانية في : (فضل بسم الله الرحمن الرحيم ـ ط) ، وكتاب : (مواقف الغايات في أسرار الرياضات) . انظر كشف الظنون (١٠٦٢) ومعجم سركيس (٦٠٧/١) وهدية العارفين (٩٠/١) وجامع كرامة الأولياء (٣١٤/١) والأعلام للزركلي (١٦٩/١) والقاموس الاسلامى (٣٩٧/١) .

وبونة اليوم في الجزائر ، وتسمي : عنابة .

(٤) في الأصل : ست . (٥) في الأصل : مأية .

(٦) في الأصل : احدى .

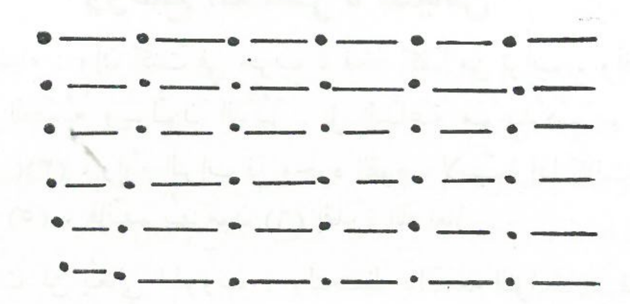
(٧) رجلاً : راجلاً ، مشاة .

(٨) في الأصل : مأية .

(٩) في الأصل : ست .

وهذه تعبية عجيبة ، يفهمها المختصوّن من عباد الله .

ذكر أشكال الصّفوف الستة :



ووضع هذا القدر من النقط للإشارة ، إذ لابد أن (١٠) يكون في كلّ صفّ من الستة مئة (١١) وأحد (١٢) عشر فارسا .



(١٠) في الأصل : لابد وأن تكون ، والصواب : لابد أن تكون (بحذف الواو) .

(١١) في الأصل : مأية .

(١٢) في الأصل : احدى .

الفصل الثامن عشر (ب)

ووضع الخضرة للتيامن[1]

قال العلماء : وإن كنتَ في حرب ، فخذ كفّاً من تراب ، وأقرأ عليه : (سَيُهْزَمُ الجَمْعُ ويُوَلُّونَ الدُّبُرَ . بل السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ، والسَّاعَةُ أدهى وأمَرّ)(٣) ، وارْمِ التراب في وجوه القوم ، لاسيّما إذا كانت(٤) الرّيح في صَوْبِك (٥) ، فإنّهم يُهزمون (٦) بقدرة الله تعالى .

وقد قلتُ لمن يُعاني الحروب : ولتحتفظ بالتّسعة الثوابت ، فمن علمها في الحروب ، ثابت . فالكاف والهاء وياء بعدها ، والعين والصاد طريق سادتي ، والحاء (٧) والميم وسين معهم ، وقافهم خاتمة المقالة ، فمن يُحصّن اسمه بربطها فهو الأمان من عيون الشّامت (٨) .

وقد ذكرتُ فيما تقدّم ، من وصف التعبية المسمّاة بذات الدوائر (٩) ، فإنّها بالرجّالة أولى ، لسرعة انضمام بعضهم لبعض .

---

(١) الصواب : تيمن : أى تبارك ، تبرك ضد تطير . أما التيامن كما جاء في الأصل ، فهو : ذهب ذات اليمين ، وليس هذا المقصود هنا .

(٣) الآيتان الكريمتان من سورة القمر (٥٤ : ٤٥ ــ ٤٦) .

(٤) في الأصل : كان .

(٥) صوبك : الصوب : الجهة ، ومنه اتجه صوبه .

(٦) في الأصل : يهزموا .

(٧) في الأصل : الخاء ، والصواب الحاء ، بدون نقطة ، لتكون مجموعة الحروف ، (كهيعص) التى هى مطلع سورة مريم ، (حمعسق) التى هى مطلع سورة الشورى ، دون ذكر حرف (العين) ، لذكره في حروف (كهيعص) .

(٨) كانوا يعتقدون بحساب أرقام الحروف ، وكان ذلك شائعاً ليس في المحيط العربي والاسلامي في حينه ، بل في جميع المعمورة شرقاً وغرباً ، وربما كان أهل الغرب ومنهم الصليبيون ، أكثر اعتقاداً بذلك من غيرهم ، كما تدل على ذلك مراجعهم التى كتبوها لأنفسهم .

(٩) في الأصل : الدواير .

وأما الخيّالة ، فيشق ذلك عليهم إذا جهلوا مثل ذلك ، وفائدتها (١٠) جليلة لمن تحقّقَها ، وهي (١١) إذا كانت التعبية ذات دائرة (١٢) ، فنتيجتها الإحاطة بالعدوّ ، ومتى (١٣) حصلت الإحاطة بالعدّو ، فيقع التأثير إنْ شاء الله (١٤) تعالى :

قال لي والدي رحمه الله : رأيت في بعض التّعابي ، وكان ليلاً ، وعِدّتهم مئة (١٥) وخمسون شخصاً ، فأحاط بالقوم مئة (١٦) فارس حلقةً ، ودخلت الرّجالة بالسّيوف والسّلاح ، فقتلوا جميع الرجال إلى آخرهم ، وأسروا النّساء والوِلدان ، وكان المقتولون من ألف مقاتل (١٧) ببلاد (أزبك) (١٨) من جنس (نيمان) (١٩) .

قال محمد بن منكلي : ومن خواص العَدَد القافي (٢٠) الذي هو مئة (٢١)، إذا كانوا مئة (٢٢) بعدوّ ، واستداروا عليهم سبع دورات ، قلّ أن يسلم منهم

---

(١٠) في الأصل : وفائدته .

(١١) في الأصل : وهو .

(١٢) في الأصل : دايرة .

(١٣) في الأصل : حصل .

(١٤) في الأصل : انشاء الله تعالى .

(١٥) في الأصل : مأية .

(١٦) في الأصل مأية .

(١٧) في الأصل : تياقل ، وأرى أنه تصحيف من الناقل ، والصواب : مقاتل .

(١٨) بلاد أزبك : هى بلاد (أوزبكستان) ، جمهورية أوزبكستان الاشتراكية السوفيتية ، احدى جمهويات الاتحاد السوفييتى ، عاصمتها طشقند ، وأهم مدنها بخارى وسمرقند . وتقع بين نهرى آمو ــ داريا (جيحون) وسيرا ــ داريا (سيحون) ، مساحتها ٤٤٩٦٠٠كم ، وعدد سكانها اليوم (١٢) مليون نسمة ، انظر في ربوع الاتحاد السوفييتى (٣٧٤) . وفي كتاب بلدان الخلافة الشرقية (٤٧٦) : بلاد الازبك : كانت تعادل اقليم الصغد واقليم الشاش مع النواحي التى تمتد في الشمال الغربي حتى مصب سيحون ببحر أرال .

(١٩) نيمان : صلد ، حد الجارحة ، اسم قوم في بلاد أزبك ، انظر المعجم التركى ــ طبعة اسطنبول .

(٢٠) القافى : نسبة الى حرف القاف .

(٢١) في الأصل : مأية .

(٢٢) في الأصل : مأية .

عدوّ البتّة (٢٣) ، ففيه (٢٤) أيضاً تفريج ، ولكن لا يجوز أن يكون غَشّي(٢٥) للمصفَّحات(٢٦) لما فيه من الأنس ، فيصير صاحبه مطمعة لما يغشاه من الأُنس. وما أحسن النظر للخُضْرَة ، خصوصاً الأشجار إذا كانت مثمرة . وأما أصحاب الضّبط للمصاحف الكريمة ، فإنّهم يستعملون علامة التّشديد بالأزرق ، ويضعون علامة الجزْم أيضاً بالأزرق هكذا :

(لآ)

والأئمة في هذا العلم ، لم يختاروا هذا اللّون سُدَى ، بل اختاروا الأسود للكتابة الأصليَّة ، والمدّ والفتح والكسر والضمّ ، والأصفار التي تُشعر بوضعها على الحرف أنّ ذلك الحرف زائد (٢٧) في القياس ، وأثبت ذلك الحرف لا تّباع الرَّسم . مثال ذلك : (مأْية) (٢٨) ، فالصّفر على الألف، وكذلك على ألف : (لأ اْذبحنه)(٢٩) في سورة النمل ، و (لأاْوْضَعُواْ)(٣٠) في سورة التوبة لأنهما زائدتان (٣١) في اللّفظ ، ثابتتان في الرَّسم العثماني(٣٢)

---

(٢٣) في الأصل : اليه ، وهو تصحيف . (٢٤) في الأصل : وفيه .
(٢٥) في الأصل : غشاه وغشّ الشىء : جعل عليه غطاء .
(٢٦) المصفحات : (ج) : مصفحة ، وهي المكسوة بصفائح .
(٢٧) في الأصل : زايد .
(٢٨) في المصحف مكتوبة : (مائة) ، انظر : (فأماته الله مائة عام) من سورة البقرة (٢ : ٢٥٩) ، وقد وردت مئة بهذه الطريقة الكتابية في ثمانى آيات كريمة ، انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (٦٥٨) .
(٢٩) في المصحف مكتوبة : (لأذبحنه) في الآية الكريمة : (أو لأذبحنه) من سورة النمل (٢٢ : ٢١) ، ووردت : لأذبحنه مرة واحدة بهذه الطريقة الكتابية ، انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (٢٦٩) .
(٣٠) في المصحف مكتوبة : (ولأوضعوا) في الآية الكريمة : (مازادوكم الا خبالا ، ولأوضعوا) من سورة التوبة (٩ : ٤٧) . ووردت : لأوضعوا بهذه الطريقة الكتابية مرة واحدة في القرآن الكريم ، انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (٧٥٣) .
(٣١) في الأصل : زائدتين .
(٣٢) العثمانى : نسبة الى عثمان بن عفان رضي الله عنه جامع القرآن .

رضى الله عنه . وكذلك : (لا تَقُولَنَّ لِشَاْيْ) (٣٣) في سورة الكهف .

وأما اللّون الأصفر ، فأئِمَّتِنَا يضعون الهمزات بالأصفر ، وسبب وضع الهمزات بالأصفر قديماً ، أهل الحجاز ، واستقرّ الأمر إلى الآن ببلاد المغرب على هذه الصورة ، وذلك أنّ أهل المغرب أعلم النّاس بعلم ضبط القرآن ، أعني فضلاءهم (٣٤) ، لا كلّهم .

قال المؤلِّف : ولا ينبغي عند العقلاء أن يُغَشَّى المُصَفَّح بالأبيض ، فيصير لابسه مطمعةً ، إلاّ في استمالة النفس إلى رؤية الأبيض . لاسيّما في فصل الصّيف أو الرَّبيع ، خصوصاً إذا كان مصقولاً . وقد اختير اللّون الأبيض المصقول في هذين الفصلين : الصَّيف والربيع ، لِما في النّظر إليه من إخماد الدّم لمن كان الأغلب على مزاجه الدمويّة أو السّوداء . وهذه نكتة قَلَّ مَنْ يُنَبِّهُ عليها ، وهي من الضروريات .

وقد يعترض مُعترض (٣٥) ذو علم بقول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : « من خير ثيابكم البياض ، فَلْيَلْبَسْهَا أحياؤكم (٣٦) ، وكفِّنوا فيها موتاكم »(٣٧) ، فوضعنا رؤوسنا بل كلياتنا لكلّ ماروِيَ عنه ، أو رُفع إليه ،

---

(٣٣) في المصحف مكتوبة : (ولا تقولن لشايء) في الآية الكريمة : (ولاتقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا) من سورة الكهف (١٨ : ٢٣) ، وقد وردت كلمة (شىء) في (٢٠٣) آيـة من آيات الذكر الحكيم . انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (٣٩٤ – ٣٩٧) .
(٣٤) في الأصل : فضلاؤهم .
(٣٥) في الأصل : متعرض .
(٣٦) في الأصل : أحياكم .
(٣٧) نص الحديث الشريف : « خير ثيابكم البياض ، فكفنوا فيها موتاكم ، وألبسوها أحياءكم » ، عن ابن عباس رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح ، رواه ابن ماجة ، والطبراني في الكبير ، والحاكم في المستدرك ، أنظر مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي (١٤/٢) ، وأخرجه أبو داوود ، والترمذي ، أنظر تيسير الوصول الى جامع الأصول من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (١٦١/٤) ، وانظر التفاصيل في : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي (٣١١/١) حول اخراج الحديث .

سواء كان حُكْمِيّاً ، او مُرَحِّباً ، أو مُرَغِّباً، وأنه صلّى الله عليه وسلّم [قال] : (٣٨) : « من أحسن (٣٩) ثيابكم البياض » .

قال سيّدي زين العابدين : (٤٠)

إني لأكتُمُ من علمي جواهِرَهُ   كيما يمرّ بذى جهل فيَفْتَتِنا

يا رُبَّ جَوْهَرِ عِلْمٍ لو أبوحُ به

لقيل لي : أنتَ مِمّن يَعْبُدُ الوثنـــا

ولا سْتَحَلَّ رجـالٌ مُسْلِمون دَمِي

يَرَوْنَ أَقْبَحَ ما يأْتُونَهُ حَسَنا (٤١)

---

(٣٨) قال : اضيفت ليستقيم المعنى .

(٣٩) في الأصل : حسن .

(٤٠) زين العابدين : ٣٨ ــ ٩٤ هـ
٦٥٨ ــ ٧١٢م

هو علي بن الحسين بن علي بن ابى طالب ، القرشي الهاشمي ، ابو الحسن ، الملقب بزين العابدين ، رابع الأئمة الاثني عشر عند الامامية ، وأحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع . يقال لـه : « علي الأصغر » للتمييز بينه وبين اخيه (علي) الأكبر ، مولده ووفاته بالمدينة . احصي بعد موته عدد من كان يقوتهم سراً ، فكانوا نحو مئة بيت . قال بعض أهل المدينة : مافقدنا صدقة السر الا بعد موت زين العابدين . وقال محمد بن اسحاق : كان ناس من اهل المدينة يعيشون ، لايدرون من أين معايشهم ومآكلهم ، فلما مات علي بن الحسين ، فقدوا ماكانوا يؤتون به ليلاً الى منازلهم . وليس للحسين « السبط » عقب الامنه ، انظر وفيات الاعيان (٣٢٠/١) وطبقات ابن سعد (١٥٦/٥) واليعقوبي (٤٥/٣) وصفة الصفوة (٥٢/٢) وذيل المذيل (٨٨) وحلية الاولياء (١٣٣/٣) وابن الوردي (١٨٠/١) ونزهة الجليس (١٥/٢) ، وانظر منهاج السنة (١١٣/٢ و ١١٤ و ١٢٣) والاعـلام (٨٦/٥) والقاموس الاسـلامي (١٦٤/٣) .

(٤١) تنسب هذه الابيات الى الامام زين العابدين علي بن الحسين رضي اللـه عنه ، انظر ايقاظ الهمم (١١٢/١) .

وقيل في جملة أبيات :

إذا نَطَقَ الجهولُ فلا تُجِبْهُ

فَخَيْرٌ من إجابَتِهِ السُّـــكوتُ

سكتُّ عــن الجهولِ ، فظنّ أنّي

عييتُ عن الجوابِ وما عَيِيتُ (٤٢)



---

(٤٢) للامام الشافعي رضي الله عنه ، انظر كتاب شعر الشافعي (٢٤٣) ــ تحقيق الدكتور مجاهد مصطفى بهجة ، وينسب لعمرو بن على ، انظر أدب الدينا والدين (٢٢٦) ، كمـا ينسب لابى دلف ، انظر الزهـرة (٢٠٤/٢) ، كما ينسب الى سالم بـن ميمون الخواص ، انظر روضة العقلاء للبستى .

الفصل الثامن عشر (ج)

نكتة

في ألوان الخيل وسماتها(١)

ومـّما يُختار من (٢) ألوان الخيل للحرب ، من ذلك الكُمَيْتُ (٣) ،

(١) في ألون الخيل وسماتها : ليست في الاصل ، وقد وضعناها لتناسب المادة الواردة تحتها ، لأن هذه المادة لا صله لها بالمادة التى سبقتها ، وحتى تكون معالم مواد الكتاب محدودة المعالم وغير متداخلة ، مما يؤدي الى الارتباك في حالة تداخلها .

(٢) في الاصل : في .

(٣) الكميت : (من الخيل للمذكر والمؤنث) ، ماكان لونه بين الأسود والأحمر ، وهو تصغير : اكمت ترخيماً . والكميت : ما كان أحمر اللون ، وشعر عرفه وذنبه أسود .
والكميت أنواع : كميت محرق او اكلف ، وهو الذى كلفت حمرته ، فلم تصف ، ويرى في أطراف شعره سواد مائل الى الاحتراق .
وكميت أحوى ، وهو الذى يعلو حمرته سواد ، مع وجود حمرة والاصفرار في المنخرين والخاصرتين . ومؤنث كميت أحوى ، هو كميت حواء .
وكميت احم (مؤنثه حماء) وهو الذى يعلو حمرته سواد أقل من الأحوى .
وكميت مدمي (مؤنثه مدماة) هو الذى ظهره أشد حمرة من سائر جسمه ، فكلما انحدر ، ازداد صفاء وصفرة .
وكميت أحمر (مؤنثه حمراء) ، وهو أشد حمرة من المدمي ، وخالص الكمتة .
وكميت أخرج (مؤنثه خرجاء) ، وهو الكميت الذي يختلط شعره بشعرات بيضاء .
وكميت مذهب (مؤنثه مذهبة) ، وهو الذي تعلوه حمرة وصفرة .
انظر كتاب المصطلحات البيطرية الفنية في فن الاشكال وتوابعها (١٧) .

ثم الأسود ، ثم الأشقر (٤) ، ثم الأيْكَر (٥) ، هذا بشرط أن يجتمع في الفرس الخصال المحمودة ، إذ لا يُعتبر اللّون فقط ، بل الأحسن أن يجتمع اللّوْن مع الخصال المطلوبة ، حتى لو كان الفرس أشهب (٦) ، وكان فيه الخصال المحمودة ، أُختِيْرَ .

(٤) الأشقر : (مؤنثه شقراء) ، وهو الذي ماكان جميع أشعار بدنه أحمر ، حتى عرفه وذنبه .
والأشقر أنواع : (اشقر محرق كلف مؤنثه كلفاء) ، وهو الذي يعلو شعره سواد مائل الى الاحتراق .
واشقر وردى ، (مؤنثه وردية) ، وهو الذى تعلوه الحمرة الى الشقرة الزعفرانية ، واصول شعره أسود ، لونه بين الكمتة والصفرة .
واشقر قرفي ، (مؤنثة قرفية) ، وهو الصافي الشقرة الخالص .
واشقر أمفر ، (مؤنثه مفراء) ، وهو الذى ليس بناصع الحمرة ، ولا تشوب شقرته صفرة ، شقرته تميل الى البياض .
واشقر مدمي ، (مؤنثه مدماة) ، وهو الذى تعلو شقرته حمرة ، واصول شعره كأنها مخضبة بالحناء .
واشقر مذهب (مؤنثه مذهبة) ، وهو الذى تعلو شقرته صفرة .
واشقر ابرش ، (مؤنثه برشاء) ، وهو الأشقر الذى يختلط شعره بشعرات بيضاء .
واشقر زعفرانى (مؤنثه زعفرانية) ، وهو الذى اشتدت شقرته وعلتها صفرة كلون الزعفران ، ويسمى أيضاً : الخلوفي .
انظر التفاصيل في كتاب : المصطلحات البيطرية الفنية في فن الأشكال وتوابعها (١٨ ــ ١٩) .

(٥) الأيكر : تصحيف الايرسا ، وفي المرجع للعلايلى (٣٣٣/١) ، أن الايرساء دخيل قديم من اللاتينية بمعنى : السوسن السمنجوني ، يزرع كثيراً في الحدائق ، ويسمى أيضاً : (الزنبق الأزرق) ، و (كف الصباغ) .
وذكر في (التاج) في مادة : (قارون) : عرق الأيكر ، ثم خففت ، وهي من الفارسية : أيكر ، واكر ، واكر ، وكلها من اليونانية : (Akharon) ، انظر المساعد (٩٧/٢) .
وهنا يشير الى لون الحصان ، فشكله بلون الزنبق الأزرق .

(٦) أشهب : (مؤنثه شهباء) ، وهو ماكان شعر بدنه ابيض او مختلطاً بشعرات سود ، مع سواد عرفه وذنبه .
والأشهب انواع : أشهب أحم ، أو حديدى ، وهو الذى يغلب سواده على بياضه ، (مؤنث أحم : حماء . وحديدى : حديدية) .

ولا أَحبُّ أن يُرْكب في حرب ولا في طِرادٍ ، أو لرمي (٧) قبق أو قبقج (٨) ، أو لضرب بصولجانٍ ، أو لعب رمح ، وغير ذلك ، فَرَس أَرْجَل (٩) أو مُشْكِل (١٠) مُخَالِف (١١) وغير مخالف ، أو أَرْجَل

وأشهب زرزورى ، وهو الذى يتعادل فيه البياض والسواد . مؤنث زرزورى : زرزورية) . وأشهب أضحى ، وهو الغالب بياضه على سواده .

وأشهب قرطاسي ، وهو الخالص من السواد ، (مؤنث قرطاسي : قرطاسية) .

وأشهب صنابى ، وهو الذى كانت الحمرة فيه غالبة على السواد ، (مؤنث صنابي : صنابية) .

وأشهب ماوردى ، اذا تعادلت فيه الحمرة والبياض ، أو اذا كان البياض غالبا . (مؤنث الماوردى : ماوردية) .

(٧) القبق : أو القباق ، كلمة تركية ، معناها في العربية الهدف الذى كان مستعملاً في لعبة الرماية المعروفة باسم القبق أيضاً . وكانت طريقة لعبة القبق ، أن ينصب صار طويل من خشب ، يكون في رأسه شكل قرعة من ذهب أو فضة بمثابة الهدف ، ويكون في القرعة طير حمام . ثم يأتى اللاعبون للمباراة في رمي الهدف بالنشاب أو السهام ، وهم على ظهور الخيل ، فمن أصاب منهم القرعة أو أطار الحمام ، حاز السبق ، وأخذ القرعة المعدنية نفسها مكافأة . وقد وصف المقريزى في المواعظ والاعتبار (١١١/٢) لعب القبق وصفاً يختلف قليلاً عن الوصف المتقدم ، انظر كتاب : السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزى (٥١٨/٢) ، وانظر الفروسية والمناصب الحربية ـ لنجم الدين حسن الرماح ـ تحقيق عيد ضيف العبادى (الفقرة ١١٥٩ ص ١٣٨) .

(٨) قبقج : قبجاق ، كلمة تركية ، هدف ، بشكل خطاف كلاب ، كان مستعملاً في لعبة الرماية ، يوضع على صار ، يكون الخطاف أو الكلاب في رأسه ، والكلاب من الذهب أو الفضة ، يستهدفه اللاعبون ، والذى يصيبه منهم يكون مكافأة له . واللاعبون من الخيالة ، يصوبون رماحهم أو سيوفهم على الهدف ، وينبغي أن يصيبوهم على ظهور خيولهم التى ينبغى أن تجري بهم حضراً .

(٩) أرجل : عظيم الرجل ، وهذا من عيوب الخيل .

(١٠) مشكل : شكل اللون : خالطه لون غيره ، وشكلت الخيل : خالط سوادها حمرة . والمشكل من الخيل : الذى يكون شكله أسود خالطته حمرة .

(١١) مخالف : غير متشابه الرجلين ، والعسر الذي كأنه يمشى على شق ، انظر معجم متن اللغة (٣٢٤/٢) . وهو عيب من عيوب الخيل .

كانت رجله بيضاء (١٢) أو رُجْلة (١٣) ، وسواء كانت يُمْنى أو شمالا (١٤) . وعندنا في ذلك خلاف ، والأولى أن يخرج من الخلاف . ويقبح بالرؤساء ركوب مثل هذه الخيول ، ولا يُعَوَّل على قول مَنْ يقول غير ذلك .

وسبب استحسان اللَّون الأشقر أو الأدهم (١٥) وما في معناهما ، كون الفَرس إذا جُرح وسال دمه ، لا يفحش (١٦) رؤية ظهور الدّم للعدوّ ، وربما يطمع العدوّ إذا رأى تفاحش الدمّ في عدوّه أو فرسه .

قال محمد بن منكلي ، جبره الله بعفوه : من علامة الشّجاع إذا رأى في بدنه أو في بَدَنِ فَرسه آثار الدمّ بسبب جراحة ، ازدادت همّته وثار ثائر حميّته . إمّا الإيمانية او الطبيعيّة ، والجبان ضدّ ذلك .

---

(١٣) في الأصل : بيضا .

(١٣) رجلة : بياض في احدى رجلى الدابة ، انظر معجم متن اللغة (٥٥٧/٢) .

(١٤) في الأصل : شمال .

(١٥) الأدهم : (مؤنثه هى الدهماء) ، يقال فرس دهماء ، وحصان أدهم ، والأدهم : ماكان شعر بدنه كله أسود ، مع عرفه وذنبه .

والأدهم على أنواع : الأدهم الحالك : وهو شديد السواد والصفاء ، (ومؤنث حالك : حالكة) .

وأدهم أحوى : ماعلا سواده حمرة في الخطم والخواصر وسائر النواحي التى جلدها رقيق ، (مؤنث أحوى : حواء) .

وأدهم أحم : ماشابه الأحوى ، الا أنه أقل حمرة . (ومؤنث أصدى : صدية) .

وأدهم أخضر : ماخالط سواده غبرة ، (ومؤنث أخضر : خضراء) .

وأدهم أبرش : ماخالط دهمته شعرات بيضاء ، (ومؤنث أبرش : برشاء) .

انظر كتاب : المصطلحات البيطرية الفنية في فن الأشكال وتوابعها (١٩) .

(١٦) يفحش : يشتد أمره ، ويجاوز حده ، ويريد أن الدم النازف ، مهما يكن غزيراً ، لايظهر بوضوح ، في الخيول الشقر والدهم ، لأن لون الحصان الأشقر ، يشابه لون الدم ، فيخفى نزيفه عن العيون ، ولا يكشفه . وكذلك الأدهم ، الذى يخفى نزيف الدم أيضا ، وهكذا يستفيد المقاتل من مزايا ألون الخيول في الاختفاء والتستر ، خلافاً للخيول الشهباء ، التى يبرز شعر بدنها الأبيض نزيف الدم ، ويجعل له وهجاً وبريقا .

وقد ذكرتُ في تأليفي المسمّى : (المنهل العذب لورود أهل الحرب) ، أنّه يتعيّنُ على المجاهدين أن يستصحبوا (١٧) قوسين (١٨) وقت الرّمي على العدوّ : إحداهما (١٩) قويّة (٢٠) ، والأخرى أوطأ (٢١) ، فإذا وهب فضل الله تعالى قوّة في حرب ، تناول القوس القويّة ، لأنّه إذا رمى على القوس الوطيئة ، في هذه الحالة لا ينفذ سهمه ويصير مطمعة لعدوّه ، فالحذر من ذلك . والقوس القوية تكون قدر قوّة الرامي بحيث إن يَرْمِ (٢٢) عليها سهاماً كثيرة ، لا يتعب ، ولا تندمل أصابعه (٢٣) .

وقد وضعتُ هذه الرّسالة لرجلٍ قد وفقه الله تعالى للأدب مع الحق ، ذي (٢٤) بصيرة وحسن نيّة وصدق سريرة ، ولم أرَ (٢٥) — والله — مثل إصغائه للعلم في أبناء جنسه ، فالله تعالى أن يُسدّد أقواله وأفعاله ، ويمتّع به المسلمين (٢٦) ... آمين ، فالحمد لله على ذلك .

---

(١٧) في الأصل : يستصحب . (١٨) في الأصل : قوسان .

(١٩) في الأصل : أحدهما .

(٢٠) القوس القوية : القوس المعروفة بصلابتها وشدة جفافها ، يأخذونها من شجر النبع أو الشوحط . وأجودها ماكثر فوقها وقل خشبها ، وصح لحامها ، واشتد جفافها ، وقوي حبلها . انظر آثار الأول المطبوع على حاشية تاريخ الخلفاء للسيوطى (١٨٣) .

(٢١) في الأصل : أوطي . (٢٢) في الأصل : ان يرمي .

(٢٣) ويكون ذلك بالتدريب المستمر الدائب على الرمي بالقوس ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحث المسلمين على تعلم الرمي واستمرار التمرين عليه ، انظر كتاب : الفروسية (١٠ و ١٥ و ١٦) .

(٢٤) في الأصل : ذو .

(٢٥) في الأصل : لم أرا .

(٢٦) لم يذكر اسمه ، ولكن ذكر بعض أوصافه ، وهى تنطبق على الملك الأشرف شعبان (ويعرف بالأشرف الثاني تمييزاً له عن عمه الأشرف كجك) ، وهو الثانى من أحفاد الملك الناصر ، ممن تولوا السلطنة ، والثانى والعشرون من سلاطين المماليك البحرية ، وهو الأشرف زين الدين أبو المعالي شعبان بن حسين بن الناصر ، وأمه خوند بركة . ولد عام ٧٥٤هـ (١٣٥٣م) ، تولى بعد خلع ابن عمه المنصور محمد بن المظفر حاجى عام =

قال محمد بن منكلي : وقد ذكرنا نُكتاً [في] (٢٧) التّعابي الحربية ، فلنذكر مختصراً فيما ينبغي أن يختصّ بحصار الحصون ، والتدبير في ذلك ، مِمّا هو مُستحسن إن شاء (٢٨) الله .

= ٧٩٤هـ (١٣٦٣م) ، وله من العمر عشر سنوات ، وكان النفوذ للاتابك يلبغا الذى خرج بعد ذلك على صاحب الترجمة ، الا أنه تمكن منه وقتل عام ٧٦٨هـ .

من أحداث السلطان شعبان ، الفارة الصليبية على الاسكندرية عام ٧٦٧هـ (١٣٧٥م) ، وهى التى شارك فيها القبارصة ، وبعد أربعة أيام من النهب والسلب ، انسحب الغزاة قبل وصول السلطان الذى عمل على اصلاح الأسوار في الاسكندرية ، وبدأ في بناء اسطول جديد جمعت له الأخشاب من أنحاء الشام ، حتى تم له في نحو عام استكمال (١٠٠) سفينة حربية بين أغربة وطرائد ، وفي العام التالي قام الصليبيون بغارة ثانية على ميناء طرابلس .

قضى السلطان على ثورة الجاى اليوسفي (زوج أمه) ، وهكذا انتظمت له شئون الدولة ، غير أنه عندما خرج يريد الحج وهو مريض ، تآمر عليه بعض مماليكه عند العقبة ، وانتهى الأمر بمقتله عند عودته هارباً الى القلعة ، ودفن سراً ، « خوفاً من العامة ، لمحبة الرعية للأشرف » ، وذلك عام ٧٧٩هـ (١٣٧٧م) .

جاء في وصفه : « كان من أجل الملوك سماحة وشهامة وتجملاً وسؤددا » ، قال عنه العيني ـ المؤرخ : « كان ملكاً جليلاً لم يرمثله في الحلم ، كان هيناً ليناً محباً لأهل الخير والعلماء والفقهاء ، مقتدياً بالأمور الشرعية ، وقيل : انه لم يل الملك في الدولة التركية أحلم منه ولا أحسن خلقاً وخلقا » . انظر النجوم الزاهرة (٢٤/١١ ـ ١٤٧) والقاموس الاسلامى (١٠٦/٤ ـ ١٠٧) .

والمؤلف الفاضل عاش في عهد هذا الملك ، وتولى نقابة الجيش في أيامه ، وألف هذا الكتاب في سني حكمه ، فمن المتوقع أن يريده بما ذكره في نص كتابه تلميحاً لاتصريحا ، ولا أعلم لماذا آثر التلميح على التصريح .

(٢٧) زيدت ليستقيم المعنى .

(٢٨) في الأصل : انشاء الله .

الفصل التاسع عشر

حِصار الحصون(١) والمعاقل

قال أهل التجربة من الفضلاء : إنّ الحصون ليست هي القلاع الشّامخة، المبنيّ عليها الأسوار فقط . هي القلاع والمطامير (٢) والجبال والغياض (٣) والمدن والخنادق والوحول والنِّجاد (٥) ، كلّ هذه وما أشبهها حصون ومعاقل (٦) .

وقد يجتمع للحصن الواحد من كلّ هذه الأصناف عدّة أصناف ، لكلّ صنف منها ضروب من العمل والتدبير مختلفة الأحوال ، ووجه محاربة أهله ، كالقلاع والمدن ، فإنّ فيها ما يحتاج فيه إلى المُطاولة (٧) والمُصابرة ، واتخاذ الحصون وبنيانها حوله السنين الكثيرة .

ومنها ما يحتاج فيه إلى المعاجلة (٨) والمناجزة (٩) ، ويُكتفى فيه بأدنى حيلة وبالأيام اليسيرة .

---

(١) العنوان ليس في الأصل ، ولكننا اقتبسناه من صلب الفقرة الأخيرة في الفصل السابق ، ووضعناه عنواناً لهذا الفصل ، لاختلاف مادة الفصلين عن بعضها ، فاقتضى فصلها بهذا العنوان الجديد .

(٢) المطامير : جمع مطمورة ، وهى مكان تحت الأرض ، وهى موضع محصن تحت الأرض .

(٣) الغياض : في الأصل : غياظ ، وهو خطأ من الناسخ ، وهو جمع غيضة ، وهي الأجمة ، الموضع الذى يكثر فيه الشجر ويلتف .

(٤) الوحول : (ج) وحل ، وهو الطين الرقيق ترتطم فيه الناس والدواب .

(٥) النجاد : (ج) : نجد ، ماارتفع من الارض وصلب .

(٦) المعاقل : (ج) : معقل ، وهو الملجأ والحصن .

(٧) المطاولة : المكث والتمادي في الأمر ، أي بقاء الحصار لمدة طويلة .

(٨) المعاجلة : السرعة في الانجاز ، أو بقاء الحصار لمدة قصيرة .

(٩) المناجزة : عاجله وأسرع به . يقال : ناجزه الحرب ونحوها : نازله وقاتله .

وبين هذين القَدَرَيْن(١٠) ضروب مختلفة الأقدار والأحوال ، يُحتاج في كلّ شيءٍ من ذلك إلى ضروب من الآلات والأدوات والتدبير والمحاربة .

والقول الخاص في هذا (١١) الباب ، هو على القلاع والمدن وما أشبه ذلك .

والقول العام فيه ، لجميع الحصون والمعاقل .

قال المؤلّف : ينبغي للمقاتلة إذا حاصروا قلعةً أن لا يُظهروا قوّةً ولا معرفةً بالقتال عند ابتداء الحصار ، بل يُظهرون كلّ يومٍ شيئاً مستغربا .

مثال ذلك : إذا كانوا أربعة آلاف مقاتل ، ففي أوّل يوم يُحاصِر (١٢) ألف [منهم](١٣) ، وفي اليوم (١٤) الثاني ألف غير الأول (١٥) ، هكذا بالنَّوْبَة (١٦) ، لتستريح (١٧) أبدانهم .

ويكون نزولهم عن الحصن (١٨) نحو ميلين ، ليستريح العسكر من سماع كثرة الصُّراخ والعياط (١٩) ودقّ الدُّرَق (٢٠) . فإذا كانوا قريباً لم يَجد العسكر راحةً من ذلك ليلاً ولا نهاراً . وليكن مقدّمو (٢١) كلّ طائفة عالمين بصناعة الجنديّة والأمور الحربيّة ، وإن يكن المقدّم بهذه المثابة ، فكيف يُفلح مَنْ دونه ؟ !

---

(١٠) يريد القدرين اللذين ذكرهما من قبل مباشرة : قدر المطاولة ، وقدر المعاجلة .

(١١) في الأصل : هذه .

(١٢) في الأصل : تحاصر .

(١٣) منهم : لم تكن في الاصل ، وقد وضعت ليستقيم المعنى .

(١٤) في الأصل : يوم .

(١٥) في الأصل : الاولي .

(١٦) النوبة : اسم من المناوبة ، يقال : جاءت نوبته .

(١٧) في الأصل : ليستريح .

(١٨) يريد : يكون نزولهم بعيداً عن الحصن .

(١٩) العياط : الصياح .

(٢٠) الدرق : (ج) درقة ، وهو الترس من جلد ليس فيه خشب ولاعقب .

(٢١) في الأصل : مقدمي . والمقدمون : (ج) : مقدم . والمقدم من كل شيء أوله ، وهو رتبة من رتب الجيش حالياً ، فوق الرائد ، وتحت العقيد .

ومن هنا وقع الخلل في العساكر ، قديماً وحديثاً ، فلا قوّة إلاّ بالله .

وفي المثل الشّائع (٢٢) بين النّاس : إذا كان هِمّة المُقَدّم كالأسد ، فتكون رفقته كالأسد ، ولو كانوا ثعالب . وإذا كان المقدّم هِمّته كهِمّة ثعلب ، ورفقاؤه أُسوداً (٢٣) ، فيصيرون كهِمّته ثعالِب (٢٤) . وهذا المثل اتّفقت (٢٥) عليه سائر (٢٦) الملل .

وإذا تحقّقنا أنّ العدوّ لا يدرون صناعة القتال ، فليزحف جميع المقاتِلة بقوّة وهدوءٍ ، ولا يتقدّمون إلاّ عند التماسِ الفرصة ، لئلا يُصابوا (٢٧) .

قال عمر بن الخطّاب ، رضي الله عنه : « ما يسرّني أن يفتحوا مدينة فيها أربعة آلاف مقاتل ، بتضييع رجل مسلم » (٢٨) .

قال المؤلّف : ثُمّ يبطلون الحصار في أثناء القتال ، ويرجعون إلى الخيام ، باستراحةٍ وإصلاح عُدّة ، ومداراة جريح ، وحطّ عن القِسِيّ ، مع الأمن . (٢٩)

ويلزم زعيم جيشنا أن يُعْلِمَ أصحابه حين القتال بالبطالة (٣٠) لا بعد البطالة ، لئلا يُقاتلوا (٣١) بوهنٍ واسترخاء ، وكذلك إذا رجعنا بعد القتال إلى المُحاصرة ، وليُعلِمْ زعيم الجيش العسكر وهم راجعون : أن نحن ما رجعنا إلاّ لنعُود (٣٢) ، فلا تكسلوا حين العَوْدِ .

---

(٢٢) في الأصل : الشايع .　　(٢٣) في الأصل : أسد .
(٢٤) في الأصل : الثعالب .　　(٢٥) في الأصل : أنفق .
(٢٦) في الأصل :ساير .　　(٢٧) في الأصل : يصابون .
(٢٨) لم أعثر على قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بهذا النص ، في المصادر والمراجع المتيسرة بين يدى ، ولكن معني هذا القول ينطبق نصاً وروحاً على ماكان يوصي به قادته بلستمرار : ألا يغرروا بالمسلمين .
(٢٩) تلك هى مجمل فوائد اراحة الجندى قليلاً في ساحة القتال : الاستراحة ، واصلاح الأسلحة وادامتها ، ومداواة الجرحى ، وادامة القسى واستكمال عددها ، والشعور بالأمن والاطمئنان بعد الخوف والتربص .
(٣٠) البطالة : يريد هنا الاستراحة .
(٣١) في الأصل : يقاتلون .
(٣٢) يريد : لنعود ثانية الى ممارسة الحصار من جديد .

قال واضع هذا الكتاب : ينبغي أن يرحل عن العدوّ ، بشرط حفظ الطرُق (٣٣) ، لئلا يخرج من الحصن أحدٌ ممّن يطلب مِيرَةً (٣٤) أو مَدَداً (٣٥) . وربما جعلنا كَمِيْناً لمن يظْهَرُ من الحصن حين رحيلنا ، فيحمل مَنْ يخرج منهم لكشفِ (٣٦) عسكرنا ، فَيُؤخذ منهم إنْ شاء (٣٧) الله تعالى .

وفائدة رحيلنا عنهم ، أمور :

منها : أَنّا اذا رحلنا عن الحصن ، يعتقدون أنْ [نحن] (٣٨) رحلنا [عنهم] (٣٩) كليّاً ، فيخمد اهتمامهم . فإذا عدنا بعد يومين ، وأتيناهم(٤٠) بَغْتَةً ، وإن كان ليلاً ، كان أولى ، ونكون (٤١) هيّأنا ما نرميهم به ليلاً ، كالسّهام الناريّة (٤٢) ، والمدافع المهوّلة (٤٣) ، والمجانيق (٤٤) ،

---

(٣٣) حفظ الطرق : حمايتها ومراقبتها مراقبة دقيقة ، لئلا يتسرب العدو منها الى رجالنا ، أو يستخدمها العدو لاستطلاع قواتنا ، أو لتسرب المدد الى العدو منها ، أو استغلالها لجلب الميرة وغيرها من القضايا الادارية التى يفتقر اليها المحاصرون .
(٣٤) الميرة : الطعام يجمع للمقاتلين ، أرزاق المقاتلين .
(٣٥) المدد : مايمد به الشىء ، يقال : مددته بمدد : قويته وأعنته به . ومدد الجيش : يقال ضم اليه ألف رجل مددا .
(٣٦) الكشف : الاستطلاع .　　(٣٧) في الأصل : انشاء الله تعالى .
(٣٨) أن نحن : يريد أننا .
(٣٩) عنهم : ليست في الاصل ، وأضيفت من المحقق ليستقيم المعنى .
(٤٠) وأتيناهم : في الأصل نأتيهم .　　(٤١) في الأصل : ويكون .
(٤٢) السهام النارية : قناة ملفوفة بقماش ذات أهداف ، لتلت بالنفط وترمى على الأعداء ومايشبه ذلك ، وترمى عادة بالمنجنيق .
(٤٣) المدافع : أنابيب ترسل بها المقذوفات كما ترسل بالمنجنيق ، لكنها في المجانيق ترسل بحركات آلية كالمقاليع والأوتار ونحوها ، وأما بالمدافع فهى تقذف بالبارود ، وكان العرب أول من اخترع البارود واستعملوه من سنة(٦٧٢هـ = ١٢٨٣م) . انظر التمدن الاسلامى (١/١٨٢ ــ ١٨٤) . والمدافع المهولة : المخيفة .
(٤٤) المجانيق : (ج) : منجنيق ، وهو آلــة قديمة من آلات الحصار ، كانت ترمي بها حجارة ثقيلة على الاسوار فتهدمها .

ويكون ذلك آخر اللّيل ، حين أمنهم (٤٥) .

قال محمد بن منكلي : وإن رأى صاحب الجيش مصلحةً في استنداب فارس أو أكثر ، بحسب مايراه ، يُرسلهم ليلاً إلى جهةٍ ، ومعهم طبولٌ وأعلام ، بحيث لايشعر بهم العدوّ ، ويأمرهم إذا طلعت (٤٦) الشمس ، يكونون قد وافوا العسكر وقت الحصار ، فيوهمهم (٤٧) أنّهم مَدَد إلينا ، ففي ذلك وَهَن لهم وهَوان (٤٨) ، وهذه من الخُدَع الحربية إذا سُتِرت (٤٩) . ولا يجوز عند العقلاء الملوك حين الحصار ، أن يكون أحدٌ من جِنْس المحاصَرين ممّن أسلم عندنا منهم ، ولو استوطن في بلادنا ، وتناول إقطاعات ملوكنا ، ولو طالت مُدّته ، لئلا يبطن أمراً يحمله على ذلك حَنَان (٥٠) طبيعي (٥١) . وهذه النّزغة (٥٢) كامنة في كلّ مِلّة ، فلا يُغالط فيها .

وقد اتفق للملوك قديماً مثل ذلك .

وقد جرّبتُ ذلك من نفسي في أوقات ، وفي الجملة ، لايُرْكن للنفوس ، ومَنْ ركن للطّبع سقط في مَهْواة لاغاية لها .

نسأل الله العَفْوَ والعافية .

---

(٤٥) يريد : حين يكونون آمنين ، لايتوقعون الأذى من عدوهم .
(٤٦) في الأصل : طلعة . (٤٧) في الأصل : فوهمهم .
(٤٨) وهن وهوان : يريد أن ايهامهم بوصول المدد الينا ، يفت من عضدهم ، ويؤثر في معنوياتهم ، ويؤدي الى انهيارها . والجيش الذى تنهار معنوياته ، لايمكن أن ينتصر أبداً . وقد كان نابليون يقول : الجيش ـ كل جيش ـ مؤلف من ٢٥٪ مادياً ، ومن ٧٥٪ معنوياً . وبعد اختراع الاسلحة المتطورة ، كالاسلحة الذروية مثلاً ، أصبح الجيش ـ كما يقول الخبير العسكري المشهور ـ فولر ، ٥٠٪ مادياً ، و ٥٠٪ معنوياً ، أى لاتزال للمعنويات أهمية عظمى في الجيوش ، لايمكن أن تنتصر بدون معنويات عالية .
(٤٩) سترت : أخفيت عن نظر العدو ، ولم تنكشف له .
(٥٠) في الأصل : حناناً . (٥١) في الأصل : طبيعياً .
(٥٢) النزغة : الطعنة والنخسة ، ويقصد بها الخصلة المتأصلة في نفوس الناس .

حكاية في المعني :

اتّفق أنّ الملك الناصر محمد قلاوون (٥٣) ، تغمده الله وسلاطين المسلمين بالرحمة ، حين سفره إلى الشّام ، وكان قد حصل بين أحد عُرْبَان (٥٤) الشّام وأحد عُربان مصر (٥٥) مُنافسة ، ثمّ اصطلحا ولعبا بالرِّماح . فلما تلاعبا ، أَسْقَطَ المصريُّ الشّاميَّ عن فرسه ، فبطح السلطانُ المصريَّ (٥٦) وضُرب عُصيّات ، وشُفِعَ فيه .

وقصد السلطان بذلك ، إخماد شرّ ، وحسم مادة جميلات (٥٧) سياسته العقليّة . ثمّ قال مُسْتَسِرّاً لبعض الأمراء : « لما تلاعب هؤلاء بالرِّماح وَدِدْتُ أنّ المصريَّ يغلب الشّامِيَّ ، واختَشَيْتُ (٥٨) أن الشّاميَّ يغلب

---

(٥٣) قلاوون : (٦٢٠ ـ ٦٨٩هـ = ١٢٢٣ ـ ١٢٩٠م) .
قلاوون الالفي العلائي الصالحي النجمي ، أبو المعالي ، سيف الدين ، السلطان الملك المنصور : أول ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام ، والسابع من ملوك الترك وأولادهم بمصر . كان من المماليك أعتقه الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧هـ ، فأخلص الخدمة للظاهر بيبرس ، وقام بأمور الدولة في أيام العادل سلامش ، فكان يخطب له وللعادل على منابر مصر وضربت السكة باسميهما ، ثم خلع العادل وتولى السلطنة منفرداً سنة ٦٧٨هـ . وأغار التتار على بلاده ، فقاتلهم وظفر بهم . وكان من أجل ملوك المماليك قدراً ، ومن اكثرهم آثاراً ، شجاعاً ، كثير الفتوحات ، أبطل بعض المظالم ، انظر الاعلام (٢٠٦/٥) .
(٥٤) العربان : العرب ، انظر المنجد(٤٩٥) . ويريد المؤلف بها هنا : الاعراب . ولا وجود لكلمة العربان في القاموس المحيط للفيروز آبادى . والاعراب : سكان البادية خاصة ، لا واحد له ، وقيل واحده : أعرابي ، انظر معجم محيط المحيط (٥٨٦) .
(٥٥) في الأصل : المصر . (٥٦) في الأصل : للمصري .
(٥٧) في الأصل : جمليات .
(٥٨) هذه لغة المؤلف ، والمسموع : خشيه وتخشّاه ، اى خافه . ويقال في التعدية : تخشاه ، أى خافه وخشّاه : خوفه . وخاشاه فخشيته : كنت أشد منه خشية .
واختشيت : عامية ، تستعمل في اللغة العامية الدارجة .

المصري » ! هذا والبلاد بلاده ، وأهلها رعاياه ، فانظر ياسيدي من الحقائق وتأمّلها !

قال محمد بن منكلي ، أمدّه الله بفضله :

تحقّقت أنّ هذا المعنى سارٍ في أسماء الأشخاص ، بحروف خواصّ الأسماء ، ليست (٥٩) هذه الرسالة محلاً لذكر ذلك . وقد ذكرتُ نبذاً من ذلك في تأليف : (الكشف والبيان) ، فليُنظر هناك ، ولنرجع إلى ذكر المنافع السياسية الحربية .

قال محمد بن منكلي :

وإذا فتح المسلمون حِصْناً ، ووجدوا فيه مأكولاً أو مشروبا ، فلا يبادرون بالتناول منه ، فرُبّما يكون مسموماً مُدّخراً لمثل ذلك ، ولا ينهبون ما وجدوا من الغنيمة إلاّ عند تحققهم مُلكَ الحِصن ، وليس النّهب قبل التحقّق بالغَلَبة من شِيَم الرِّجال الكُمَّل عندنا ، فإنّ الرّجل الشّجاع الكامل عند القوم ، مَنْ شَرُفَت نفسه ، مُتَنَزِّها عن التكالب على (٦٠) حُطام الدنيا ، خصوصاً في مثل هذه المواطن إلاّ —اللّهمّ— إن تحقّق الغلب للمسلمين ، فله أن يأتي بجميع ما أخذه من الغنيمة للقاسم الغنيمة بين المسلمين ، ولم يجعل نفسه هدفاً للعذاب الأليم في النار بغُلوله (٦١) . ولو استنبط كلّ ما (٦٢) في : (الحيل الحربية والتعابي الملوكية) (٦٣) لم يكن هذا الكتاب من المختصرات ، بل هذا كفاية لأهل الدراية . وأذكر طَرفاً في المرافقة عن الحصون ، لأنّ معرفة مثل ذلك من كمال صِناعة الجنديّة .

---

(٥٩) في الأصل : ليس .
(٦٠) في الأصل : في .
(٦١) غلول : غل فلان غلولاً : خان في المغنم وغيره . وفي التنزيل العزيز : (ومن يغلل يأت بماغل يوم القيامة) .
(٦٢) في الأصل : كلما .
(٦٣) اسم كتاب من كتب المؤلف محمد بن منكلي ، انظر مقدمة هذا الكتاب للمحقق .

قال أهل التجربة :

أوّل ما يُحتاج إليه أن يكون صاحب الحِصن في حال الأمن ، وقبل أن يفَجأَه العدوّ ، قد حَصّنَ حِصنه ، وأحكم (٦٤) مواضع القتال للمقاتلة والمدافعَة عنه ، ورَمّ كلّ ما (٦٥) يحتاج أن يرمّه منه ، وشحنه بكلّ آلة وعُدَّة تُعين على طول الحصار ، وتنكي (٦٦) العَدُوّ عند المناهضة ، وأن لايخليه في حالٍ من الأحوال من المُقاتِلَة الذين لاصنعة لهم غيره .

قال محمد بن منكلي :

ولايكون(٦٧) هؤلاء المقاتِلة ممّن تربّى مُسْرِفاً بالتَّنْعِيْم وأكل الطيبات مسرفاً (٦٨) في الملذوذات (٦٩) ، وصقل السروال ، وصقل لَفَّافة (٧٠) الخُفّ ، وصقل القميص مطرّزاً ، ولبس الحرير ، والتوسّد بالوسائد النّاعمة والفرش الوطيئة (٧١) ، والطُرُز المذهّبة ، التي لاتليق إلاّ بالنِّسوان (٧٢) ، فما يستحي فاعله من الله تعالى ، اللهمّ تُبْ علينا وعليهم .

فياسيّدي ! مَنْ كانت هذه معيشته ، كيف يختار الموتَ ، أو يحبّ القتال مع المصابرة ، وشظف العيش ؟ ؟! فأحوال المصابرين على المحاصَرة

---

(٦٤) أحكم : حصن في المصطلحات العسكرية الحديثة ، والعلمية هي : التحصين .
(٦٥) في الأصل : كلما .
(٦٦) وتنكى بالعدو : نكى بالعدو فيه نكاية : أوقع به ، وهزمه وغلبه .
(٦٧) في الأصل : يكونون .
(٦٨) مسرفاً : مجاوزة الحد في النعيم . البذخ ، الترف .
(٦٩) الملذودات : الملذات .
(٧٠) لفافة : يطلق عليها اللفاف حالياً ، يغطي ما تحت الركبة حتى رأس خف المقاتل ، لشد رجله .
(٧١) الوطيئة : المنخفضة ، يريد الوثيرة اللينة .
(٧٢) النسوان : في الأصل على النسوان ، والنسوان : النساء ، والنسوان فصيحة وليست عامية كما يظن البعض .

غير ذلك ، قال تعالى : (يا أيّها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا) (٧٣) .

قال أهل التبصرة في الحروب :

رأس سلاح المحصور ، أوّل ما يبدأ به ، أن يُحصِّنَ أصحابه ، ويصف لهم عواقب الصّبر ، ويحذّرهم العار ، ويعدهم بما فيه الظفر ، وما أشبه ذلك من كلّ ما يُسكّن به نفوسهم ، ويعرف منتهى(٧٤) سلاح عدوّه ، وقدر نِكايته (٧٥) ، ليكون عمله على حسَب ذلك . ويستعمل من الآلات ما فيه الإفساد والدّفع والإبطال لآلات عدوه .

ولا يرمي من السّلاح ، ولا يعمل إلاّ ما يليق بنكايته في عدوّه ، ولا يناهض إلاّ عند الضرورة إلى الدّفع عن نفسه ، ولا يقاتل ما وجد إلى الحِيلة سبيلا (٧٦) .

قال محمد بن منكلي :

وهذه حيلة وقعت للداعي ، يجب حفظها للأجناد وغيرهم ، وإن حاصر العدوّ للمسلمين ، والعياذ بالله ، فينبغي لصاحب الحِصن أن يرسل رسولاً من ثِقاته شجيعاً لَسِنا (٧٧) ، ولا يكون من جنس المرسَل إليه ، وليقطع المظنّات كلّها بأن يقول لمن يحاصره : « أنْ نحن قد طال بنا الأمر ،

(٧٣) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ٢٠٠) .

(٧٤) منتهى سلاح عدوه : يريد أن يعرف صاحب الحصن تفاصيل تسليح عدوه : عدد السلاح ، نوعها ، خواصها ، تأثيرها ، اساليب احباط تأثيرها فنيا .

(٧٥) نكى العدو ، وفيه : نكاية : أوقع به ، وهزمه ، وغلبه . ولكنه هنا يريد : براعة العدو في القتال ، وأساليبه القتالية .

(٧٦) الحيلة : الحذق وجودة النظر والقدرة على دقة الصرف في الأمور . وهي وسيلة بارعة للوصول الى المقصود ، وهي الخديعة .

(٧٧) شجيعاً لسناً : في الاصل شجيع لسن ، والشجيع : الشجاع . واللسن : الذى يحسن الكلام ، المنطيق .

وكَلَلْنا (٧٨) ، فامهلونا كذا كذا يو م (٧٩) ، لنسلم لكم الحِصن » ، واشْتَرِطْ عليهم شُروطاً ، ليعلموا أنّكم قد مِلْتُمْ للتّسليم ، وإن كان ثمّ نِسْوَة في الحِصن ، فليظهرنّ(٧٩أ) البكاء والصياح والثّبور(٨٠) ، وأنتم في اللّيل مستعدّون (٨١) بحرسكم على العادة حتى يأمنوا ، فإذا ظهر لكم أمنُهم حقيقةً ، وتكون قبل ذلك قد كتبتَ كتاباً على لسانِ خواصّك إلى زعيم جيشهم : « أنَّا قد مَلَلْنا (٨٢) ، وقَلّت الأقواتُ ، وقد اتّخذتُ عندك يَداً بذلك » . فحين أمنهم ، فاخرجوا من الحِصن ، واكبسوا عليهم (٨٣) ، وهم قائلون (٨٤) ، أو ليلاً او ضحىً وهم يلعبون .

قال محمد بن منكلي :

فإذا كبستموهم ليلاً ، فلتكن الرّجّالة داخل معسكرهم بسيوفهم ودُرقهم وخناجرهم ، وأصحاب الخيل محيطين (٨٥) بهم بالسّهام . وإذا وصلتم إلى الكَبْسَة ، فأرسلوا مَنْ يقطع شِكالات(٨٦) الخيل وأرسانها(٨٧) ، وإلاّ فارموهم بالمدافع النارّية ، فتنفر خيولهم ، ويقتل بعضهم بعضاً . ومَنْ

(٧٨) في الاصل : كلينا ، وكللنا : ضعفنا وتعبنا .

(٧٩) كذا كذا يوم : عدد الايام التى يتفق عليها بين الجانبين ، لوضع التسليم موضع التنفيذ .

(٧٩أ) في الأصل : فليظهروا .

(٨٠) الثبور : الهلاك .

(٨١) في الاصل : مستعد .

(٨٢) في الاصل : ملينا .

(٨٣) اكبسوا : كبس على فلان ، هجم عليه واحتاط به .

(٨٤) القائلون : (ج) : قائل ، وهم النائمون في القائلة . والقائلة : الظهيرة ، والنوم في الظهيرة . والقيلولة : نومة نصف النهار ، أو الاستراحة فيه ، وان لم يكن نوم .

(٨٥) في الاصل : محاطون .

(٨٦) الشكالات : (ج) : الشكال ، وهو القيد .

(٨٧) الارسان : (ج) : الرسن ، وهو ماكان على الانف من الفرس ، يقال : شد عليها رسنها .

خرج منهم (٨٨) يُرمى بِسَهم، أو يُؤسَر (٨٩). ويُختار رجال مبصرون (٩٠) شجعان أن يكبسوا على زعيم جيش العدوّ ، الخيّالة المبصرون (٩١) بحسن الرّماية قد أحاطوا بِخِيَمِ (٩٢) العدوّ ، ويتجنّبون الصّياح والأصوات العالية، ولتكن لهم علامات بالهَمْهَمَة (٩٣) . هذا المختار عند الرّجال ، كما اتّفق لبعض الصّحابة لما كبسوا ليلاً بعض ملوك الفُرْس ، ولم يستدلّوا على مكانه إلاّ باشتمام الرّوائح العَطِرة كالمِسْكِ (٩٤) ، فقبضوا عليه (٩٥) ، وأُخِذَ أَخْذاً وبيلا .

وإن لم يُمكنهم كَبْسَ معسكر (٩٦) عدوّهم ، حرصوا على الإياب بما أمكنهم من النّكاية (٩٧) . وإن اتّفق لعدوّهم أن يعلم (٩٨) بهم ، فليدهموهم (٩٩) ، ويحولوا بينهم وبين خيولهم ، ولتَسْتَقِلّ (١٠٠)

---

(٨٨) يريد من خرج منهم سالماً ، فانه يرمى بسهم أو يؤسر .
(٨٩) يؤسر : يقيد ويؤخذ أسيراً .
(٩٠) المبصرون : (ج) : المبصر ، وهو المشرف على الشيء المحافظ عليه . ويريد بها هنا : الاذكياء العقلاء المتزنون ، حسنو التصرف .
(٩١) المبصرون : يريد بها هنا ، الماهرون في الرماية .
(٩٢) الخيم : (ج) : خيمة ، وهي كل بيت يقام من أعواد الشجر ، يلقى عليه نبت يستظل به من الحر ، والبيت يتخذ من الصوف أو القطن ، ويقام على أعواد ، ويشد بأطناب .
(٩٣) الهمهمة : كل صوت معه بحح . وأصوات كأصوات البقر والفيلة وأشباه ذلك .
(٩٤) المسك : ضرب من الطيب ، يتخذ من ضرب من الغزلان (مع) ، والقطعة منه : مسكة .
(٩٥) في الاصل : قبضوه . ويقال : قبض الشيء ، وعليه .
(٩٦) في الاصل : كبس لعسكر .
(٩٧) النكاية : نكى العدو ، وفيه ــ نكاية : أوقع به ، وهزمه وغلبه .
(٩٨) في الاصل : اعلام بهم .
(٩٩) يدهموهم : يفجأوهم ، ويغشوه . دهمه : فجأه ، غشيه .
(١٠٠) في الاصل : ولتقتل . واستقل الحصان : امتطاه ، ركبه .

الخيول طائفة منهم قد استعدّوا لذلك وطائفة تُقاتل ، ومعلوم أنّ الرّجّالة للكبسة أخلص (١٠١) من الفرسان .

ويجب على الأجناد أن يتعلّموا الرماية التي ذكرها (الطبري) (١٠٢) في كتابه (١٠٣) ، وفائدتها : أنّ الرامي على مَنْ تحته في جدار السُّور ، إذا رمى على عدوّه ، أن يرميَه بحيث لا يُرى (١٠٤) لعدوّه ، ويكون سهمه إذا نزل، ينزل مع جدار السُّور سواء ، وكذلك الذي يرمي مَنْ في البئر ، يرمي عدوّه بحيث لا يراه .

وكيفيّة هذه الرّماية : أنّك تُفَوِّق (١٠٥) داخل السُّور إلى أن تستغرق السّهم ، وتقلب القوس ، وتُصَيِّر الوتر نحو حَلْقِكَ ، ويكون بيت القوس الأعلى (١٠٦) نحو يسارك ، ثمّ ارْمِ ، وتكون رجلك اليسرى مع طول جدار

---

(١٠١) أخلص : يريد بها هنا : اقدر من الفرسان في هذه المهمة .
(١٠٢) الطبرى : ٢٢٤ ــ ٣١٠هـ
٨٣٩ ــ ٩٢٣م
محمد بن جرير بن يزيد الطبرى ، ابو جعفر : المؤرخ المفسر الفقيه الامام . ولد في آمل طبرستان ، واستوطن بغداد وتوفى بها . وعرض عليه القضاء فامتنع ، والمظالم فأبى . له : (أخبار الرسل والملوك ــ ط) يعرف بتاريخ الطبرى في ١١جزءا ، و (جامع البيان في تفسير القرآن) يعرف بتفسير الطبرى ، طبع في ٣١ جزءاً و (اختلاف الفقهاء ــ ط) وغير ذلك . وهو من ثقات المؤرخين ، قال ابن الاثير : « ابو جعفر أوثق من نقل التاريخ » . وفي تفسيره مايدل على علم غزير وتحقيق . كان مجتهداً في أحكام الدين ، لايقلد أحداً ، انظر تذكرة الحفاظ (٣٥١/٢) والوفيات (٤٥٦/١) والبداية والنهاية (١٤٥/١١) وميزان الاعتدال (٣٥/٣) وتاريخ بغداد (١٦٢/٢) والاعلام للزركلى (٢٩٤/٦) .
(١٠٣) انظر اختلاف الفقهاء (٢ ــ ٦) .
(١٠٤) يريد أن يكون الرامي مستوراً عن نظر العدو وعن مدى أسلحته ، يرى ولا يَرى .
(١٠٥) تفوق : فاق الشيء فوقاً ، وفواقاً : علاه وفاق السهم : وضع فوقه في الوتر ليرمي به .
(١٠٦) في الاصل : الاعلا .

السُّور ، رأسكَ نحو مَنْكِبِك الأيمن . وهذه الرِّماية تحتاج إلى إدمان ، وليس يعسر مع الإدمان شيء البَتَّة ، لكن على الكُسالى .

قال محمد بن منكلي :

والذي أختاره أنّ المقاتِلة إذا خرجوا من الحِصن لكبس العدوّ كما تقدّم ، فَلْيَصْحَبُوا معهم من المأكول المسموم مهما قدروا عليه ، ليرموه بين خِيَم العدوّ ، وهذا إذا لم يقدروا على قتالهم .

ومن فضائل الأجناد ، معرفة الحِيَل الحربيَّة والمكايد السياسية . ولا يجوز للمقاتِلة إذا اجتمعوا ، إما في البرّ أو البحر ، أن يكونوا مختلفي (١٠٧) الآراء ، فيحصل التنازع ، قال الله تعالى : (ولا تَنَازَعُوا ، فتَفْشَلُوا ، وتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) (١٠٨) ، أي دولتكم .

وصيَّة تصلح للمجاهدين وقت القتال ، وفي المهمَّات ، أن يتلوا سورة : (إنَّا أنْزَلْنَاهُ في لَيْلَةِ القَدْر) (١٠٩) ، يتلوها كلّ إنسان ستّ مرّات ويومي(١١٠) كلّ مرة لجهة من الجهات الستّ ، وليُعَلِّم القارىء رفيقه ، فإنّها حِرْزٌ عظيم ، قد جرَّبه السّادة من النّاس قديماً وحديثاً . وقد جرّبت في نفسي من قراءة (مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ ، والذينَ معه) (١١١) ، إلى آخر السورة ، بشرط أن يأتي فيها بالقراءة الذّال المعجم ، والدال المهمل ، ويتجنَّبَ اللَّحْنَ (١١٢) ، فإنّ ذلك مما يقوي الأبدان والنّفوس .

---

(١٠٧) في الاصل : محتلفين .

(١٠٨) الآية الكريمة من سورة الانفال (٨ : ٤٦) .

(١٠٩) الآية الكريمة هى سورة القدر ، مكية ، اياتها (٥) ، نزلت بعد عبس ، تسلسلها في المصحف (٩٧) .

(١١٠) في الاصل : يومي .

(١١١) يريد قراءة سورة الفتح ، آياتها (٢٩) ، نزلت بعد الحديد ، تسلسلها في المصحف (٤٨) .

(١١٢) يريد بذلك ضبط القـراءة ضبطاً كامـلاً ، من حيث ضبط مخـارج الحروف ، وتجنب اللحن ، مما يخل بمعانى القرآن .

وقد جرَّبتُ (١١٣) الأولين من المجاهدين(١١٤) وقت القتــال ، إذا كلُّوا من العمل ، فيعتمد (١١٥) على قراءة ذلك ، إن شاء الله (١١٦) .

ولعلّ قائلاً (١١٧) يقول : أحوال الحِصار والمحاصرة قد بَطَلَ ، وفتح المسلمون البلاد ، فَيُقال له : ثمّ للعدوّ بلاد وقلاع ، وجُزُر كقُبرُس١١٨ وغيرها تحتاج للمحاصــرة والفتح ، ولكن لــكلّ أجل كتاب . وأيضــاً ، معرفة القتال ، هو من فروض الكفاية (١١٩) ، وقد يصير في وقت من فروض الأعيان (١٢٠) ، والقائل بما ذكرناه يحتاج إلى علم ، أصلحه الله .

---

(١١٣) جربت : عملت مع الاولين المجاهدين ، وكانت لي تجربة عملية معهم .

(١١٤) الاولين من المجاهدين : يريد قدماء المجاهدين الذين عرفهم المؤلف في ساحات الجهاد ، وعمل معهم جنباً الى جنب ، وعاش معهم في أيام القتال .

(١١٥) فيعتمد : يريد فيعتمد أحدهم على قراءة ذلك .

(١١٦) في الاصل انشاء الله . (١١٧) قائلاً : في الاصل قائل .

(١١٨) قبرس : جزيرة مشهورة في البحر المتوسط ، تبلغ مساحتها (٣٥٧٢) ميلاً مربعاً ، وهذه المساحـة تضعها في المرتبة الثالثة بعـد صقلية وسردينيا ، وتقع على مسافة متساوية تقريباً بين تركيا شمالاً وسورية جنوباً . تغطى معظم أنحاء الجزيرة سلسلتان جبليتان ، تمتدان على العموم من الغرب الى الشرق ، وجبل (ترودوس) أعلى جبالها ، اذ ترتفع قمته الى (٦٤٠٦ قدماً) ، وينحصر بين هذين الجبلين سهل يقطع الجزيرة من خليج (فاما جوستا)الى خليج مورفو ، وهى مسافة تصل الى حوالي (٦٠) ميلاً . أهم محاصيلها الزراعية الحبوب والقطن والزيتون والتوت والخضروات والتبغ ، وتكثر فيها تربية الماشـية ، وتشتهر بتربية البغال والخيول ، ولا تزال الالفاظ العربية تطلق دون تحريف على الملكية الزراعية مثل : (الاراضي) و (الملك) ، كما تشتهر الجزيرة بوجود بعض المعادن كالنحاس والكروم ، انظر التفاصيل في : دائـرة المعارف البريطانية ، الطبعة الاخيرة ، ومعجم البلدان (٢٦/٧) .

(١١٩) فرض الكفاية : الفرض الذى اذا قام به البعض سقط عن الاخرين ، كهجوم العدو على بلاد المسلمين مثلاً ، فيصبح الجهاد فرضاً عينياً ، أما اذا تعرض المسلمون ببلاد العدو ، فيكون الجهاد فرض كفاية ، اذا قام به بعض المسلمين سقط عن الاخرين .

(١٢٠) فرض عين : يعمله الجميع ، واذا قام به البعض لم يسقط عن الاخرين ، خلاف فرض الكفاية .

قال الإمام عليّ ، كرَّمَ اللهُ وجهه : « لا بورك في صبيحة يوم لم أزدد فيه علما » .

وقال العلماء : « لا يجوز أن يُقال : لم يَبْقَ للمسلمين عدوّ ، إذ الجهاد باقٍ إلى أن تقوم السّاعة » .

وقيل : « أقربُ الناس من درجة النبوة ، أهل العلم ، وأهل الجهاد » .

أما أهل العلم ، فدلّوا النّاس على ما جاءت به الرُّسل ، وأما أهل الجهاد ، فجاهدوا على ما جاءت به الرُّسل .

قال كَعْب الأَحْبَار (١٢١) ، رضي الله عنه : « لا تحقروا شيئاً من الخيرات ، فقد دخل رجل الجنَّة في قَوْسٍ أعدَّها في سبيل الله تعالى ، ودخلت امرأة الجنّة في مِسَلّة (١٢٢) أعانت بها في سبيل الله ، ودخلت امرأة في مغزلٍ أعانت به في بناء بيت المقدس » (١٢٣) .

وأفضل ما ينبغي للمجاهدين ، أن يُشرب قلبه حبّ الخير والخيل ، إذ كان صلاح أمر الفارس وفساده بِفَرَسِه ، والمقاصد الدينيّة لا تُحصى ، إذ قلوب المختارين (١٢٤) لحضرة مولاهم صالحة قابلة لكلّ خيرٍ ، وليس

---

(١٢١) كعب الاحبار : هو كعب بن ماتع بن ذى هجن الحميرى ، أبو اسحق ، تابعي ، كان في الجاهلية من كبار علماء يهود في اليمن ، وأسلم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وقدم المدينة المنورة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الامم الغابرة ، واخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة ، وخرج الى الشام ، وسكن (حمص) ، وتوفي فيها عن مئة وأربع سنين ، ولا يعرف مولده ، وتوفي سنة (٣٢هـ = ٦٥٢م) ، انظر : تذكرة الحفاظ (١/٤٩) وحلية الاولياء (٥/٣٦٤) و ((٦/٣) والاصابة ت (٧٤٩٨) والنجوم الزاهرة (١/٩٠) والاعلام للزركلى (٦/٨٤) .

(١٢٢) المسلة : الابرة الضخمة .

(١٢٣) بيت المقدس : مدينة القدس .

(١٢٤) في الاصل : المختارون .

بمرتضى شرعاً أو عقلاً لكلّ عاقل مُكَلَّف أن يكون غافلاً عن حضرة مولاه.

قال سيدنا الجُنَيْد (١٢٥) ، رضي الله عنه : « لو أقبلَ مُقبِلٌ على الله ألف عام ، ثم غفل عنه طُرْفَة عين ، فما فاته أكثر مما ناله » .

والقصد من هذه الدّلالات ، أن يكون المجاهد على النُّعوت والصِّفات المحمودة المرضيَّة ، نسأل الله التّوفيق لما يُحِبّ ويختار ، بِمَنِّهِ وجُوده وكرمه .

وأذكر نكتةً عِلْمُها واجبٌ للمجاهدين ، وهي : أن يعلموا ما يجب عليهم فيما يَحِلُّ ويَحرُمُ في الرِّهان في الرَّمي في الأغراض (١٢٦) ، لئلا يقعوا في القمار .

وقد عَمَّت البلوي في أصحابنا ، بِرَمْيِهِم على الأُلْكُو (١٢٧) ، وعمدتهم على العود المسمّى بالأزناج (١٢٨) ، فيرمي شخص ، فيصيب الكَوْم (١٢٩) المسمّي بالأُلْكُو ، فلم يُحْسَب له ، ويجيء سهمهم اتِّفاقاً ،

---

(١٢٥) الجنيد : الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز ، أبو القاسم ، صوفي ، من علماء الدين ، مولده ومنشأه ووفاته في بغداد . قال أحد معاصريه : مارأت عيناى مثله : الكتبة يحضرون مجلسه ، لالفاظه ، والشعراء لفصاحته ، والمتعلمون لمعانيه . وهو أول من تكلم بعلم التوحيد في بغداد ، وقال ابن الاثير في وصفه : امام الدنيا في زمانه . وعده العلماء شيخ مذهب التصوف ، لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة ، ولكونه مصوناً من العقائد الذميمة . لايعرف تاريخ مولده ، وتوفي سنة (٢٩٧هـ = ٩١٠م) ، انظر الكامل لابن الاثير (٦/٣٧) و (٧/٤١٢ و٤٣٨) و (٨/٢٩٧ و ٥٢٨) ووفيات الاعيان (١/١١٧) وحلية الاولياء (١٠/٢٥٥) وصفة الصفوة (٢/٢٣٥) وتاريخ بغداد (٧/٢٤١) والاعلام (٢/١٣٨) .

(١٢٦) الأغراض : (ج) : غرض ، وهو الهدف . والأغراض : الاهداف .

(١٢٧) الألكو : الهدف ، المثل الاعلى ، انظر معجم الموارد — تركي — عربى — استنبول — بلا تاريخ .

(١٢٨) الأزناج : (ج) : زنج ، وهو نوع من الأهداف .

(١٢٩) الكوم : الموضع المشرف ، كالتل ، وكلما ارتفع واجتمع ، له رأس من تراب أو رمل أو حجارة أو قمح أو نحو ذلك . (ج) : أكوام .

فيصيب العود يُرى من رأس المدّ (١٣٠) ، فَيَحسب ، أو ينكسر السّهم في حجرٍ ، فيضرب أحد شطفه (١٣١) من العود ، فيُحْسَب . والكَوْم يُرى ، والعُود لا يُرى .

هذا من عموم البلوى ، ولا أختار هذا ، لأنّهم يُتْعِبونَ أبدانهم وخيولهم ، وهم يحسبون أنّهم في أمرٍ مُثابون عليه ، وقد اتّفَقَ لنا نصائح في مثل ذلك لهم ، فَمُوَفّقهم يسمع ويعترف ، والجَهَلَة يُحاجّون بلا علم ، أرشدهم الله .

ووجدتُ الموفّقين أقلّ من القليل ، ويفعلون في الرّهان قماراً فاحشا . فمن ذلك يرمي نَفَران (١٣٢) بغير مُحلِّل ، ويأخذ كلٌّ منهما رَهْن صاحبه ، ولو عُدِّد ما يفعلونه (١٣٣) من أنواع القِمار ، لكره ذلك العقلاء .

والواجب على الجنديّ أن يَهْتَبِلَ بالعُدَد والسّلاح ، مع القُدْرة لذلك ، أكثر من اهتباله بالقُوْت ، لأنّه إذا فُقِدَ يمكن أن يُمتارَ من أرض العدوّ ، وإذا عُدِم السّلاح ، لم يُقْدَر على وجوده ، والقتال بغير ذلك لا يُمْكِن .

والواجب على الجندي أن يكون متأهّباً لقهر عدوّه ، وامتثال وليّ أمره . وإن اتّفق قتال مع العدوّ ، وقهر العدوّ — والعياذ بالله — إمّا على الانّفاق والسّعادة ، لأنّ ذلك لا يكون كلّ وقت ، وإنّما القهر المحمود ما كان(١٣٤) .

وهكذا رأينا آباءَنا (١٣٥) يفعلون كلّ يوم ، ولا يقطعهم عن ذلك عيد

(١٣٠) طموح البصر الى الشيء .
(١٣١) شطفة : قطعة (مو) . وشطفه : (ج) : شطفة .
(*) في الاصل يحاججون . والصواب : حاجه ، محاجة ، ومحاجة وتحاجوا .
(١٣٢) في الاصل : نفرين . والنفر : للجندي الواحد ، والفرد من الرجال (محدثة) .
(١٣٣) في الاصل : مايفعلوه .
(١٣٤) يريد : النصر على العدو هو المطلوب ، وهو هدف الجندي في حياته ، وليس الاتفاق والسعادة : يريد اللهو عبثاً ورخاء العيش . والانفاق : بالاصل الاتفاق ، ولامعنى له ، فهو تصحيف من الانفاق والسعادة .
(١٣٥) في الاصل : آباؤنا .

ولا مطرٌ ولا سبب من الأسباب ، ولا يُفرز عندهم يوم الحرب من يوم السّلم . ونحن الآن ممنوعون من ذلك التأهّب (١٣٦) ، لوجوه نشكوها إلى الله ، لا إلى سواه ، إذ ليس لها من دون الله كاشفة .

والواجب على الجنديّ مع الاستطاعة لذلك ، أن يقتَنِيَ الخيلَ الصّحاح المؤدّبة (١٣٧) ، لينتفع (١٣٨) بها مَنْ احتاج إليها في المهمّات السّلطانيّة ، ولا يتّخذها للزينة والتّفاخر .

(١٣٦) المفروض بالنسبة للجندى ، هو استمرار التأهب للقتال ليلاً ونهاراً بدون توقف : الاعداد الكامل باستمرار للحرب ، من أجل احراز النصر المؤزر على الاعداء ، وذلك بالنظر في استكمال النواقص في التدريب والتسليح والتنظيم والقيادة ، ليكون الجندى فرداً والجيش كله جاهزاً للقتال في كل وقت من الاوقات .

ويبدو أن المؤلف ، يشكو من اهمال السلطة في حينه متطلبات التأهب والاستعداد ، لاسباب يشكوها المؤلف ، دون ذكر تفاصيلها . ويبدو أن السلطة في حينه ، كانت تتعمد اهمال الجيش ومتطلباته ، لأن معظم الفتن كانت بالاستفادة من الجيش لا لخدمة الوطن والأمة ، ولكن لخدمة الفرد والمصالح الشخصية للافراد أو لمجموعة منهم .

(١٣٧) المؤدبة : يريد بها : المدربة ، وللخيل المستجدة تدريب خاص ، يعرف بتدريب الركائب ، يعرفه الفرسان جيدا . والبون شاسع بين الحصان المؤدب والحصان المستجد،كالبون الشاسع بين الجندي المدرب والجندي المستجد ، المدرب هو المطلوب ، والمستجد لافائدة فيه مالم يتدرب والتدريب المستمر المنظم ، هو الذى يبدل حال الجندى وحال جواده ، من حال الى حال .

(١٣٨) في الاصل : لينفع .

سُئِل الإسكندر (١٣٩) ، كيف احتويت (١٤٠) على هذه المواضع ، ونُصِرتَ وظفرتَ في الزّمن القليل ؟ فقال : « لأنني ما تركتُ عملَ شيءٍ أحتاجه في اليوم إلى غدٍ » .

وليعلم أصحابنا الأجناد ، أنّ المعرفة بصناعة الجنديّة نافعة جداً ، عظيمة الأجر .

★ ★ ★

(١٣٩) الاسكندر : هو الاسكندر الاكبر ، ملك مقدونيا واشهر قائد حربي في العالم القديم ، وهو ابن فليب . ولد سنة (٣٥٦) ق.م ، وقد ظهرت مخايل الفتوة الملكية فيه من صغره ، وكان هيناً ليناً حاذقاً جريئاً مقداما ولما بلغ سنه الثالثة عشرة ، وأتم دراسته الاولية ، أسلمه أبوه الى الفيلسوف أرسطو ليربيه ، فقرأ الاسكندر على أستاذه كل المعارف الانسانية المعروفة اذ ذاك ، من شعر وسياسة وأخلاق وفصاحة وطبيعة وطب ... الخ ... ولما بلغ عمره عشرين سنة ، مات أبوه ، فخلفه على مقدونيا سنة (٣٣٦) ق.م ، فقضى على الفتن التي ثارت ضده بسرعة ، ثم أتم بعد ذلك اخضاع بلاد اليونان الثائرة ، وأجمع اليونان على تعيين الاسكندر قائداً لهم سنة (٣٣٥) ق.م . وسار لفتح بلاد فارس وآسيا الصغرى وسورية وفلسطين ومصر والعراق وغيرها من البلاد ، ومنها الهند والأفغان . وفي مدينة بابل مات الاسكندر بالحمى وعمره (٣٣) سنة ، وكان موته سنة (٣٢٣) ق.م ، وحمل الى مصر ، ودفن بالاسكندرية ، بعد تحنيطه على الطريقة المصرية . وقد ضاع أثر قبره ، انظر دائرة معارف القرن العشرين (١/٣١٣ — ٣٢٥) .

(١٤٠) احتويت : يريد استوليت ، سيطرت .

الفصل العشرون

أحوال تختص بالمُقَدَّمين (١)

وأذكر أحوالاً مختصّة بالمُقَدَّمِيْن ، قال مَنْ تقدّم من الملوك المستيقظين العالمين بمواقع الحروب : إذا فعلَ أحدٌ من المُقَدَّمِيْن أشياء مَنْكرة رديئة(١) يُعاب بها ، فلا يُؤْمَن على تَقْدِمَة ، ولا على شيء ، إذ يجب للمُقَدَّم أن يكون خيراً من المُقَدَّم عليه ، ولذلك يُختار للتّقدمة مَنْ يليق بها .

قال المؤلّف : ومن جملة يقظات المقدّم إذا كان معه سَرِيَّة وأراد أن يُظهر كثرتهم ، فليكن (٣) وقوفهم بإرسال (٤) متفرقين .

ومن أحوال المقدّم ، أن يكون مع رفقته الأكبر منه سِنّاً ، يجعله في الحُرْمَةِ كوالده ، والأصغر منه كولده . وإذا رأى من أحدهم مالا يليق بصناعته ، يرشده لذلك خُفية ، لئلا يَفْضَحَهُ .

قال الإمام عليّ كرّمَ الله وجهه : « النُّصح بين المَلأ تقريع » .

ومن أحوال المقدّم ، أن يكون عارفاً بمواقع الحروب ، وترتيب العساكر ، وإفساد كلّ تعبية على حِدَتِها (٥) .

(١) في الاصل : المقدمة : جمع مقدم ، ويبدو انه جمع كان متعارفاً عليه في حينه وشائعاً في الاستعمال الدارج ، وهو جمع عامي لاسند له في اللغة . والصواب : مقاديم ، ومقدمون ، انظر معجم متن اللغة (٥١٣/٤) ، والشائع اليوم هو : مقدمون . والعنوان من وضع المحقق ، لأن المادة الواردة في فصله مختلفة عن المادة التى سبقتها كما هو واضح .

(٢) في الاصل : ردية .

(٣) في الاصل : فليكول .

(٤) في الأصل : أنخال ، والصواب هو أرسال : (ج) : رسل : الجماعة من الناس .

(٥) يريد : يكون عارفاً بطبيعة الارض وصلاحيتها للمعركة ، ماهراً في تعبية رجاله ، قادراً على افساد خطط عدوه .

ومن أحوال المقدّم ، أن يكون عنده كرم لأصحابه ، وحسن خُلقٍ ، وانبساط متوسّط (٦) .

ومن أحوال المقدّم ، إذا سار بسريّة إلى جهةٍ بإذن السُّلطان أو نائبه ، أن يجعل لأصحابه في أثناء السَّفر درساً (٧) فيما هم بصدده ، وأن يتفقّد (٨) خيولهم ، ويسير بهم برفْقٍ ، كما ذُكر فيما تقدّم لزعيم الجيش .

ومن أحوال المقدّم ، أن يغضّ عن عورات رفقائه .

ومن أحوال المقدّم ، أن يكونَ ذا (٩) حياءٍ وعِفّة .

ومن أحوال المقدّم ، أن يكون عنده ناموس(١٠) ، لتوفيقه [في] (١١) رتبته (١٢) .

ومن أحوال المقدّم ، أن لا يقف في الأسواق التي لا يليق بمثله (١٣) الوقوف بها ، كأسواق العطّارين (١٤) ، وأسواق ما يباع من قماش النِّساء (١٥) ، وسوق الصّاغة (١٦) . ولا يليق برتبته أن يقفَ إلاّ في سوقِ

---

(٦) يريد : أن يكون انبساطه وسطاً ، بلا افراط فيضيع شخصيته ، ولاتفريط فيكون مكروها ، فمن سمات الجندية ــ وبخاصة بالنسبة للقائد الصغير أو الكبير ــ الجدية والحزم والاتزان .

(٧) في الاصل : درس . (٨) في الاصل : تتفقد .

(٩) في الاصل : ذو .

(١٠) ناموس : تستعمل في اللغة العامية الدارجة بمعنى : الشرف والغيرة والحمية .

(١١) في الاصل : عنده ناموس لتوفيقه رتبته ، ولا معنى ذلك ، لهذا وضعنا كلمة (في) ليستقيم المعنى . ويريد المؤلف : لينجح في تحمل أعباء رتبته ، ويكون عند حسن ظن قادته ورجاله به .

(١٢) رتبته : الدرجة في السلم القيادي .

(١٣) في الاصل : لمثله .

(١٤) العطارين : (ج) : عطار ، وهو بائع العطر ، واكثر رواد سوق العطارين من النساء ، فوقوفه في ذلك السوق ، يجلب على نفسه السمعة السيئة .

(١٥) في الاصل : مايباع لقماش النساء ، وفيه غموض ،فجعلناه على صواب في العبارة : أسواق مايباع من قماش النساء .

الخيل ، وسوق السِّلاح ، وسوق الكُتُب ، إن كان ممّن يُحسن القراءة والكتابة ، وهما من كمال صناعة الجنديّة .

ومن أحوال المقدّم ، إن كان له ولدٌ ، فلا يليق أن يعلّمه غير صناعة الجنديّة ، ومتى فعل (١٧) غير ذلك ، أساء (١٨) ، وعلى ولي الأمر زجره(١٩) بسبب ذلك .

ومن أحوال المقدّم ، أن تكون له أورادٌ (٢٠) للتلاوة وللذّكر (٢١) وللصّلاة ، وغير ذلك من القُرُبات (٢٢) .

ومن أحوال المقدّم ، أن يتطلّب كلّ العلوم المباحة (٢٣) .

ومن أحوال المقدّم ، أن يكون بيته كبيت « الزروخانة » (٢٣) و « الرّكاب خانـَة » (٢٤) ، بالتعاليق (٢٥) المحتاج إليها في جهاده .

---

(١٦) أسواق الصاغة : هي من أسواق النساء ، والابتعاد عنها ، يجعل المقدم يجب الغيبة عن نفسه .

(١٧) في الاصل : مافعل ، وليس لها وجه في السياق .

(١٨) في الاصل : اسى .

(١٩) في الاصل : زجر .

(٢٠) الاوراد : (ج) : ورد ، وهو النصيب من القرآن والادعية والتسبيح والتحميد والذكر ، يقال : قرات وردي اليومي ، وقرات وردي الاسبوعي ، أو ورد السيد الرفاعي ، أو ورد الشيخ الجيلاني ... الخ ...

(٢١) الذكر : الصلاة لله ، والدعاء اليه .

(٢٢) القربات : (ج) قربة ، وهي ما يتقرب به الى الله تعالى من اعمال البر والطاعة .

(٢٣) الزرو خانة : الزور : القوة ، الجبر ، المشقة . وخانة : المكان ، المحل . والزروخانة : مكان القوة ، مكان المصارعة . يريد أن يكون في بيته تجهيزات من مواد واجهزة وآلات وغيرها ، مثل مايكون منها في بيت الزروخانة .

(٢٤) الركاب خانة : مكان الخيل ، مكان اجهزة الخيل ، ويكون عادة واسعاً فسيحا ، يضم الخيل واجهزتها المختلفة من سروج ، واعنة ، وبطانيات ، ومرابط ومحسات ، وركابات ، واحزمة ... الخ ...

ومن أحوال المقدَّم ، أن لايقطع الرِّياضة (٢٦) ، كالرِّماية ، وأن يتفقدَّ (٢٧) لِبْسَ جَوْشَنِه كلَّ جُمعة ، ويجري (٢٩) به وهو لابسه خُفْيَةً ، لئلا يُتّهم بأمرٍ (٣٠) ، وقد نَبَّهْتُ أصحابنا الأجناد في (الرِّسالة المرضيّة في صناعة الجنديّة) (٣١) ، أنّه لاينبغي الرِّياضة على الخيل ، إلاّ بلبسِ السِّلاح ، مع الخُفْيَة ، وكان قُدماء فرسان الإفرنج يفعلون ذلك .

ومن أحوال المقدَّم أن يكون عنده خِبرَة (٣٢) بخيار الرِّماح ، وخيار السّيوف ، وخيار القِسِيّ ، وما هو الأولى من ذلك في حقّ الفارس والرّاجل .

ومن أحوال المقدَّم ، أن يعرف الأصائل (٣٤) من الخيول ، وأيضاً يجب أن يكون عنده خِبْرَة بأمراضها ومداواتها ، ويحسن الرياضة (٣٥) في أمرها ، ويجب أن يُحْسِن تأديبها (٣٦) المطلوب ، لاما ترونه اليوم في تعليم الفِلْو (٣٧) :

---

(٢٥) التعاليق : (ج) : تعليقة . وتعليقة الثياب عند العامة عودان من خشب متصلا الطرفين ، بينهما فجوة ، لتعليق الثياب والسلاح وتجهيزات الخيل والتجهيزات الرياضية .

(٢٦) الرياضة : يريد بها هنا التمرين المستمر ، والتدريب الدائب .

(٢٧) يتفقد : تفقد الشيء ، طلبه عند غيبته . يريد هنا : ألا يغفل عن لبس جوشنه أسبوعياً .

(٢٨) الجوشن : الدرع . (ج) : جواشن .

(٢٩) في الاصل : يجزى ، وهو تصحيف .

(٣٠) في الاصل : بأمن ، اذ لاوجه للامن يتهم به الانسان .

(٣١) اسم كتاب للمؤلف الفاضل . (٣٢) في الاصل : خبره .

(٣٣) المزارق : (ج) : مزراق ، وهو الرمح القصير .

(٣٤) في الاصل : الاصايل . والاصائل : (ج)) أصيل . والاصيل في النسب : عريقه .

(٣٥) الرياضة : تهذيب الاخلاق ، ويريد بها : تدريب الفرس على حسن الخلق والمران الدائب على تعليمه .

(٣٦) التأديب : تعليم الادب ، ويريد بها هنا : تدريب الفرس ، ويسمى اليوم : تدريب الركائب : أى تدريب المستجدة من الخيل لتصبح مدربة .

(٣٧) الفلو ، والفلو ، والفلو : هو المهر اذا فطم ، والمهر اذا بلغ السنة من عمره . (ج) : أفلاء ، وفلاء ، وفلاوي . والانثى : فلوة ، وفلوة ، وفلوة . والفلو : المهر العسر الذى لم يرض ، وهذا مايريده المؤلف الفاضل . كما يبدو .

أَخْذُ الخاتم والورقة والعصاة (٣٨) من الأرض ، إذ ليس ذلك هو المطلوب من تأديب الفرس العتيق ، ولو عَدَّدْتُ ما يحتاجه الفرس من التأديب ، لطال بنا الأمر ، وخرجنا عن المقصود .

ولو ذكرت أحوال المقدَّم ، وما هو المطلوب منه ، ووقف عليه بعض أهل التّكاسل – أرشدهم الله ، لحصل لنا السَّبّ منهم بسبب ذكر ما يليق بأحوال المقدَّمين .

ومن أهمّ أحوال المقدَّم : يرى أنه يموت عزيزاً ولا ينهزم ذليلاً ، في وقت القتال .

ويجب على المقدَّم ، قبل القتال ، أن يختار من رفقته ، ممّن له شجاعة ومعرفة بأحوال الجنديَّة ، يستخلفه إذا فُقِدَ ، كلّ ذلك لتوفية الرُّتبة الإسلامية (٣٩) .

ولم يصلح للأجناد المقاتِلة ، حين القتال ، مِثل الصَّبْر والثَّبات .

قال بعض فُرسان العرب : « ما من المنايا بُدٌّ ، فهالِكٌ معذور ، خيرٌ من ناجٍ فَرُور » .

قيل لرجلٍ من بني الحارث بن كَعْب (٤٠) : كيف قَوِيْتُم على حرب

---

(٣٨) العصاة : عامية ، وفصيحها : العصا .

(٣٩) اختيار الخلف في القيادة ، مهم جدا ، فاذا قتل القائد أو جرح جرحاً بليغاً يقتضي اخلاؤه ، تولى خلفه القيادة من فوره ، فلا يحدث ارتباك أو فوضى قد تؤدى الى الاندحار والهزيمة ، ووقوع الخسائر في الاموال والارواح دون مسوغ ، لان الجنود بعد غياب قائدهم وبقاءهم بدون قيادة ، يصبحون كالغنم بدون راع في اخطر الظروف والاحوال . وبقاء الجنود بلا قيادة في ساعات القتال ، يؤثر في معنوياتهم ، فتنهار ، ومن المعلوم أن القوة التى تنهار معنوياتها لاتنتصر أبدا ، كما أن التأثير المعنوى لايقل ضرراً عن التأثير المادي ، ان لم يكن التأثير المعنوي أشد ضرراً وأفدح خسائر من التأثير المادي .

(٤٠) الحارث بن كعب : هو الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك (وهو مذحج) ، أنظر جمهرة أنساب العرب (٤١٣ و ٤١٦ – ٤١٧) .

العرب ، ولستُم بالكثير ؟ قال : « لم نكن بالكثير فنتواكل ، ولا بالقليل فنتخاذل ، ولا نبدأ أحداً بظلمٍ ، ونصبر بعد صبر الناس ساعة » .

ومن أحوال المقدَّم : اذا قاتل قوماً ، فلا يشتغل بالغنيمة ، وكلّ من اشتغل بعد الظّفر بنهب الغنائم (*) ، فربما صار غنيمة لعدوّه . وقد جرى ذلك كثيراً .

وقيل في مدح القوم (٤١) :

إن قابلوا سَلَباً لايعبؤون به   لأنَّ قَصْدَهُمُ في صاحب السَّلَبِ(٤٢)

لم يُرَ أحسن من هذا البيت في هذا المعنى .

قال العبد الحقير محمد بن منكلي ، لطف الله تعالى به :

وإذا ذكرتُ نكتاً في التعابي الحربيّة ، فيما يختص بقتال البرّ ، فإني ذاكر نُكَتاً سمعتها من الأستاذ (٤٣) ، رضى الله عنه ، في قتال البحر .

★ ★ ★

(*) في الاصل : الغنايم .
(٤١) في الاصل : القوام ، والالف بين الواو والميم زائدة .
(٤٢)
(٤٣) الأستاذ : من اشترى المملوك وتعهده بالتربية حتى كبر ، انظر الدولة المملوكية (٢٨١) ، وأستاذه هو نجم الدين حسن الرماح ، انظر مقدمة المحقق ، في ص (٩٢) من هذا الكتاب .

الفصل الواحد والعشرون

نُكَتٌ في قتال البحر

قال (١) : إنّ القُدماء كان قتالهم في البحر ، مراكب لها ثلاث طِباق(٢) ، ويكون في كلّ مَرْكَب من العُدَد ، أضعاف ما يُحتاج إليه ، مثل : المقادف(٣) ، والحبال ، والبكرات ، والقُلُوع (٤) ، والقَري (٥) ، وجميع ما يُحتاج لقتال البحر ، وكذلك فاضِل (٦) من العود المنجور ، مثل القرائض (٧) والألواح والمشاق (٨) والزّفْت السّائل واليابس .

ولا بدّ لكل بَحّار (٩) أن يكون في مركبه بجميع عُدّته وما عونه (١٠) ، كالقَدُّوم والمنشار والإِزميل (١١) . وإن كان معه زوج من كلّ عِدّة ، فهذا هو المختار . ويكون في كلّ مقدَّم كل مركب الأنابيب التي يرمون منها

(١) قال : يريد قال الاستاذ ، رضى الله عنه ، الذى أشار اليه في السطر الاخير من الفصل السابق من هذا الكتاب .
(٢) الطباق : جمع طبقة ، ومنه : (السموات الطباق) : أى طبقة فوق طبقة .
(٣) في الاصل : المقاذف . والمقادف : (ج) : المقداف ، وهو الجفنة لغرف الماء .
(٤) القلوع : (ج) : القلع ، وهو شراع السفينة .
(٥) القري : (ج) : قرو ، وهو المركن والاجانة للشرب ، وهي القصعة يقري فيها . وفي الاصل : القرا .
(٦) في الاصل : فاضلاً .
(٧) القرائض : (ج) : قارضة ، أى قاطعة ، كالسكين والمقراض .
(٨) المشاق : (ج) : مشق : الذى يشق الخشب ونحوه . آلة لشق الخشب ونحوه .
(٩) في الاصل : نحار ، وهو تصحيف .
(١٠) الماعون : اسم جامع لمنافع البيت ، كالقدر ، والفأس ، والقصعة ونحو ذلك . يريد كل مايحتاج اليه لحياته اليومية .
(١١) الازميل : آلة من حديد ، أحد طرفيها حاد ، ينقر بها الحجر والخشب أو تزال بها الزوائد من المصنوعات الخشبية (مج) ، (ج) : أزاميل .

النّـار ، وهى تسمي باللسان القديم الرومي : « سِفُّنَهْ » (١٢) ، ويكون فوق الأنانيب المذكورة ألواح (١٣) مُقَعَّرة (١٤) مسيَّجَّة فوقها بألواحٍ أخرى . ويقف فوق تلك الألواح رجال مقاتِلة ، ليلقوا العدوّ الذي (١٥) يأتيهم من المقـدَّم (١٦) ، ويكون معهم ما يمكنهم ممـا يرمون به العـدوّ ، ويكون في كلّ مركب بُرْج إلى جانب الصّاري (١٧) ، ويحاط البرج بألواح دائرة (١٨) به ، ليقف فوقها الرِّجال المقاتِلة ، ويرموا إلى وسط مركب العدوّ ، ويكون رميهم بحجارة كالأرحية (١٩) أو الأعمدة ، حادة (٢٠) الأطراف لتقتل مَنْ تُصيب أو تخسف أينما وقعت ، ويلقون على العدوّ ما يحرقونه به أو يحرِّقون (٢١) مراكبه ، ويكون كلّ مركب منهـا (٢٢) ، متوسطاً في طوله ، وفيه طبقتان (٢٣) ، وأقلّ ما يكون فيها من الزَّواغير (٢٤) خمسون زُغّوراً (٢٦) ، وهم من فوق ومن أسفل ، على كل زُغّور رجلان ، النصف منهم قَذّافَة (٢٧) ، وهم أصحاب الطبقة السُّفلى ، والنصف الآخر

---

(١٢) سفنه : (١٣) في الاصل : ألوحاً .
(١٤) في الاصل : مقعة ، ولا معنى لها ، وهى تصحيف : مقعرة .
(١٥) في الأصل : التى .
(١٦) المقدم : مقدم المركب ، أمام المركب ، أي من الامام .
(١٧) الصاري : عمود يقام في السفينة ، يشد عليه الشراع . (ج) : صوار .
(١٨) في الاصل : دايرا به . دائرة به : أي محيطة به .
(١٩) الأرحية : (ج) : رحى ، وهي الاداة التى يطحن بها . يريد : رميهم بحجارة مستديرة تشبه الرحى .
(٢٠) في الأصل : حاد . (٢١) في الأصل : يحرقوا .
(٢٢) في الأصل : منهم . (٢٣) في الأصل : طبقتين .
(٢٤) الزواغير : (ج) : زاغور ، وهو الثقب أو الفتحة التى يمكن النظر منها الى الامام . يقال : زاغور الجدار (عامية) .
(٢٥) في الأصل : خمسين .
(٢٦) زعوراً : كذا في الاصل ، والمستعمل : زاغوراً لازغوراً . والزاغور : هو الثقب أو الفتحة الممكن النظر من خلالها الى الامام (عامية) .
(٢٧) قذافة : (ج) : قذاف ، وهو الذى مهمته في المركب الجدف . والمقداف : هو المجداف .

مقاتلـون (٢٨) ، وهم أصـحاب الطبقة العُليا ، ورجلان مُدَبِّران (٢٩) : رجل(٣٠) وجماعة منتخبة لتزريق(٣١) النار ، وآخر برسم(٣٢) المراسي(٣٣) ، ويكون مُعَدًّا (٣٤) بسلاحه ، والرئيس (٣٥) قُدَّام جالساً في (٣٦) مقدّم المركب .

ويكون في كلّ مركب مئتا رجل (٣٧) ، يكون منهم برسم القذف خمسون ، والباقون مُقَاتِلة .

وليكن مراكب أُخَرُ برسم السُّرْعة والحَرَس والعَسَس (٣٨) ، ومنها طرائد (٣٩) برسم الخيل ، ومراكب لحمل الزّاد وعَلَف الخيل ، وحَمْلِ الأثقال .

واسْتَكْثِر من الزّاد والعَلَفِ ما استطعتَ أضعاف ما يُحتاج إليه ، وكذلك من السِّلاح والنِّشّاب والقِسِيّ وما يُحتاج إليه أضعاف ذلك ، وكذلك الدَّرَق المتقنة الصّنعة .

---

(٢٨) مقاتلون : في الاصل مقاتلين . (٢٩) في الأصل : مدبرين .
(٣٠) في الأصل : الرجل .
(٣١) تزريق : الرمي . والزراقـة : أنبوبة من الزجاج ونحوه ، أحد طرفيها واسع ، والاخر ضيق ، في جوفهـا عود يجذب السائل ثـم يدفعه . والزراق : المقاتل الذى مهمته الزرق بالزراقة ، (ج) . زراقة ، وزراقون ، وهم الذين يقذفون بالنار اليونانية بالزرقات .
(٣٢) في الأصل : برسمهم ، والصواب : برسـم ، كما سيأتى في قولـه : « يكون منهم برسم القذف » ، أى مهمته ، واجبه ، عمله .
(٣٣) المراسي : (ج) : مرساة ، وهو ثقل يرمى بالمـاء ، فيمسك السفينة أن تجرى .
(٣٤) في الأصل : معد . (٣٥) في الأصل : الريس .
(٣٦) في الأصل : جالس . (٣٧) في الأصل : مأتين رجلاً .
(٣٨) العسس : (ج) : العاس ، وهو من يطوف بالليل يحرس الناس ويكشف أهل الريبة .
(٣٩) الطرائد : (ج) : الطراد ، وهو سفينة صغيرة سريعة السير ، ويطلق اليوم على نوع من السفن الحربية . ويقال لها في الاصطلاح الحديث : طرادة ، وجمعها : طرادات . وهو سفينة حربية سريعة كالطراد .

وليكن معهم المنجنيقات (٤٠) وكذلك الحجارة الحادّة الأطراف بقدر ما تملأ الكفّ ، فإنها تقوم مقام السِّلاح ، لتأثيرها في الأعداء ، وليكن رميها برفقٍ وتأيُّد (٤١) لئلا يُتعبوا (٤٢) أنفسهم ، فيُقصِّروا (٤٣) ويطّلِع العدوّ على كَلَالِهِمْ ، فيدخل عليهم (٤٤) .

ولا يُؤخذ من أحد الجند رشوةً ، واختيار المقاتِلة شرط في حقّ زعيم الجيش ، كما تقدّم في صدر الكتاب .

ومَنْ كان معكَ من الرجال الذين هم غير شجعان ، فرسمهم (٤٥) في الطبقة السُّفلي ، ومَنْ جُرح من أهل الطّبقة العُليا أو تأذّى ، فأنْزِلْهُ [إلى](٤٦) أسفل ، واجعل عوضه من الذين هم في الطّبقة السُّفلى ، على حَسَب الضرورة والتدبير .

---

(٤٠) المنجنيقات : (ج) : منجنيق ، معربة ، وقيل أصلها يونانية ، وهى من الات الحرب التى ترمى بها القذائف ، وقد عرف العرب والمسلمون أنواعاً من المنجنيقات ، منها :
أولاً : لرمي السهام والنبال ، اذ توضع في المنجنيق الواحد عدة سهام ، وترمى عنها بالاقواس الى مسافة بعيدة وبقوة خارقة .
ثانياً : لرمي الحجارة ، لتهديم الحصون بالحجارة الضخمة .
ثالثاً : لرمي قدور النفط أو الكرات المشتعلة بالنار اليونانية ، وذلك لاحراق مواقع العدو .
وفي سيرة ابن هشام ، أن رسول الله ، صلي الله عليه وسلم ــ أول من رمي في الاسلام بالمنجنيق في غزوة الطائف التى كانت في شهر شوال من السنة الثامنة الهجرية ، انظر سيرة ابن هشام (١٢٨/٤) والرسول القائد (٣٦٨) .

(٤١) تأيد : يحتمل أنها مصحفة من : تؤدة ، ترزن ، وتأنى ، وتمهل ، فهي تنطبق على معنى سياق الجملة .

(٤٢) في الأصل : يتعبون .

(٤٣) في الأصل : يقصروا .

(٤٤) يدخل عليهم : يريد مهاجمتهم .

(٤٥) رسمهم : واجبهم ، عملهم ، مكانهم .

(٤٦) (الى) : ليست في الأصل ، أضيفت ليستقيم المعنى .

قال محمد بن منكلي : ويكون في كلّ مركبٍ أربعة نَفَر ذوي رياضة(٤٧) برسم خدمة الجَرْحى (٤٨) ، ولنزع سلاحهم وسقيهم (٤٩) وأكُلهم (٥٠) ، وهذا ما لابدّ منه .

وليكن مَنْ معك متربِّصين على سَماع البوُقات (٥١) والعِياط ، وسماع رُهوج (٥٢) الحرب ، لئلا يسمعوا ذلك في غير عادة وقت قتال العدوّ ، فيعتريهم الخوف (٥٣) .

وعندما يريدون أن يرسوا في مَرْسَى ، أو يخرجوا من البرّ ، فليكن ذلك على ترتيب ونظام .

ويجب لرؤساء المراكب ، أن يكونوا عالمين بإتيان (٥٤) الرِّياح بعلامات ، ولا ينبغي الخروج من المَرسى إلاّ أن يُري الصَّحْو .

وإن كنت قريباً من أرض العدوّ ، أو شطر (٥٥) العدوّ يأتي إليك ، فلتكن لك نواظر(٥٦) وعَسَس في البرّ والبحر، وتُوَثِّقُ أمورك ، وتستيقظ . وتُطيل السَّهَر ، وتكون متأهِّباً للمصافقة (٥٧) . فإذا حضر وقت القتال ،

---

(٤٧) يريد أنهم مدربون على التمريض والنهوض بواجبات القضايا الادارية الاخرى ، ولهم ممارسة وتجربة عملية في هذا الميدان .

(٤٨) في الأصل : الجرحاء ، والصواب : جرحى . (ج) : جريح .

(٤٩) سقيهم : ارواؤهم .

(٥٠) الأكل : الرزق الواسع .

(٥١) البوقات : (ج) : بوق ، وهو آلة مجوفة ينفخ فيها ويزمر ، ويستعمل لاعطاء اشارة البدء بالقتال .

(٥٢) الرهوج : (ج) : رهج ، وهو الشغب .

(٥٣) يطلق عليهم اليوم : جماعة الرصد ، يترصدون حركات العدو وسكناته ، لئلا يباغت رجالنا بالقتال دون سابق انذار ، فيدب الخوف الى نفوسهم دون مسوغ .

(٥٤) اتيان الريح : اتجاه الريح ، ومعرفة الانواء الجوية .

(٥٥) في الأصل : مشطر . وشطر العدو : قسم منه ، جزء منه .

(٥٦) نواظر : (ج) : ناظر ، وهو العين ، الرقيب ، الراصد .

(٥٧) المصافقة : المصافة .

القتال ، وأنت على ما ذكرناه من تعبيتك ، فصفّف مراكبك بأشكال مختلفة بقدر ما يتحمّل المكان ويُمكّن المكان الرُّماة (٥٨) .

وعندما تُحقّق ذلك كلّه وتُعوِّل عليه ، وتريد مواجهة العدوّ ، فلا تقاتله في أرضك لئلا تطمئن (٥٩) الجُنْدُ للهروب ، فيتراخوا لذلك ؛ لأنّ القليل من الناس ممّن يرى أنّه يموتُ عزيزاً ، ولا ينهزم ذليلاً .

وقبل يوم القتال بيوم واحد ، تَجْمَعُ مُقَدّمي المراكب ، وتشاورهم فيما يصنعون ، فإذا اتّفقتم على أمر ورأيٍ ، فلتوصِيهم (٦٠) يكونوا متأهبين (٦١) لفعل ذلك . وتَجْعَل لهم علامةً إذا سمعوها (٦٢) أو رأوها (٦٣) ليبادروا (٦٤) لإنجاز الرأي ، وتُجعل في مكان ظاهرٍ في مركبكَ ، أيُّها المقدّم علامة مثل بَنْد (٦٥) أو طَرّادة لتنظر المراكبُ الأخرى العلامة ، فيُعَوِّلون عليه : هل يقاتلون أم لا ؟ أو يُحيطون (٦٦) بالعدوّ أو يميلون إلى جهة لمعونة جانب قد ضعف ، أو يبطلون القذف (٦٧) أم لا ؟ أم يجتهدون(٦٨) في ذلك ، أو يُقَصِّرون . ويكون قد قرّر ذلك في العلامة أنّها إذا مالت إلى جهة اليمين ، يكون لهم فعلٌ ما ، أو إلى اليسار غير ذلك . وإذا رُفعت فيُعْمل عَمَلٌ (٦٩) آخر ، وإذا نزلت فغير ذلك ، أو إذا نُفِضَتْ أو تحرّكت دلّ

(٥٨) في الأصل : الرمات .
(٥٩) تطمئن : تستقر وتثبت . يريد : يقررون الهروب .
(٦٠) في الأصل : فلتوصيهم .
(٦١) في الأصل : متأهين ، وأراها متأهبين .
(٦٢) سمعوها : يريد استعمال (علامة) صوتية متفق عليها ، كالأبواق والطبول .
(٦٣) رأوها : يريد استعمال (علامة) مرئية ، مثل العلم ، أو النار ، أو الرمي بطلقات معدودة .
(٦٤) في الأصل ليبادرون .
(٦٥) البند : العلم الكبير (فارسي معرب) .
(٦٦) في الأصل : يحيطوا . (٦٧) القذف : يريد بها هنا الرمي .
(٦٨) في الأصل : يجتهدوا . (٦٩) في الأصل : عملاً .

سوى ذلك كلّه ، أو إذا نُقِلَتْ أو نُحِّيَتْ أو غُيِّرت الألوان التي في رأس العلامة مثل أحمر فصار أزرق او غير ذلك من الألوان ، فإنّ ذلك علامات(٧٠) لأمورٍ قد قُرِّرت ، وأجود ما يكون أن تعاني عمل هذه (٧١) العلامات المذكورة بيدك أيُّها المُقَدّم ، وتُرَيِّض المقدّمين الذين تحت يدك على معرفة العلامات ، ليعرفوها معرفةً جيدة ، وعلى ما تدلّ (٧٢) ، ولما هي ، وإلى متى هي ، وكيف هي ، ويُحَقِّقون معرفة ذلك ، حتى لا يغلطوا فيه .

ولم أقدر أن أَحُدَّ لك ها هنا كيف تَصافّ الأعداد ، لأنه بَحَسب ما تراه أنت في ذلك الوقت ، وعلى ما تُعانيه من فِعْل العدوّ .

فأوّل ما نعلمكَ به من ذلك ، أنّه يجب أن تعلم ، متى يصلح أن تُحدق بأعدائكَ نصف دائرة .

ويوصّون أصحاب المراكب ، أن يُصَفِّفوا (٧٣) لك ميمنة وميسرة ، ويكون المقدّم في مكان القلب ، لتدبّر (٧٤) الكُلّ ، وتَرْتَئِي(٧٥) فيهم ، وتأمر بما يجب فعله ، وأين ما رأيت جانباً قد ضعفَ وأمكنك معونته ، فَلْتُعِنْهُ بحَسَب الاستطاعة . وذكرنا لك شكل نصف دائرة في إحاطتك بالعدوّ ، ليجدوا سبيلاً إلى الدّخول في الشّكل المذكور ، فيُطبق عليهم .

ووقت آخر ، يكون تصفيف مراكبك على الاستقامة ، حتى إذا أمكنك الوقت تَطخ(٧٦) مراكب أعدائك ، بمقادم مراكبك ، وتطلق عليهم النار .

(٧٠) في الأصل : علامات . (٧١) في الأصل : هؤلاء .
(٧٢) في الأصل : يدك ، ولا معنى له في سياق العبارة ، مما يدل على أنه تصحيف .
(٧٣) يجعلونهم صفوفاً . والافضل أن يقول : يصفهم . وفي الاصل : أن يصففون .
(٧٤) لتدبر : ساسه ونظر في عاقبته ، نظر في ادارته .
(٧٥) في الأصل : وترقى فيهم أو وترتى فيهم ، وأراها : ترتئى ، ويؤكد هذا أن المؤلف قال بعد ذلك : وأين مارأيت جانباً .
(٧٦) في الأصل : تطح ، وأري أن الناقل نسى نقطة الخاء ، فهى تطخ ، لانها تناسب معنى الجملة .

ووقت آخر ، تَقْسم (٧٧) المقاتلة لجهتين أو لثلاث جهات ، بقدر عدد مراكبك ، ويدخل (٧٨) الفريق (٧٩) الواحد على العدوّ ، فعندما يشتغل (٨٠) معه ، يأتيه الفريق الآخر من ورائه أو من جانبه .

ووقت آخر تتراءى (٨١) لهم بمراكب مشّاية خفيفة ، ويُظهرون لهم الانهزام ، فإذا انتشروا طالبين (٨٢) لما رأوه ، يضرب عليهم فُجاءةً بمراكب أُخرى ، فعندما يتعب أصحاب (٨٣) العدوّ في القذف ، ترسل عليهم أصحابك مستريحين ، وإن أمكن فتجانَبْ ما كان قوياً من مراكب العدوّ ، وتضرب على ما كان منها ضعيفاً . وإن كان أصحاب المراكب المقاتلة كثيرين (٨٤) ، فتقابل عدوّك ببعضه (٨٥) وتريح الآخرين . فإذا تعب العدوّ من المقاتَلة ، وتعب أصحابك ، بدّلت عليهم القتال بآخرين مستريحين ، فعندما تبدّل عليهم العسكر ، ولم تنل غرضكَ ، فامْضِ كأنّكَ منهزم ، فإنهم يتبعونك (٨٦) ، فترجع إليهم وهم مُتْعَبون (٨٧) ، فتبلغ فيهم ماتريد . وترصّد مراكب العدوّ متى أتت عليهم شدّة في البحر من العواصِف والزَّوابِع ، فتضرب (٨٨) عليهم ، وليكن رميك النِّفطَ على أعدائك بإرعاد ودخان .

---

(٧٧) في الاصل :تقسيم ، وصوابه تقسم .

(٧٨) يدخل : يريد يهجم .

(٧٩) الفريق : الطائفة من الناس أو غيرهم .

(٨٠) يشتغل معه : يريد يشاغله ، أى يقاتله ويناوشه .

(٨١) في الأصل : نترايا .

(٨٢) يريد : متعرضين ، مناوشين ، مشاغلين ، مقاتلين .

(٨٣) أصحاب العدو : يريد رجال العدو .

(٨٤) في الأصل : كثرون .

(٨٥) يريد : ببعض مراكبك .

(٨٦) في الأصل : يتعبوك .

(٨٧) في الأصل : متعبين .

(٨٨) تضرب عليهم : يريد ترميهم .

قال أضعف خلق الله تعالى وأحقرهم محمد بن منكلي : أُحِبّ ، بل يجب مع الإمكان ، أن يكون في كلّ مركبٍ عشرة من الرِّجال بدَرَقٍ طِوال متقنة الصَّنعة ، في وسط كلّ دَرَقة قعب (٨٩) يوضع فيه قنطاريّة (٩٠) مجوّفة يخرج منها الماء الذي فيها ، ويزرقون بها (٩١) الرِّجال في وجوه العدوّ ، فإذا صارت نقطة من ذلك الماء في عَيْن أحد من العدوّ ، عَمِيَ ولا بُرْءَ لذلك البَتّة . وهذا الماءُ معروف عند بعض المجاهدين ، لكن لايجوز أن يقال للمتّقين (٩٢) ، كما أوصانا أشياخنا .

وفي كيفيّة قتال البحر كلام طويل وأمور هندسيّة . وشهيد (٩٣) البحر أفضل من شهيد البرّ ، وفيه بحث . وقد ورد في أفضلية شهداء البحر أحاديث وآثار ، تدلّ على تفضيل شهداء البحر على شهداء البرّ (٩٤) .

---

(٨٩) القعب : قدح ضخم غليظ .

(٩٠) قنطارية :

(٩١) سئل بضعة أطباء ، منهم اطباء عيون مختصون ، عن هذه المادة ، فلم يخصصوا مادة معينة بالذات ، وذكروا أن من المحتمل أن تكون مادة كاوية ، كأحد الحوامض المركزة التى يمكن أن تحرق أجهزة العين ، وتترك المصاب بها أعمى ، وهذه كثيرة الأنواع .

(٩٢) المتقين : (ج) : متق ، وهو التقي ، والتقي : من يتقي الله سبحانه وتعالى . (ج) : أتقياء . ولايقال شيئاً عن هذا السائل ، الذى اذا أصاب عين العدو ، أصابه بالعمى الذى لابرء له ، لأنهم يتحرجون من استعماله ، حتى بالنسبة لأعدائهم ، خشية من الله وورعا .

(٩٣) الشهيد : من قتل في سبيل الله .

(٩٤) مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شهيد البر يغفر له كل ذنب ، الا الدين والأمانة ، وشهيد البحر يغفر له كل ذنب ، الا الدين والأمانة » ، حديث حسن ، عن عمة النبي صلى الله عليه وسلم ، رواه أبو نعيم في الحلية ، وانظر مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي (٢/٦٦) ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « شهيد البحر مثل شهيدي البر » ، رواه ابن ماجة والطبراني في الكبير ، انظر مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي (٢/٦٧) .

قال خُوَيْدِمُ الفقراء محمد بن منكلي : وكنت قد ذكرتُ في تأليف (المنهل العذب) نكتة لاستجلاب الرِّياح إذا تَخَمَّنَتْ (٩٥) لجري السُّفن ؛ وهو صحيح ، وعلمه ضروريّ لغُزاة البحر ، ، فليُنظر هناك . ولاينبغي التّصريح به في كلّ الأوقات ، لئلا يُكَذّب ناقلهُ وقائله ، فلايُعمل به ، فحينئذٍ لافائدة (٩٦) في ذكره . وربمّا يُنسب قائله إلى السِّحر ، وليس الأمر ــ والله ــ كذلك ، ومعاذ الله من أعمال السَّحَرة ، بل ذلك من خواص الحروف وأسرارها .

وكان العبد قد ذكر في : « المنهل العذب لورود أهل الحرب) ، أنّه ينبغي أن يكون مع الجنديّ ثلاثة خناجر : أحدها داخل التُرْس ، والآخر مربوط على زَنْدِهِ ، والآخر في خُفِّهِ ، فالأولى (٩٧) أن يكون ذلك لغُزاة البحر .

قلت : ولاينبغي أن يُشدَّ السَّيف على الوسط في حَقّ (٩٨) غُزاة البحر ، بل تُوضع الحَمائل (٩٩) في العُنق على العادة ، وهو أولى في حَقّ (١٠٠) المشاة إذا ساروا على الأقدام ، وفي صُعود الجبال ، ويمكن تقصير حمائل السَّيف للماشي .

رأيت جَدّي لأُمي رحمة الله عليهما ، وقد وضع في سَيْر (١٠١)

---

(٩٥) تخمنت : الخمن : النتن . والخمان من الناس : رديئهم . والخمانة : القناة الضعيفة . وخمنت : ضعفت ، وردئت ، وأصبحت لاتفيد . ويريد بها هنا : ضعفت عن تحريك السفن الى هدفها أو الى الاتجاه المطلوب .

(٩٦) لافائدة : يريد لافائدة من معرفته ، لعدم العمل به .

(٩٧) أولى : أفضل . والأولى : الأفضل ، والأحسن .

(٩٨) في حق غزاة البحر : يريد بالنسبة لغزاة البحر ، وهو تعبير عامي ، شائع في اللغة العامية الدارجة .

(٩٩) الحمائل : (ج) : حمالة ، وهى علاقة السيف ونحوه .

(١٠٠) في حق المشاة : يريد بالنسبة للمشاة ، وهو تعبير عامي ، شائع في اللغة العامية الدارجة .

(١٠١) السير من الجلد : شبه الحزام ، يشد على البطن ، فوق الثياب .

مِنْطَقَتِهِ (١٠٢) الدَّبُّوس (١٠٣) محروزة ، وهي دائماً في المِنْطَقَة ، فانظر ياسيِّدي هذا الاحتفال (١٠٤) .

ورأيت الأستاذ (١٠٥) ، رضي الله عنه وأرضاه ، قد اتّخذ مِنطقة فيها حمائل (١٠٦) للسَّيف ، ولايحتاج لحمائل (١٠٧) السَّيف بمفرده ، والقصد في ذلك للعجلة ، ولم أر أحداً (١٠٨) من الأجناد أو غيرهم من الناس ، أكثر احتفالاً منه بصناعة الجنديّة ، وبلغ من السِنّ ستاً وتسعين (١٠٩) عاماً ،

---

(١٠٢) منطقة : حزام من الجلد .

(١٠٣) الدبوس : عمود على شكل هراوة مدملكة الرأس .

(١٠٤) الاحتفال بالأمر : هو المبالغة في الأمر ، والاهتمام به .

(١٠٥) الأستاذ : لم يذكر المؤلف الفاضل اسمه ، لأنه كان معروفاً في وقته ، والمعروف لايعرف ، كما يقال . ومن أوصافة التى أوردها المؤلف ، يبدو أنه نجم الدين حسن الرماح المعروف بالأحدب . ويبدو أن المؤلف تتلمذ عليه حين كان شاباً في ريعان الشباب ، فأعجب به اعجاباً شديداً ، فتأثر بمسلكه الأخلاقي والعسكرى تأثراً بالغا . وقد عمل هذا الأستاذ الشيخ بامرة الملك الظاهر (٦٢٥ ــ ٦٧٦هـ) والملك الناصر محمد بن قلاون ، وكانت لـه كرامات مشهورة وعلم واداب ، وكان أعلم علماء الفروسية ، وبـلغ من العمر ستة وتسعين عاما ومات في زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون (٦٨٤ ــ ٧٤١هـ) ، ويقول المؤلف : وأنا حزين عليه الان ، ومن مؤلفاته : الفروسية والمناصب الحربية ، والبنود في معرفة الفروسية ، وعمل الرمح على الأرض والفرس ، والغزو والجهاد ، وترتيب اللعب بالرمح وما يتعلق به ، والفروسية برسم الجهاد ، وما أعد الله للمجاهدين من العباد ، والغزو والجهاد ، واللعب بالرمح في معرفة الفروسية . وقد حقق كتابه : الفروسية والمناصب الحربية عيد ضيف العبادى ، فاذا توفي عن عمر بلغ (٩٦) سنة ، وولد كما ذكر محقق الكتاب في سنة ٦٣٦هـ ، فيكون قد توفي سنة (٧٣٢هـ) لاسـنة (٦٩٥هـ) ، ويكون مؤلف هذا الكتاب قد عايش الاستاذ الرماح ، ويكون الرماح قد توفي على عهد محمد بن قلاون الذى توفي سنة ٧٤١هـ ... وهذا هو الصواب ، لان ابن منكلي الذى عايشه ، ذكر عمره وأنه توفى على عهد محمد بن قلاون .

(١٠٦) في الأصل : حمايل .

(١٠٧) في الأصل : لحمايل .

(١٠٨) في الأصل : أحد .

(١٠٩) في الأصل : تسعون .

وقتلَ من التاتار جماعةً في كل مُعتَرَك (١١٠) ، ومن الإفرنج جماعة ، وكذلك بغاة الجَبَلِيّة (١١١) ، لأنّه حضر جميع غزوات الملك الظّاهر (١١٢) وسراياه وغيره من الملوك ، ومات ، رضي الله عنه ، في زمن الملك الناصر (١١٣)

---

(١١٠) معترك : يريد معركة ، موقعة . (١١١) يريد بهم سكان الجبال .

(١١٢) الملك الظاهر : ٦٢٥ — ٦٧٦هـ .
١١٢٨ — ١٢٣٧م
الملك الظاهر بيبرس العلائى البندقداري الصالحي ، ركن الدين ، صاحب الفتوحات والاثار والاخبار ، مولده بأرض القبجاق ، وأسر فبيع في سيواس ، ثم نقل الى حلب ، ومنها الى القاهرة واخذه الملك نجم الدين من صاحبه ، وجعله من خاصة خدمه ، ثم أعتقه . ولم تزل همته تصعد به ، حتى كان أتابك العساكر بمصر ، في أيام المظفر قطز ، وقاتل معه التاتار في فلسطين ، ثم اتفق مع أمراء الجيش على قتل قطز ، فقتلوه . وتولى بيبرس سلطة مصر والشام سنة ٦٥٨هـ ، وتلقب بالملك القاهر ، ثم ترك هذا اللقب وتلقب بالملك الظاهر ، وكان شجاعاً جباراً يباشر الحروب بنفسه ، وله الوقائع الهائلة مع التاتار والافرنج (الصليبيين) ، وله الفتوحات العظيمة منها بلاد النوبة ودنقلة . وفي أيامه انتقلت الخلافة العباسية الى مصر سنة ٦٥٩هـ ، وأثاره وعمائره وأخباره كثيرة جداً . توفي في دمشق ، ومرقده فيها معروف ، وأقيمت حوله المكتبة الظاهرية . أنظر فوات الوفيات (٨٥/١) والنجوم الزاهرة (٩٤/٧) وابن اياس (٩٨/١ و ١١٢) والسلوك للمقريزى (٤٣٦/١) والاعلام للزركلى (٥٨/٢) .

(١١٣) الملك الناصر محمد بن قلاوون بن عبدالله الصالحي ، أبو الفتح : ٦٨٤ — ٧٤١هـ ١٢٨٥ — ١٣٠٩م من كبار ملوك الدولة القلاوونية له اثار عمرانية ضخمة ، وتاريخ حافل بجلائل الاعمال . كانت اقامته في طفولته بدمشق ، ولي سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣هـ وهو صبي ، وخلع منها لحداثته سنة ٦٩٨هـ ، فأقام بالقلعة كالمحجور عليه والاعمال بيد الاستادار بيبرس الجاشنكير ونائب السلطنة الامير سلار ، فاستمر على ذلك نحو عشرين سنة ضاق بها صدره من تحكمهما ، فاظهر العزم على الحج ، فودعه بيبرس وسلار وهما على خيولهما لم يترجلا له . وبلغ الكرك ، فنزل بقلعتها واستولى على أموالها . واختار أمراء مصر بيبرس الجاشنكير سلطاناً على مصر والشام سنة ٧٠٨هـ ، ثم وثب =

محمد بن قلاوون ، وكانت له كرامات مشهورة وعلمٌ وآدابٌ ، وكان أُمّة في (١١٤) علم الفروسيّة ، وأنا حزين عليه الآن . وكان إذا رئي (١١٥) في الحمّام عرياناً ، ترى في بدنه آثار الجراحات (١١٦) ، حتى يشمئزّ الناظر إليها منها .

قال الله تعالى ، في وصف مَنْ أُوذيَ في سبيل الله : (لأُكَفِّرَنّ عنهم سَيِّئاتِهِمْ ، ولأُدْخِلَنَّهُمْ جَنّاتٍ تجري من تَحْتِهَا الأنْهارُ ثَواباً مِنْ عِنْدِ اللهِ ، واللهُ عنده حُسْنُ الثَّوابِ)(١١٧) .

قلتُ : ويُجعل تحت قَدَم الخفّ شَعَرٌ من شعر الخيل أو المَعْزِ أو من لَبَدٍ (١١٨) ، كما تفعل المُغُلُ (١١٩) لتوقّي الثلوج ، لاحتمال وثوب

= الناصر على دمشق ودخلها ، وزحف الى مصر ، وعاد الى عرشه سنة ٧٠٩هـ ، وقتل بيبرس بيده خنقاً وشرد انصاره ، واستمر ٢٢ سنة وشهرين و ٢٥ يوماً . وبقى من اثاره في مصر الترعة المحمودية ، وجدد القلعة والخليج الناصري من القاهرة الى سرياقوس ، وكان في غاية الكرم ، وقوراً مهيباً مؤدباً عادلا ، وتوفي بالقاهرة . انظر مورد اللطافة لابن تغرى بردى (٤٤) والسلوك للمقريزى (القسمان الاول والثاني من الجزء الثاني) وابن الوردى (٣٤٠/٢) وفوات الوفيات (٢٦٣/٢) وابن اياس (١٢٩/١) والدرر الكامنة (١٤٤/٤) والاعلام للزركلى (٢٣٢/٧) .

(١١٤) أمة : الرجل الجامع لخصال الخير ، والذى يعلم الناس الخير ، وكان عبدالله بن مسعود يقول : « ان معاذاً كان أمة » يريد معاذ بن جبل ، انظر طبقات ابن سعد (٣٤٨/٣ و ٣٤٩) وحلية الاولياء (٢٣٠/١) وأسد الغابة (٣٧٨/٤) والاصابة (١٠٦/٦) والاستبصار (١٣٨) وتهذيب التهذيب (١٨٧/١٠) والبداية والنهاية (٩٥/٧) .

(١١٥) في الاصل : راي .

(١١٦) الجراحات : (ج) جراحة ، وهو الجرح .

(١١٧) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٩٥) .

(١١٨) اللبد : الصوف .

(١١٩) المغل : المغول ، وهى أمة معروفة ، آسيوية ، منتشرة على الخصوص في منغوليا ومنشوريا ، وفي القسم الجنوبي من وسط سيبريا ، انظر التفاصيل في : الموسوعة العربية الميسرة (١٧٢٧) .

الأجناد في المراكب . فإذا كان أسفل الخُفّ على هذه الصورة ، ثبت على الخشب ، إذ خشب المراكب ظهورها ناعمة مُلْس من كثرة الوطء(١٢٠) عليها.

وربّما وُضع على ظهور المراكب صابون رقيق ، ليزلق عليها مَنْ وطئها ، فإذا كان سُفْل الخُفّ غير خشن ، زلق لابسه ، فيُداس تحت الأرجل ، وربّما يقتل ، وهذه من الوّصايا الظّراف (١٢١) .

اتّفق أنّ رجلاً ضرب رجلاً بسيفٍ ، فزلق الخُفّ على البساط ، لِنُعومة الخفّ ، فلم يتمكن من ضربه(١٢٢) ، وهذه القضيّة معروفة الآن عندالناس .

وكذلك ركض الفرس على الجيْلِ (١٢٣) ، وفي المروج ، فمتى ما كانت (١٢٤) نَعْلُ الفَرَس (١٢٥) قد طالت مُدّتُه في رِجْل الفَرَس ، زلق الفَرَسُ ، وإذا كانت (١٢٦) النَّعْل جديدة (١٢٧) سَلِم من الزّلق ، خصوصاً الرّكض في الميدان السلطانيّ (١٢٨) بمصر ، وذلك لكثرة مُكْث الماء في أرضه ، فإذا جفّ طلع النبات ، وكان أردأ(١٢٩) في الزّلق .

عن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، أنّه أنكر على بعض عمّاله في لبسه الخفّ الدّقيق ، فقال له عامله : « الخفّ الدّقيق أثبت في الرّكاب (١٣٠) من الخف الكثيف » ، فأقَرّه على ذلك .

---

(١٢٠) في الاصل : الوطىء . (١٢١) الظراف : الحسان .

(١٢٢) في الاصل : لضربه ، والصواب : من ضربه .

(١٢٣) الجيل : نوع من التراب ، اذا أصابه البلل ، أصبح لزجاً . وتسمي تربته : تربة جيلية ، وكان القدماء يستعملونه في تنظيف الشعر عند الاستحمام ، ولاسيما النساء . والجيل : كلمة عامية ، لاوجود لها في المعاجم وكتب اللغة .

(١٢٤) في الاصل : كان .

(١٢٥) الفرس : واحد الخيل [الذكر والانثى في ذلك سواء] . (ج) : أفراس وفروس .

(١٢٦) في الاصل : كان . (١٢٧) في الاصل : جديد .

(١٢٨) في الاصل : السلطان . (١٢٩) في الاصل : أردى .

(١٣٠) الركاب : للسرج ، ماتوضع فيه الرجل ، وهما ركابان .

قال المبصرون بعلم الحرب : متى ما أدْخَل (١٣١) الفارس رجله في الرّكاب ضعف دَوْسه ، ولايتمكّن من العمل بالرّمح ، خصوصاً التّسْديد ، وجميع التاتار يدخلون (١٣٢) أرجلهم في الرّكاب ، لأنهّم استنبطوا (١٣٣) ركاباتهم كالحَلَق (١٣٤) المدورة ، وموضع القَدَم عريض ، وذلك أنهّم لا يُحسنون العمل بالرُمْح ، ومتى ماجاوز الرّكاب خِنْصِرَ الرِّجْلِ ، ضعف الدّوْس ، ومتى ما خرج الرّكاب في الدّوْس عن طرف خِنْصِر الرِّجل أيضاً ، ضعف الدّوْس ، والأولى والأحسن ، أن يكون وسط خِنْصِر الرِّجْل داخل الرّكاب ، والرّكاب في ذلك الحَدّ ، والرّكاب الطيبرسيّ (١٣٥) جيدٌ لمن اختاره ، والرّكاب المظفّري أصلح منه ، ولكن متى ما جاوز الخِنْصِر ، ضعف الدّوْس .

والرّكاب القحليْسيّ (١٣٧) جيّد ، يُدْمي (١٣٨) خِنْصِر الرِّجْل ويؤلمه ، والرّكاب الصّالحيّ (١٣٩) القديم نافع جيّد ، ما لم يفحش (١٤٠) طول ساعده ، وفيه منافع منها : إذا كان أحد من النّاس في الحرب ، وحصل لأحدٍ جُراحات ، فيُمسك ساعد الرّكاب ، ويُستخلص من المعركة .

والرّكاب المستخلص (١٤١) من الصّالحيّ القديم ، هو جيّد لثبوت القَدَم

---

(١٣١) في الاصل : استدخل . (١٣٢) في الاصل : يستدخلون .

(١٣٣) استنبطوا : يريد بها ابتكروا ، اخترعوا ، صمموا .

(١٣٤) الحلق : جمع حلقة ، وهي كل شىء استدار .

(١٣٥) الطيبرسى : نسبة الى طيبرس ، ولعله اسم أعجمي من الاشخاص .

(١٣٦) الركاب المظفري : نسبة الى المظفر قطز ، كان قد اتخذ نوعاً جديداً من الركابات ، فشاع على عهده ، ونسب اليه ، وبقى شائعاً حتى عهد المؤلف الفاضل .

(١٣٧) الركاب القحليسي :

(١٣٨) في الاصل : يدمل ، وليس هو من الفصيح في شىء ، فلعله يدمي .

(١٣٩) الصالحي :

(١٤٠) يفحش الامر : يجاوز حده ، فهو فاحش وفحاش .

(١٤١) المستخلص : يريد بها المقتبس من الصالحي .

لكن فيه مفاسد ليست في غيره ، منها دِقّة ساعده ، فربّما كُسِر ، ومنها خِفّته ، ومنها إيلام الخِنْصِر . وكلّ أحد له غرض (١٤٢) ، فمنهم المصيب، ومنهم المخطىء ، وللناس فيما يعشقون مذاهب .

ونحن نسأل الله التوْفيق والسَّداد ، في الحركات والخَطَرات (١٤٣) ، بِمَنّه وجُوده .

والدّاعي ، يسأل كلّ واقفٍ على هذه الرسالة ، إذا رأى خللاً فليُصْلِحْهُ ، إما لتغيّر لفظة ، أو خطأ في صواب معنى ، وأنا أسأل الله توفيقاً لما توخيته ، وعَوْناً على ما نويته ، وهو حَسْبِي ونِعْمَ الوكيلُ .

خدم بكتابتها محمد بن إمام الفقير عُفِي عنهما .

★ ★ ★

---

(١٤٢) غرض : غاية ، مقصد .

(١٤٣) الخطرات : (ج) : الخطرة ، وهى مايخطر في القلب .

المصـــادر والمراجــع

الآلوسي (أبو الثناء شهاب الدين محمود) :

– روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني – بولاق – ١٣٠١ – ١٣١٠ هـ .

– سُفْرة الزاد لسَفْرة الجهاد – بغداد – ١٣٣٣ هـ .

الآلوسي (محمود شكري) :

– بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب – تحقيق محمد بهجة الأثري – القاهرة – بلا تاريخ – ط ٣ .

ابن الأبّار (أبو عبدالله محمد بن عبدالله القُضاعي) :

– الحلّة السّيراء – تحقيق د . حسين مؤنس – القاهرة – ١٩٦٣ م .

ابن الأثير (عز الدين أبو الحسين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن الأثير الجزريّ)

– أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة – طهران – ١٣٧٧ هـ .

– تجريد أسماء الصّحابة – حيدر آباد الدّكن – ١٣١٥ هـ .

– الكامل في التاريخ – القاهرة – ١٣٠٣ هـ – ط ١ .

– الكامل في التاريخ – بيروت – ١٣٨٥ هـ .

ابن إسحق (محمد بن إسحق بن يَسار بن جبار بن كونان) :

– فتوح مصر وأقاليمها – القاهرة – ١٢٧٥ هـ .

ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي)

– بدائع الزهور – القاهرة – ١٣١١ هـ .

ابن باديس (عبدالحميد بن باديس) :

– تفسير ابن باديس – القاهرة – ١٣٨٤ هـ .

ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي) :

– مورد اللّطافة – كمبرج – ١٧٩٢ م .

– النجوم الزاهرة – القاهرة – ١٣٤٨ هـ .

ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم بن تيميّة) :

– منهاج السّنة – بولاق – ١٣٢١ هـ – ط ١ .

ابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي) :

– تاريخ عمر بن الخطّاب – القاهرة – بلا تاريخ .

– صفة الصّفوة – حيدر آباد الدكن – ١٣٥٥ هـ .

ابن حجر العسقلاني (شـهاب الدين أبو الفضـل أحمد بن محمد بن محمد بن علي العسقلاني) :

– الإصابة في تمييز الصّحابة – القاهرة – ١٣٢٥ هـ .

– تهذيب التهذيب – حيدر آباد الدكن – ١٣٢٧ هـ .

– الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة – حيدر آباد الدكن – ١٩٤٥ – ١٩٥٠ م .

– فتح الباوي بشرح البخاري – بولاق – ١٣٠١ هـ .

ابن حزم الأندلسّي (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسّي) :

– أسماء الصّحابة الرواة وما لكلّ واحد منهم من العَدَد – ملحق بجوامع السِّيرة – القاهرة – بلا تاريخ .

– أصحاب الفتيا من الصّحابة ومَنْ بعدهم على مراتبهم في كثرة الفتيا –

– جُمل فتوح الإسلام – ملحق بجوامع السيرة – القاهرة – بلا تاريخ .

– جوامع السِّيرة – القاهرة – بلا تاريخ .

– جمهرة أنساب العرب – القاهرة – بلا تاريخ .

– جمهرة أنساب العرب – القاهرة – ١٩٤٨ م .

– الفِصَل في الملل والنحل – القاهرة – ١٣٢١ هـ .

– المحلى – القاهرة – ١٣٤٧ هـ .

ابن حنبل (الإمام أحمد بن حنبل) :

– مسند الإمام أحمد بن حنبل – القاهرة – ١٣١٣ هـ .

ابن حَوْقل (أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلي) :

– صورة الأرض – لايدن – ١٩٣٨ م – ط ٢ .

ابن خرداذبة (أبو القاسم عُبيدالله المعروف بابن خرداذبة) :

– المسالك والممالك – أعادت مكتبة المثنى طبعه في طهران – ١٩٦٣ م .

ابن خلدون (عبدالرحمن بن خلدون) :

– العبر وديوان المبتدأ والخبر – بولاق – ١٢٨٤ هـ .

– مقدمة ابن خلدون – القاهرة – بلا تاريخ .

ابن خلّكان (أبو العبّاس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلّكان) :

– وفيات الأعيان – تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد – القاهرة .

ابن الديبع الشيباني (عبدالرحمن بن عليّ المعروف بابنّ الديبع الشيباني) .

– تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم – تحقيق محمد حامد الفقي – القاهر – ١٣٤٦ هـ .

ابن رستة (أبو علي أحمد بن عمر بن رستة) :

– الأعلاق النفيسة – لايدن – ١٨٩١ م .

ابن سعد (أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع البصري الزّهري) :

– الطبقات الكبرى – بيروت – ١٣٧٦ هـ .

ابن سيده (أبو الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده) :

– المخصّص – بولاق – ١٣١٦ هـ .

ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر) :

– الاستيعاب في معرفة الأصحاب – تحقيق محمد علي البجاوي – القاهرة – بلا تاريخ .

ابن عبدالحكم (أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم) :

– فتوح مصر وأخبارها – لايدن – ١٩٢٠ م .

– فتوح مصر والمغرب – القاهرة – بلا تاريخ .

– فتوح مصر والمغرب والأندلس – لايدن – ١٩٢٠ م .

ابن عبد ربّه (شهاب الدين أحمد المعروف بابن عبد ربّه) .

– العقد الفريد – القاهرة – ١٣٤٦ هـ .

– العقد الفريد – القاهرة – ١٣٧٢ هـ – محقّق ومفهرس .

ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن الحسين بن عساكر الشّافعي) :

– التاريخ الكبير – دمشق – ١٣٢٩ هـ .

– تهذيب تاريخ ابن عساكر – عبدالقادر بدران – دمشق – ١٣٢٩ – ١٣٥١ هـ .

ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن إبراهيم الهمداني) :

– مختصر كتاب البلدان – لايدن – ١٨٨٥ م .

ابن قُتيبة (أبو محمد عبدالله بن مُسلم بن قُتيبة الدينوري) :

– عيون الأخبار – القاهرة – ١٣٨٣ هـ .

– المعارف – تحقيق ثروة عُكاشة – القاهرة – ١٩٦٠ م .

ابن قُدامة (موفق الدين عبدالله بن قدامة المقدسي) :

– الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار – بيروت – ١٣٩١ هـ .

ابن قيِّم الجوزيّة (شمس الدين ابو عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيِّم الجوزيّة) :

– أحكام أهل الذمّة – تحقيق صبحي الصّالح – دمشق – ١٣٨١ هـ .

– زاد المعاد – القاهرة – ١٣٦٩ هـ .

– الفروسية – القاهرة – بلا تاريخ .

– الفوائد – تحقيق أحمد راتب عرموش – بيروت – ١٤٠١ هـ .

ابن كثير (عماد الدين ابو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القُرشي الدمشقي) :

– البداية والنهاية في التاريخ – القاهرة – بلا تاريخ .

– تفسير ابن كثير – القاهرة – ١٣٤٧ هـ .

– فضائل القرآن – ملحق بالتفسير – القاهرة – ١٣٤٧ هـ .

ابن ماجة (محمد بن يزيد بن ماجة القزويني) :

– ستن ابن ماجة – القاهرة – ١٣١٣ هـ .

ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري) :

– لسان العرب – بولاق – ١٣٠٠ – ١٣٠٨ هـ

ابن النديم :

– الفهرست – بيروت – ١٩٦٤ م .

ابن هِشام (أبو محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري) :

– السِّيرة النبويّة – تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد – القاهرة – ١٣٥٦ هـ .

أبو داود (المحدث أبو داود) :

ـ سنن المصطفى ـ القاهرة ـ بلا تاريخ .

أبو زهرة (محمد ابو زهرة) :

ـ العلاقات الدولية في الإسلام ـ القاهرة ـ بلا تاريخ .

أبو الفدا (إسماعيل بن علي عماد الدين صاحب حماة) :

ـ تقويم البلدان ـ باريس ـ ١٨٤٠ م .

ـ المختصر من أخبار البشر ـ القاهرة ـ ١٣٢٥ هـ .

أبو نُعيم (أبو نعيم أحمد بن عبدالله الاصبهاني) :

ـ حلية الأولياء ـ القاهرة ـ ١٣٥٦ هـ .

أبو يوسف (القاضي أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب الإمام أبي حنيفة) :

ـ الخراج ـ القاهرة ـ ١٣٤٦ هـ .

الإصطخري (أبو إسحق ابراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري المعروف بالكرخي) :

ـ المسالك والممالك ـ تحقيق محمد جابر عبدالعال الحسيني ـ القاهرة ـ ١٣٨١ هـ .

الباشا (حسن الباشا) :

ـ الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ـ القاهرة ١٩٥٧ م .

البخاري (أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري :

ـ التاريخ الصغير ـ الهند ـ ١٣٢٥ هـ .

ـ صحيح البخاري ـ بولاق ـ ١٣٠٠ هـ .

البستاني (بطرس البستاني) :

ـ محيط المحيط ـ بيروت ـ ١٩٧٧ م .

البشاري (المقدسي المعروف بالبشاري) :

ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ـ لايدن ـ ١٩٠٦ م .

البغدادي (إسماعيل باشا البغدادي) :

ـ هدية العارفين ، أسماء المؤلفين ، وآثار المصنفين ـ استانبول ١٩٥١ ـ ١٩٥٥ م .

البغوي (الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي) :

ـ تفسير البغوي ـ على هامش تفسير ابن كثير ـ القاهرة ـ ١٣٤٥ هـ .

البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري) :

ـ أنساب الأشراف ـ ج ٤ القسم الثاني ـ القدس ١٩٣٨ م .

ـ أنساب الأشراف ـ ج ٥ ـ القدس ـ ١٩٣٦ م .

ـ أنساب الأشراف ـ ج ١ ـ تحقيق محمد حميد الله ـ القاهرة ـ ١٩٥٩ م .

ـ فتوح البلدان ـ القاهرة ـ ١٩٥٩ .

ـ فتوح البلدان ـ بيروت ـ ١٣٧٧ هـ .

البلخي (أبو زيد أحمد بن سهل البلخي) :

ـ البدء والتاريخ ـ مطهر بن طاهر المقدسي ـ نشره كلمان هوار ـ باريس ١٨٩٩ م .

البلوي (يوسف محمد البلوي) :

ـ ألف باء ـ القاهرة ـ ١٢٨٧ هـ .

بول (ستانلي لين بول وبارتولد وخليل أدهم) :

ـ الدول الإسلامية ـ ترجمة محمد صبحي فرزات ـ دمشق ـ ١٣٩٣ هـ .

البيضاوي (أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي) :

– تفسير البيضاوي – القاهرة – ١٣٣٠ هـ .

تيمور (أحمد تيمور باشا) :

– الرتب والألقاب المصرية لرجال الجيش والهيئات العلمية – القاهرة – ١٣٦٩ هـ .

ثابت (نعمان ثابت) :

– الجنديـة في الدولة العباسية – بغداد – ١٣٥٨ هـ .

الجبرتي (عبد الرحمن بن حسن الجبرتي) :

– عجائب الأخبار في التراجم والأخبار – القاهرة – ١٢٩٧ هـ .

الجرجاني (السيد الشريف الجرجاني) :

– التعريفات – القاهرة – ١٣٥٧ هـ .

الجوهري (إسماعيل بن حماد الجوهري) :

– تاج اللغـة وصحاح العربيّة – القاهرة – ١٢٨٢ هـ .

– الصّحاح في اللغة والعلوم – بيروت – ١٩٧٤ م .

حجي خليفة (مصطفى عبد الله الشهير بحجي خليفة) :

– كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون – استنبول – ١٣٦٠ هـ .

الحسني (حسين فوزي الحسني – العميد البيطري) :

– المصطلحات البيطرية – بغـداد – ١٩٣٩ م .

حسن سليمان محمود :

– ليبيا بين الماضي والحاضر – القاهرة – ١٩٦٢ م .

الحصري (إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري) :

– زهرة الآداب وثمرة الألباب – القاهرة – ١٣٧٢ هـ .

الحموي (السيد الحموي) :

– النفحات المسكيّة في صناعة الفروسـية – تحقيق وتعليق عبد الستار القره غولي بغداد – ١٣٦٩ هـ .

الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحيّ بن العماد الحنبلي) :

– شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب – القاهرة – ١٣٥٠ هـ .

خطّاب (محمود شيت خطاب) :

– جيش الرسول صلّى الله عليه وسلّم – بغداد – ١٩٨٨ – ط ١٠ –

– الرسول القائد – بيروت – ١٣٩٤ – ط ٥ .

– العسكرية العربية الإسلامية – قطَر – ١٤٠٣ هـ – ط ٣ .

– المعجم العسكري الموحد (إنكليزي عربي) – بالاشتراك – القاهرة – ١٩٧٠ م .

الخطيب البغدادي (ابو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي) :

– تاريخ بغداد – القاهرة – ١٣٤٩ هـ .

خياط (خليفة بن خياط) :

– كتاب الطبقات – تحقيق سهيل زكار – دمشق – ١٩٦٦ م .

– كتاب الطبقات تحقيق اكرم ضياء العمري النجف – ١٣٨٧ هـ .

الدّارمي (أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدّارمي) :

– مسند الدّارمي – القاهرة – بلا تاريخ .

الديار بكري (حسين بن محمد بن الحسين الديار بكري) :

– تاريخ الخميس – القاهرة – ١٣٠٢ هـ .

الدينّوري (أبو حنيفة الدينوري) :

– الأخبار الطوال – القاهرة – ١٣٢٠ هـ .

الذّهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذّهبي) :

– تاريخ الإسلام – القاهرة – ١٣٦٨ هـ

– تذكرة الحفاظ – حيدر آباد الدكن – ١٣٣٣ – ١٣٣٤ هـ .

– سير أعلام النبلاء – تحقيق صلاح الدين المنجد – القاهرة – بلا تاريخ .

– العِبَر – تحقيق فؤاد سيد – الكويت – ١٩٦١ م .

– ميزان الاعتدال – القاهرة – ١٣٢٤ هـ .

الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي) :

– مختار الصحّاح – القاهرة – ١٩٥٣ م .

الرُّصافي (معروف الرُّصافي) :

– الأداة والآلة – بغداد – ١٩٨٠ م .

رضا (أحمد رضا) :

– معجم متن اللغة – بيروت – ١٣٧٧ هـ .

رضا (محمد رشيد رضا – الشيخ) :

– تفسير القرآن الكريم (تفسير المنار) – القاهرة – ١٣٤٦ – ١٣٥٣ هـ .

الرمّاح (نجم الدين حسن الرمّاح) :

– الفروسية والمناصب الحربية – تحقيق – عيد ضيف العبادي – بغداد ١٩٨٤ م .

الزاوي (طاهر أحمد الزاوي) :

– ترتيب القاموس المحيط – القاهرة – ١٩٥٩ م .

الزبيدي (محمد مرتضى الزبيدي) :

– تاج العروس في جواهر القاموس – القاهرة – ١٣٠٦ – ١٣٠٧ هـ .

الزركلي (خير الدين الزركلي) :

– الأعلام – بيروت – ١٣٧٣ – ١٣٧٨ هـ .

الزّمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزّمخشري) :

– تفسير الكشاف (حقائق التنزيل) – القاهرة – ١٣١٩ هـ .

– الفائق – حيدر آباد الدكن – ١٣٢٤ هـ .

زيدان (جرجي زيدان) :

– تاريخ آداب اللّغة العربية – القاهرة – ١٩٣١ م .

السّخاوي (علم الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصّمد بن عبد الأحد الهمداني) :

– الضوء اللامع لأهل القرن التاسع – القاهرة – ١٣٥٣ – ١٣٥٥ هـ .

السّرخسيّ (محمد بن أحمد السّرخسي)

– شرح كتاب السِّير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني – تحقيق صلاح الدين المنجد – القاهرة – ١٩٥٨ م .

سركيس (يوسف اليان سركيس) :

– معجم المطبوعات العربية والمعرَّبة – القاهرة – ١٩٢٨ م .

سيِّد الناس (ابن سيد الناس) :

– عيون الأثر – القاهرة – ١٣٥٦ هـ .

السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيّوطي) :

– تاريخ الخلفاء – القاهرة – ١٣٥١ هـ .

– تفسير الجلالين – بغداد – ١٤٠٧ هـ .

– الجامع الصغير – القاهرة – ١٣٤٣ هـ .

– طبقات الحفّاظ – القاهرة – ١٣٩٣ هـ – ط ١ .

– الفتح الكبير – القاهرة – ١٣٥١ هـ .

الشّافعي (محمد بن إدريس بن العبّاس بن عثمان بن شافع القرشيّ) :

– الأم – بولاق – ١٣٢٢ هـ – ط ١ .

– ديوان الشّافعي – تحقيق مجاهد مصطفى بهجة – الموصل – ١٩٨٦ م .

الصفدي (فوات الوفيات – استنبول – ١٩٣١ م .

ضومط (أنطوان خليل ضومط) :

– الدول المملوكية – بيروت – ١٩٨٢ م.

الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللّخمي الطبراني) :

– المعجم الكبير – بغداد – ١٩٧٩ – ١٩٨٢ م .

الطبري (محمد بن جرير الطبري) :

– تاريخ الأمم والملوك – القاهرة – ١٣٥٨ هـ .

– تاريخ الأمم والملوك – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – القاهرة – ١٩٦٠ م .

– تفسير الطبري – القاهرة – ١٣٢٨ هـ – ط ١ .

– الجهاد وكتاب الجزية – لايدن – ١٩٣٣ م .

– ذيل المذيّل – القاهرة – ١٣٢٦ هـ .

– المنتخب من كتاب ذيل المذيّل – القاهرة – ١٣٥٨ هـ .

الطرابلسي (أحمد النائب الأنصاري الطرابلسي) :

– المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب – طرابلس الغرب بلا تاريخ .

عاشور (سعيد عبد الفتاح عاشور) :

– المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك – بيروت – ١٩٦٩ م .

عبد الباقي (محمد فؤاد عبد الباقي) :

– اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان – الكويت – ١٣٦٧ هـ .

– المعجم المفرس لألفاظ القرآن الكريم – القاهرة – ١٣٧٨ هـ .

عجيبة (أحمد عجيبة) :

– إيقاظ الهمم – القاهرة – بلا تاريخ .

العريني (السيد الباز العريني) :

– المماليك – بيروت ١٩٦٧ م .

العصامي (عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي) :

– سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي – القاهرة – ١٣٧٩ هـ .

عطيةالله (أحمد عطية الله) :

– القاموس الإسلامي – القاهرة – ١٣٩٦ هـ .

علي بن عبد الرحمن (علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي) :

– حلية الفرسان وشعار الشجعان – تحقيق محمد عبد الغني حسن – القاهرة – ١٩٥١ م .

عمارة (محمد مصطفى عمارة) :

– مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي – القاهرة – ١٣٧٣ ط ١

علي بن أبي طالب :

– نهج البلاغة – شرح ابن أبي الحديد – بيروت – ١٩٦٤ م .

عوّاد (كوركيس عوّاد) :

– مصادر التراث العسكري عند العرب – بغداد – ١٤٠١ هـ .

عون (عبد الرءوف عون) :

– الفن الحربي في صدر الإسلام – القاهرة – ١٩٦١ م .

الفيروز آبادي (محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر أبو طاهر ، مجد الدين الفيروز آبادي) :

– القاموس المحيط – القاهرة – ١٩٥٢ م .

قدامة بن جعفر (أبو الفرج) :

– كتاب الخراج وصنعة الكتابة – لايدن – ١٨٨٩ م .

القُرشي (يحيى بن آدم القرشي) :

– كتاب الخراج – تحقيق أحمد محمد شاكر – القاهرة – ١٣٤٧ ﻫ .

القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي) :

– الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) – القاهرة – ١٣٥٦ ﻫ .

القزويني (زكريا بن محمد القزويني) :

آثار البلاد وأخبار العباد – بيروت – ١٣٨٠ ﻫ .

القسطلاني (أحمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني) :

– إرشاد الساري لشرح البخاري – بولاق – ١٣٢٣ ﻫ .

قطب (سيد قطب) :

– في ظلال القرآن – بيروت – ١٣٨٦ ﻫ – ط ٥ .

القلقشندي (أبو العباس أحمد القلقشندي) :

– صبح الأعشى في صناعة الإنشا – القاهرة – ١٩١٣ م .

– نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب – تحقيق إبراهيم الأبياري – القاهرة – ١٩٥٩ م .

القيسي (قاسم القيسي) :

– تاريخ التفسير – بغداد – ١٣٨٥ ﻫ .

الكتبي (محمد بن شاكر أحمد الكتبي) :

– فوات الوفيات – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – القاهرة – ١٩٥١ م .

كحالة (عمر رضا كحالة) :

– معجم المؤلفين – دار احياء التراث العربي – دمشق – ١٩٥٧ – ١٩٦١ م .

الكرملى (أنستانس ماري الكرملى) :

– أغلاط اللغويين الأقدمين – بغداد – ١٩٣٣ م .

– المساعد (معجم) – بغداد – ١٣٩٦ ﻫ .

الكلبي (أبو المنذر هشام بن محمد الكلبي) :

– الأصنام – القاهرة – ١٣٣٢ ﻫ .

الكندي (أبو عمر محمد بن يوسف الكندي) :

– كتاب الولاة والقضاة – لايدن – ١٩١٢ م .

لسترنج :

– بلدان الخلافة الشرقية – نقله إلى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد – بغداد – ١٣٧٣ ﻫ .

الماوردي (أبو الحسن علي بن حبيب البصري) :

– الأحكام السُلطانية – القاهرة – ١٣٢٧ ﻫ .

مجاهد (أبو الحجّاج مجاهد بن جبر) :

– تفسير مجاهد – تحقيق عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي – قَطَر – ١٣٩٦ ﻫ .

مجمع اللغة العربية بالقاهرة :

– المعجم الوسيط – القاهرة – ١٣٩٣ – ط ٢ .

مجمع اللغة التركية بأنقرة :

– المعجم التركي – اسطنبول – ١٩٤٥ م .

مجموعة من المؤلفين :

– الموسوعة العربية الميسرة – القاهرة – ١٩٦٥ م .

مُسلم (مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري) . :

– صحيح مسلم بشرح النووي – القاهرة – ١٩٣٠ م .
مصطفى (شاكر مصطفى) :
– التاريخ العربي والمؤرخون – بيروت – ١٩٧٩ – ط ٢ .
المعراوي (محمد المعراوي) :
– شريعة الحرب في الإسلام – دمشق – بلا تاريخ .
المقريزي (تقي الدين أحمد المقريزي) :
– إتعاظ الحنفا – تحقيق جمال الدين الشيال – القاهرة – ١٩٤٨ م .
– السلوك لمعرفة دول الملوك – تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور – ج ٣ و ج ٤ – القاهرة – ١٩٧٠ – ١٩٧٢ م .
– المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار – بولاق – ١٢٧٠ هـ .
المنذري (زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري) :
– التكملة لوفيات النقلة – حققه بشار عواد معروف – بغداد – ١٣٨٨ هـ .
موسى (حسين يوسف موسى و عبد الفتاح الصعيدي) :
– الإيضاح في فقه اللغة – القاهرة – ١٣٤٨ هـ .
ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي) :
– المشترك وضعاً والمفترق صقعاً – لايدك – ١٨٤٦ م .
– معجم البلدان – القاهرة – ١٣٢٣ هـ .
اليعقوبي (أحمد بن إسحاق بن واضح اليعقوبي) :
– تاريخ اليعقوبي – النجف – ١٣٥٨ هـ .